



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

تفسير القرآن الكريم

من

الموسم السنوي

الذي يصدره

المعهد الإسلامي

بجامعة القاهرة

المجلد ١

١٩٧٤

دار النشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استخراج المرام من استقصاء الافحام

كاتب:

السيد على الحسينى الميلانى

نشرت فى الطباعة:

الحقايق

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

| | |
|----|----------------------------------------------|
| ٥ | الفهرس |
| ١٤ | استخراج المرام من استقصاء الافحام المجلد ١ |
| ١٤ | اشارة |
| ١٤ | كلمة المؤلف ... ص: ٥ |
| ١٦ | تقديم ... ص: ٩ |
| ١٦ | اشارة |
| ١٦ | افتراق الامة ... ص: ١١ |
| ١٦ | معالم الفرقة التاجية ... ص: ١١ |
| ١٧ | دور الأئمة في حفظ الدين ونشر العلم ... ص: ١٣ |
| ٢٣ | نشر العلم والمعرفة بشتى الطرق ... ص: ٢٥ |
| ٢٦ | أهم العلوم في المدرسة الشيعية ... ص: ٣٠ |
| ٢٦ | علم الكلام ... ص: ٣٠ |
| ٢٧ | علوم القرآن ... ص: ٣٢ |
| ٢٨ | علم الفقه والحديث ... ص: ٣٣ |
| ٢٩ | وهنا فوائد ... ص: ٣٤ |
| ٣٠ | تراجم أعلام الشيعة في كتب السنة ... ص: ٣٧ |
| ٣٨ | من تراجم علماء السنة في كتبهم ... ص: ٥٣ |
| ٤٢ | كتب الردود في المكتبة الشيعية ... ص: ٦١ |
| ٤٢ | تأليف الكتب للصد عن التشيع ... ص: ٦١ |
| ٤٢ | اشارة |
| ٤٢ | في الحجاز ... ص: ٦٢ |
| ٤٣ | في الهند ... ص: ٦٢ |
| ٤٤ | في العراق ... ص: ٦٤ |

- ٤٥ منتهى الكلام للفيض آبادى ... ص: ٦٦
- ٤٨ ترجمة الفيض آبادى ... ص: ٧٢
- ٤٩ استقصاء الإفحام للسيد حامد حسين ... ص: ٧٤
- ٥٠ فهرس موضوعات استقصاء الإفحام ... ص: ٧٦
- ٥١ ترجمة السيد مير حامد حسين ... ص: ٧٩
- ٥١ نسبه ... ص: ٧٩
- ٥١ اسرته ... ص: ٨٠
- ٥٢ والده السيد محمد قلى ... ص: ٨٠
- ٥٢ أسانذته ... ص: ٨٢
- ٥٣ كلمات العلماء فى حقه ... ص: ٨٢
- ٥٦ المكتبة الناصرية ... ص: ٨٨
- ٥٧ تصانيفه ... ص: ٩١
- ٥٨ أشهر مصنفاته ... ص: ٩٣
- ٥٨ اشارة
- ٥٨ ١- استقصاء الإفحام ... ص: ٩٣
- ٥٨ ٢- شوارق النصوص ... ص: ٩٣
- ٥٩ ٣- عبقات الأنوار ... ص: ٩٣
- ٦٠ التقاريط على كتبه ... ص: ٩٦
- ٦٣ ولده السيد ناصر حسين ... ص: ١٠٣
- ٦٥ بين السيد حامد حسين والمولوى الفيض آبادى ... ص: ١٠٥
- ٦٥ عملنا فى الكتاب ... ص: ١٠٧
- ٦٦ الباب الأول: مسائل اعتقادية ... ص: ١٠٩
- ٦٦ اشارة
- ٦٦ الصحيحان أصح من القرآن ...؟ ص: ١١١

- ٦٦ اشارة
- ٦٧ الأخبار والآثار فى وقوع النقص والغلط فى القرآن فى كتب السنة ... ص: ١١٥
- ٦٧ ذهب من القرآن كثير ...! ص: ١١٥
- ٦٨ سورة الأحزاب ... ص: ١١٥
- ٦٨ سورة تشبه براءة ... ص: ١١٧
- ٦٩ البراءة تعدل البقرة ... ص: ١١٨
- ٧٠ سورتا الحفد والخلع ... ص: ١٢٠
- ٧١ آيتان لم تكتبا ... ص: ١٢٢
- ٧١ اشارة
- ٧٢ آية اخرى ... ص: ١٢٣
- ٧٤ آية الرجم ... ص: ١٢٧
- ٧٦ آية الرضاع ... ص: ١٣٠
- ٧٦ آية الجهاد ... ص: ١٣١
- ٧٧ آية: لا ترغبوا عن آبائكم ... ص: ١٣٢
- ٧٧ آية حمية الجاهلية ... ص: ١٣٢
- ٧٨ آية الصلاة على النبى ... ص: ١٣٣
- ٧٨ آية: وهو أب لهم ... ص: ١٣٤
- ٧٨ آية الصلاة الوسطى ... ص: ١٣٤
- ٨٠ آية صلاة الجمعة ... ص: ١٣٧
- ٨١ آية اخرى ... ص: ١٣٩
- ٨١ آية الطلاق ... ص: ١٣٩
- ٨٢ آية التبليغ ... ص: ١٤٠
- ٨٢ آية كفى الله المؤمنين ... ص: ١٤١
- ٨٣ عثمان: إن فى القرآن لنا ...! ص: ١٤٢

- ٨٥ نقد القول بوقوع اللحن في القرآن ... ص: ١٤٥
- ٩٦ رجال الحديث والعرفان و ولادة الإمام المهدي صاحب الزمان ... ص: ١٦٧
- ٩٦ اشارة
- ٩٦ الشيخ عبدالوهاب الشعراني ... ص: ١٧٠
- ٩٦ اشارة
- ٩٩ ترجمة الشعراني ... ص: ١٧٦
- ١٠٠ الشيخ المودودي ... ص: ١٧٧
- ١٠١ الخواجه محمد پارسا ... ص: ١٨٠
- ١٠١ اشارة
- ١٠٢ ترجمة خواجه پارسا ... ص: ١٨٢
- ١٠٢ الشيخ عبدالرحمن الجامي ... ص: ١٨٣
- ١٠٢ اشارة
- ١٠٣ ترجمة الجامي ... ص: ١٨٣
- ١٠٣ الشيخ عبدالحق الدهلوي ... ص: ١٨٤
- ١٠٣ اشارة
- ١٠٣ ترجمة عبدالحق الدهلوي ... ص: ١٨٤
- ١٠٤ السيد جمال الدين المحدث ... ص: ١٨٥
- ١٠٤ اشارة
- ١٠٥ ترجمة جمال المحدث الشيرازي ... ص: ١٨٧
- ١٠٥ الشيخ أبو عبدالله الكنجي ... ص: ١٨٧
- ١٠٥ اشارة
- ١٠٥ ترجمة الكنجي الشافعي ... ص: ١٨٨
- ١٠٥ سبط ابن الجوزي ... ص: ١٨٨
- ١٠٥ اشارة

- ١٠٦ ترجمة سبط ابن الجوزى ... ص: ١٨٩
- ١٠٦ ابن الصبأغ المالكى ... ص: ١٨٩
- ١٠٦ اشارة
- ١٠٧ ترجمة ابن الصبأغ المالكى ... ص: ١٩١
- ١٠٧ الشيخ كمال الدين ابن طلحة الشافعى ... ص: ١٩١
- ١٠٧ اشارة
- ١١١ ترجمة ابن طلحة الشافعى ... ص: ٢٠١
- ١١٢ الشيخ ولى الله الدهلوى ... ص: ٢٠٢
- ١١٢ اشارة
- ١١٢ ترجمة ولى الله الدهلوى ... ص: ٢٠٣
- ١١٣ مع الأعور الواسطى ... ص: ٢٠٣
- ١١٣ مع ابن حجر المكى ... ص: ٢٠٤
- ١١٤ التجسيم والمجتممة ... ص: ٢٠٧
- ١١٤ اشارة
- ١١٥ تبرئة الشهرستانى هشام بن الحكم ... ص: ٢٠٩
- ١١٥ ترجمة الشهرستانى ... ص: ٢١٠
- ١١٥ المجسمون من أهل السنة ... ص: ٢١١
- ١١٥ اشارة
- ١١٦ ابن تيمية وابن القيم ... ص: ٢١١
- ١١٨ بعض شيوخ الحديث ... ص: ٢١٦
- ١١٨ الذهبى ... ص: ٢١٦
- ١١٩ أبوالقاسم ابن مندة ... ص: ٢١٨
- ١١٩ جماعة من القدماء ... ص: ٢١٩
- ١٢٠ أكثر المحدثين ... ص: ٢٢٠

- ١٢٠ مقاتل بن سليمان ... ص: ٢٢١
- ١٢١ نعيم بن حماد ... ص: ٢٢٢
- ١٢٣ البدء ... ص: ٢٢٥
- ١٢٣ اشارة
- ١٢٣ كلام الشيخ المجلسى وسائر علمائنا الأعلام ... ص: ٢٢٨
- ١٢٥ روايات السنّة فى البدء ... ص: ٢٣٣
- ١٢٩ من موارد وقوع البدء فى أخبار القوم ... ص: ٢٤٩
- ١٢٩ اشارة
- ١٣٠ قصة يونس عليه السلام ... ص: ٢٤٢
- ١٣١ قصة موسى عليه السلام ... ص: ٢٤٤
- ١٣٢ قصة القصار ... ص: ٢٤٦
- ١٣٢ قصة الرجل من قوم صالح عليه السلام ... ص: ٢٤٦
- ١٣٣ قصة الملكين ... ص: ٢٤٧
- ١٣٤ قصة الملك الذى إذا ذكر ذكر عمر ... ص: ٢٥٠
- ١٣٤ قصة بعض الفضلاء ... ص: ٢٥٠
- ١٣٥ تبدل حال الرجل ... ص: ٢٥١
- ١٣٥ قصة أبى رومى ... ص: ٢٥٢
- ١٣٦ الميثاق والصور ... ص: ٢٥٥
- ١٣٦ اشارة
- ١٣٦ رأى السيد المرتضى فى خبر الميثاق ... ص: ٢٥٧
- ١٣٨ التحقيق فيما نسب إلى السيد المرتضى ... ص: ٢٦٠
- ١٣٨ رأى الغزالى فى خبر الميثاق ... ص: ٢٦١
- ١٤٠ رأى مجاهد فى آية الميثاق ... ص: ٢٦٥
- ١٤٠ حول كلام الطبرسى فى آية الصور ... ص: ٢٦٥

- ١٤٤ عقيدة الحسن البصرى وأبى عبيدة ... ص: ٢٧٢
- ١٤٤ بل هو عقيدة جماعة ... ص: ٢٧٣
- ١٤٤ بل هو القول المشهور بينهم ... ص: ٢٧٥
- ١٤٤ وهو قول أهل اللغة منهم ... ص: ٢٧٦
- ١٤٧ بل هو عقيدة البخارى ...!! ص: ٢٧٨
- ١٤٨ معاجز نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ... ص: ٢٨١
- ١٤٨ اشارة
- ١٤٩ رد الشمس ... ص: ٢٨٣
- ١٤٩ اشارة
- ١٥٠ من المنكرين لهذه المعجزة ... ص: ٢٨٥
- ١٥١ إنشقاق القمر ... ص: ٢٨٧
- ١٥١ اشارة
- ١٥١ من المنكرين لهذه المعجزة ... ص: ٢٨٨
- ١٥٣ إسلام آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ... ص: ٢٩٣
- ١٥٣ اشارة
- ١٥٣ أباطيل الأعور الواسطى ... ص: ٢٩٥
- ١٥٥ وابن كثير الدمشقى ... ص: ٢٩٨
- ١٥٧ والذهبي ... ص: ٣٠٢
- ١٥٧ القائلون بالحق وأدلتهم ... ص: ٣٠٣
- ١٦٢ تنبيه حول رأى الرازى ... ص: ٣١٢
- ١٦٧ الصلاة على غير النبي ... ص: ٣٢٥
- ١٦٨ اشارة
- ١٦٨ هل الصلاة على غير النبي من بدع الشيعة ...؟ ص: ٣٢٧
- ١٦٩ ويحيى بن معين يقول فى جارية: صلى الله عليك ...! ص: ٣٢٩

- وقال بعضهم فى يزيد: عليه السلام ...!!! ص: ٣٣٠ ١٦٩
- الأقوال والأدلة كما ذكر ابن حجر ... ص: ٣٣٠ ١٦٩
- الجبر والإختيار ... ص: ٣٣٥ ١٧١
- إشارة ١٧١
- هل أفعال العباد واقعة بقدره البارى وحدها ...؟ ص: ٣٣٧ ١٧١
- مذهب الأشعرية عين مذهب الجهمية ... ص: ٣٤١ ١٧٣
- كلمات ابن تيمية فى المسألة ... ص: ٣٤٢ ١٧٤
- كلمات ابن القيم فى المسألة ... ص: ٣٥٠ ١٧٨
- وقال صاحب (فواتح الرحموت ...): ص: ٣٥٢ ١٧٩
- قال الرازى: يجوز إدخال الله العباد فى النار والكفار فى الجنة ... ص: ٣٥٥ ١٨٠
- هل يجوز التكليف بما لا يطاق ...؟ ص: ٣٥٥ ١٨٠
- تصريح الرازى بعقيدة الجبر ... ص: ٣٥٦ ١٨١
- قال ابن تيمية: الرازى من الجبرية ... ص: ٣٥٨ ١٨٢
- حديث الطينة ومعناه ... ص: ٣٥٩ ١٨٢
- هل يدخل ولد الزنا الجنة ...؟ ص: ٣٧١ ١٨٧
- إشارة ١٨٧
- رأى الإمامية فى المسألة ... ص: ٣٧٣ ١٨٧
- وعليه الزمخشري والرازى ... ص: ٣٧٤ ١٨٨
- الأقوال فى تأويل خبر: ولد الزنا لا يدخل الجنة ... ص: ٣٧٥ ١٨٨
- أسماء الأئمة الرواة للخبر المذكور ... ص: ٣٧٩ ١٩٠
- حول كتاب سليم بن قيس الهلالي ... ص: ٣٨٣ ١٩٣
- إشارة ١٩٣
- قال الفيض آبادى ... ص: ٣٨٥ ١٩٣
- نقد الكلام المذكور ... ص: ٣٨٨ ١٩٤

- ١٩٥ تنبيه على خطأ لصاحب التحفة ... ص: ٣٨٩
- ٢٠٠ قضية محمد بن أبي بكر مع أبيه ... ص: ٣٩٩
- ٢٠٣ حل الإشكال بذكر النظائر ... ص: ٤٠٥
- ٢٠٣ استقل بالكتابة وعمره أربع سنين ... ص: ٤٠٥
- ٢٠٣ حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين ... ص: ٤٠٦
- ٢٠٤ سمع الحديث وهو ابن أربع سنين ... ص: ٤٠٦
- ٢٠٥ كان يقوم الليل وهو ابن ثلاث سنين ... ص: ٤٠٩
- ٢٠٥ سمع الحديث وعمره أقل من ثلاث سنين ... ص: ٤٠٩
- ٢٠٦ توكل في عقد الزواج وله ثلاث سنين ... ص: ٤١٠
- ٢٠٧ أجابت ابنة ابن عربي في مسألة فقهية وهي في سن الرضاعة ... ص: ٤١٢
- ٢٠٧ تكلم محمد مع أبيه عند موته في المصادر السنية ... ص: ٤١٣
- ٢٠٨ وهل قدح أحد من أعلام الإمامية في كتاب سليم ... ص: ٤١٥
- ٢٠٩ هل كان سليم يرى أن الأئمة ثلاثة عشر ... ص: ٤١٧
- ٢١١ هل لكتاب سليم راو غير أبان ... ص: ٤٢١
- ٢١٢ وأبان عند الإمامية ضعيف أو كذاب ... ص: ٤٢٢
- ٢١٣ أبان من مشايخ أبي حنيفة وأبي يوسف ... ص: ٤٢٦
- ٢١٤ تكلم القوم في أبان ... ص: ٤٢٧
- ٢١٥ حاصل الكلام ... ص: ٤٢٩
- ٢١٥ رواية إبراهيم اليماني لكتاب سليم ... ص: ٤٢٩
- ٢١٦ ملحق في تحقيق حال الحسن البصري من حيث التشيع ... ص: ٤٣٣
- ٢١٦ إشارة
- ٢١٦ قال الفيض آبادي ... ص: ٤٣٥
- ٢٢٢ تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

استخراج المرام من استقصاء الافحام المجلد ١

إشارة

سرشناسه: حسینی میلانی، علی، ۱۳۲۶ -

عنوان قرار دادی: منتهی الکلام. شرح

استقصاء الافحام. عربی. شرح

عنوان و نام پدید آور: استخراج المرام من استقصاء الافحام للعلم الحجة آية الله السيد حامد حسين اللكهنوي بحوث و ردود تالیف علی الحسینی میلانی.

مشخصات نشر: قم مركز الحقایق الاسلامیة ۱۴۳۲ ق. -۱۳۹۰-

مشخصات ظاهری: ج.

شابک: دوره ۷-۵۰-۵۳۴۸-۶۰۰-۹۷۸؛ ۲۰۰۰۰۰ ریال ج. ۴۱-۵۱-۵۳۴۸-۶۰۰-۹۷۸؛ ۲۰۰۰۰۰ ریال ج. ۲-۵۲-۵۳۴۸-۶۰۰-۹۷۸

۱؛ ۲۰۰۰۰۰ ریال ج. ۸۳-۵۳-۵۳۴۸-۶۰۰-۹۷۸

یادداشت: عربی.

یادداشت: کتابنامه.

یادداشت: نمایه.

مندرجات: ج. ۱. العقائد - ج. ۲. التفسیر والمفسرون والصحاح الستة واصحابها - ج. ۳. ائمة المذاهب

موضوع: فیض آبادی، حیدر علی. منتهی الکلام -- نقد و تفسیر

موضوع: کنتوری، میرحامد حسین ۱۸۳۰ - ۱۸۸۸ م.. استقصاء الافحام -- نقد و تفسیر

موضوع: شیعه -- عقاید

موضوع: شیعه -- دفاعیه ها و ردیه ها

موضوع: اهل سنت -- دفاعیه ها و ردیه ها

شناسه افزوده: فیض آبادی، حیدر علی. منتهی الکلام. شرح

شناسه افزوده: کنتوری، میرحامد حسین ۱۸۳۰ - ۱۸۸۸ م.. استقصاء الافحام. عربی. شرح

شناسه افزوده: مرکز الحقائق الاسلامیه

رده بندی کنگره: BP۲۱۱/۵ ف/۹۴ م ۸۰۲۱۳ ۱۳۹۰

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۱۷۲

شماره کتابشناسی ملی: ۲۳۷۵۸۱۶

کلمة المؤلف ... ص: ۵

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين.

وبعد

فإن كتاب (استقصاء الإفحام) من مؤلفات آية الله المجاهد، والمحقق الفذ، والقُدوة الرائد (السيد ميرحامد حسين النيسابوري

اللكهنوي) الملقب ب (صاحب عبقات الأنوار) كتاب لم يصنف مثله في باب، وقد كنت سمعت به منذ أن تعرّفت على كتاب

(العبارات) وعلى مؤلفه الجليل، وذلك لما زار المحقق الحجة والعلامة الكبير المرحوم السيد محمد سعيد نجل آية الله السيد ناصر حسين نجل السيد (صاحب العبارات) كربلاء المقدسة، ونزل ضيفاً على سيدي الوالد آية الله السيد نورالدين الميلاني، قبل حوالي أربعين سنة...

لقد حدثني السيد السعيد - رحمه الله - عن آبائه وآثارهم، وشرح لي كثيراً من مآثرهم وأخبارهم، وعرفني بكتبهم وأسفارهم، ثم رغبني في مشروع كتاب (العبارات) وشرعت بذلك من ذلك الوقت وكانت (الفحات) «١». وكان كتاب (استقصاء الإفحام) من جملة الكتب التي تحدث عنها،

(١) نفحات الأزهار في خلاصة عبات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار. طبع في ٢٠ جزء.

استخراج المرام من استقصاء الإفحام، ج ١، ص: ٦

لاسيما وأنه كان قد ألف في النجف الأشرف، عندما كان يدرس في حوزتها العلمية الكبرى، كتاب (الإمام الثاني عشر) - الذي استفاد فيه كثيراً من (استقصاء الإفحام) - واقترح علي إعادة طبعه، فوقفت لذلك مع تعاليق وإضافات ثمينة والحمد لله «١». ثم رأيت أكابر الطائفة، يذكرون (استقصاء الإفحام) في تقاريفهم لمؤلفات (صاحب العبارات)، ووجدت جماعة من العلماء الأعلام ينقلون عنه ويستندون إليه في مؤلفاتهم المختلفة...

وهكذا... ازداد شوقى إلى (استقصاء الإفحام)، إلى أن وقفت عليه قبل أعوام، وقرأته من أوله إلى آخره، فألفيته مثل (العبارات) في البحث والتحقيق والمتانة، وفي القوة والدقة والرصانة، وإن لم يشتهر كاشتهاره.

فعمت على إخراج مطالبه التي لم يسبق إليها أحد من أعلامنا الماضين، وكان عيلاً عليه فيها كثير من علمائنا المتأخرين، وانتهزت لذلك فرص العطل، وواصلت العمل بلا ملل، حتى وفقني الله عز وجل، لتنظيم فرائده وترتيب فوائده، فجاءت في أربعة أبواب وملحقات وخاتمة.

فالباب الأول: في المسائل الاعتقادية.

والباب الثاني: في التفسير والمفسرين.

والباب الثالث: في الصحاح الستة وأصحابها.

والباب الرابع: في أئمة المذاهب الأربعة.

أما الملحقات، فهي بحوث في (مسائل فقهية) وفي (القياس) و (الإستحسان).

(١) طبع كتاب (الإمام الثاني عشر) في النجف الأشرف، مطبعة القضاء، سنة ١٣٩٣.

استخراج المرام من استقصاء الإفحام، ج ١، ص: ٧

وأما الخاتمة، فتحقيق عن (حديث الحوض) وما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في (الصحابة).

وقد وضعت له مقدمة، تعرضت فيها لما تمتاز به العلوم الدينية وأعلامها عند الفرقة الإمامية عن سائر الفرق الإسلامية، وللتعريف بالكتاب وموضوعاته ومؤلفه العظيم واسرته الأبرار، بالاستفادة من (دراسات في كتاب العبارات) وهي مقدمة (نفحات الأزهار في خلاصة عبات الأنوار).

والله أسأل أن ينفع به كما نفع بأصله، وأن يوفقنا للدفاع عن الحق وأهله، وأن يحشرنا في زمرة أتباع الأئمة المعصومين محمدا وآله الطيبين الطاهرين، إنه أكرم الأكرمين.

على الحسيني الميلاني

١٠ ربيع الثاني ١٤٢٤

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٩

تقديم ... ص: ٩

إشارة

زززز

افتراق الامة ... ص: ١١

لقد افترت الامة الإسلامية بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى فرق كثيرة وطوائف شتى ...

«كل حزب بما لديهم فرحون» (١).

وكل يدعى وصلاً بليلي ...

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر عن ذلك وأعلن بأن فرقة واحدة فقط منها ناجية، والباقي في النار (٢ ...)

ثم أرشد الامة إلى تلك الفرقة وعرفها لهم ... كما في الأحاديث والأخبار ...

وبذلك وقعت المحنة وحصل الاختبار ... كما قال تعالى: «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون» ولقد فتنا الذين

من قبلهم (٣ ...).

معالم الفرقة الناجية ... ص: ١١

وكان على كل باحث - إذا ما أراد أن يعرف الفرقة الحقّة الناجية - أن

(١) سورة المؤمنون ٢٣: ٥٣. سورة الروم ٣٠: ٣٢.

(٢) إشارة إلى حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه في سننهم، وأحمد في المسند ٢:

٣٣٢.

(٣) سورة العنكبوت ٢٩: ٢-٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٢

يعرض معالم الدين عند الفرق على الكتاب والسنة، لأنهما المصدران الأصليان والأساسيان في جميع الشؤون الدينيّة والمعارف

الإسلامية، فما وافقهما أو كان مستنبطاً منهما اخذ به، وما لم يكن كذلك طرح وترك، إذ ما من شيء إلا وبه كتاب أو سنة:

روى الشيخ الكليني بإسناده عن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

سمعت يقول: «ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة».

وعن عمر بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سمعت يقول: إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً يحتاج إليه الامة إلا أنزله في

كتابه وبينه لرسوله صلى الله عليه وآله، وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حداً».

وعن المعلّى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل، ولكن لا

تبلغه عقول الرجال».

وعن سماعة عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «قلت له: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله أو تقولون فيه؟ قال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله».

وعن إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم، ونحن نعلمه» (١). وإذا كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يؤكدون - كما في الأخبار الكثيرة الواردة عنهم - على ضرورة الرجوع إليهم في كل الأمور والأخذ منهم

(١) راجع: الكافي ١/ ٥٩ باب الرد إلى كتاب الله والسنة ...

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٣
والتمسك بهم ... فإن ذلك ما أوصى به رسول الله الصادق الأمين في الأحاديث الثابتة عنه المروية في كتب جميع الفرق. ومن أشهر تلك الأحاديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كأني قد دعيت فأجبت، وإني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتي» (١ ...).

دور الأئمة في حفظ الدين ونشر العلم ... ص: ١٣

وفي هذا الباب روايات خاصة بأئمة المؤمنين عليه السلام، بين فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزلة الإمام ومقامه العلمي، وأنه ما من شيء من العلوم إلا ولابد أن يؤخذ منه ويرجع إليه فيه ويتبع قوله ... ومن أشهر تلك الروايات قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب» (٢).

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣/ ١٠٩. وهذا هو الحديث المعروف بحديث الثقلين، أخرجه المحدثون والمفسرون والمؤرخون وسائر العلماء في مختلف الكتب وبألفاظ مختلفة، فراجع: مسند أحمد ٥/ ١٨١ و ٣/ ٢٦ وغيرهما، والمصنف لابن أبي شيبة ١٠/ ٥٠٥، صحيح الترمذی ٥/ ٦٦٣، جامع الاصول ١/ ٢٧٨، الطبقات الكبرى ١/ ١٩٤، المعجم الكبير ٣/ ٦٢، مصابيح السنة ٤/ ١٩٠، كتاب السنة لابن أبي عاصم: ٣٣٦، مجمع الزوائد ٩/ ١٦٥، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٣/ ١٤، الصواعق المحرقة: ٢٣٣ وغيرها من كتب المتقدمين والمتأخرين من أهل السنة. ومن شاء التفصيل فليرجع إلى كتاب (نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار) الأجزاء ١-٣.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣/ ١٢٧. وهذا هو حديث مدينة العلم، ورواته من الأئمة الأعلام عند السنة كثيرون جداً، فراجع: تهذيب الكمال وتهذيب التهذيب، بترجمة الإمام علي عليه السلام، تاريخ ابن كثير ٧/ ٣٥٩، جامع الاصول ٩/ ٤٧٣، جمع الجوامع ١/ ٣٧٣، تاريخ بغداد ٢/ ٣٧٧ و ٤/ ٣٤٨ و ٧/ ١٧٢ و ١١/ ٢٠٤، الرياض النضرة ٢/ ٢٥٥، فيض القدير ٣/ ٤٧، تاريخ الخلفاء: ١٧٠، المعجم الكبير ١١/ ٦٥، اسد الغابة ٤/ ٢٢، تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٨، مجمع الزوائد ٩/ ١١٤، عمدة القارى في شرح البخارى ٧/ ٦٣١، إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٤٤. ومن شاء التفصيل فليرجع إلى كتاب (نفحات الأزهار) الأجزاء ١٠-١٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٤
حيث أفاد أن العلوم كلها مجموعة عنده، وأنه يجب على الناس طلب العلم، وأن الطريق الوحيد إليه هو مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام ... فقد كان المرجع الوحيد للمتصدين للأمر، وكبار الصحابة، فكم من مشكل علمية عجزوا

عن حلها أو مسألةً فقهيةً جهلوا الحكم الشرعي فيها، فكان هو المرجع وإليه المفزع، حتى قال الحافظ النووي بترجمته: «وسؤال كبار الصحابة له ورجوعهم إلى فتاواه وأقواله في المواطن الكثيرة والمسائل المعضلات، مشهور» (١). وإن ذلك من أقوى الأدلة على إمامته المطلقة وولايته العامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... لأن من أولى الصفات المعبرة في الإمام - عند علماء الكلام من الخاصة والعامة - هو العلم: قال شارح المواقف: «المقصد الثاني، في شروط الإمامة، الجمهور على أن الإمامة ومستحقها من هو مجتهد في الأصول والفروع، ليقوم بامور الدين، متمكناً من إقامة الحجج وحل الشبه في العقائد الدينية، مستقلاً بالفتوى في النوازل وأحكام الوقائع، نصاً واستنباطاً، لأن أهم مقاصد الإمامة حفظ العقائد

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٤٦.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٥
وفصل الحكومات ورفع المخاصمات، ولن يتم ذلك بدون هذا الشرط» (١).
وليس فقط رجوع كبار الصحابة وغيرهم... بل العلوم الإسلامية كلها منه اخذت وعنه انتشرت...
أمياً في المدينة المنورة، فقد عرفت أنه كان المرجع للمتقمنين للخلافة ولغيرهم، حتى اشتهر عن عمر بن الخطاب قوله: «لولا على لهلك عمر» (٢)، و «أفضانا على» (٣) و «لا أبقاني الله بعدك يا على» (٤).
وعن سعد بن أبي وقاص - في كلام له عن الإمام عليه السلام يخاطب الناس... - «ألم يكن أعلم الناس» (٥).
وعن ابن عباس: «والله، لقد اعطى علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله، لقد شاركم في العشر العاشر» (٦).
وعن أبي سعيد الخدري: «أفضاهم على» (٧).
وعن ابن مسعود: «كنا نتحدث أن أفضى أهل المدينة على» (٨).
وعن عائشة: «علي أعلم الناس بالسنة» (٩).
وأما مكة المكرمة، فقد عاش فيها الإمام منذ ولادته حتى الهجرة،

(١) شرح المواقف ٨/ ٣٤٩.

(٢) الاستيعاب ٣/ ١١٠٣، فيض القدير ٤/ ٣٥٧.

(٣) الاستيعاب ٣/ ١١٠٢.

(٤) الرياض النضرة ٢/ ١٩٧، فيض القدير ٤/ ٣٥٧.

(٥) المستدرک ٣/ ٥٠٠.

(٦) الاستيعاب ٣/ ١١٠٤، الرياض النضرة ٢/ ١٩٤.

(٧) فتح الباري ٨/ ١٣٦.

(٨) الاستيعاب ٣/ ١١٠٥.

(٩) الرياض النضرة ٢/ ١٩٣.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٦.
وسافر إليها بعد الإستيغان بالمدينة غير مرة، ولا ريب في أخذ أهل مكة منه العلم والمعرفة في خلال هذه المدة.
على أن تلميذه الخاص - أعني عبد الله بن العباس - كان بمكة مدةً مديدةً ينشر العلم، ويفسر القرآن، ويعلم المناسك، ويدرس الفقه،

قال الذهبي بترجمته: «الأعمش، عن أبي وائل قال: استعمل علي ابن عباس علي الحج، فخطب يومئذ خطبةً لو سمعها الترك والروم لأسلموا، ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسرها» (١).

وروى ابن سعد عن عائشة: «إنها نظرت إلى ابن عباس ومعه الخلق ليالي الحج، وهو يسئل عن المناسك. فقالت: هو أعلم من بقي بالمناسك» (٢).

وقال ابن عبد البر: «روينا أن عبد الله بن صفوان مر يوماً بدار عبد الله بن عباس بمكة، فرأى فيها جماعة من طالبى الفقه» (٣... ٣). واعترف ابن تيمية بهذه الحقيقة... قال السيوطي: «قال ابن تيمية: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس رضى الله عنهم، كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاووس، وغيرهم» (٤). وأما الشام، فقد انتشر العلم فيه عن أبي الدرداء، وهو تلميذ عبد الله بن مسعود، وابن مسعود من تلامذة الإمام، فأنتهى إليه عليه السلام علم أهل الشام:

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٤٠ - ٤١.

(٢) الطبقات الكبرى ٢ / ٢٨٢.

(٣) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٣ / ٩٣٧.

(٤) الإتيان فى علوم القرآن ٢ / ٥٣٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٧

روى الحافظ أبو العباس المحب الطبرى: «عن أبي الزعراء عن عبد الله قال: علماء الأرض ثلاثة، عالم بالشام، وعالم بالحجاز، وعالم بالعراق. فأما عالم أهل الشام فهو أبو الدرداء، وأما عالم أهل الحجاز فهو علي بن أبي طالب، وأما عالم أهل العراق فأخ لكم. وعالم أهل الشام وعالم أهل العراق يحتاجان إلى عالم أهل الحجاز، وعالم أهل الحجاز لا يحتاج إليهما. أخرج الحضرى» (١). وأما البصرة، فقد ورد إليها الإمام عليه السلام بنفسه، وتلك خطبه ومواعظه فيها مدونة فى كتب التاريخ. وأيضاً، فقد أخذ أهل البصرة وتفقهوا على ابن عباس حيث كان والياً على البصرة من قبل الإمام، وهو من أشهر تلاميذه وملازميه بلا كلام، قال الحافظ ابن حجر:

«إن ابن عباس كان يغشى الناس فى رمضان وهو أمير البصرة، فما ينقضى الشهر حتى يفقههم» (٢).

وأما الكوفة، فقد تعلم أهلها القرآن والسنة منه عليه السلام مباشرة مدة بقاءه بها... ولو كانوا قد تعلموا شيئاً من ذلك قبل وروده إليها، فمن عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر، وهما من تلامذته عليه السلام. وأما اليمن، فقد روى الكل أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد بعثه إلى اليمن قاضياً، والقضاء هو الفقه، فهو أفقه الأمة، لقوله صلى الله عليه وآله

(١) الرياض النضرة فى مناقب العشرة ٣ / ١٩٩ - ٢٠٠.

(٢) الإصابة فى معرفة الصحابة ٤ / ١٥٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٨

وسلم - فيما رواه الفريقان - «أفضاكم على» (١).

وهو الذى فقه أهل اليمن وعلمهم، وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين بعثه إليهم: «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه» (٢).

فهذا بعث على إلى اليمن، وهذا شأنه فى العلم وموقعه من الفقه، فقد انتشر العلم فى تلك البلاد بواسطته.

وأما معاذ بن جبل، فقد بعثه النبي إلى طائفةٍ من اليمن «ليجبره» بعد أن «أغلق ماله عن الدين ... فباع النبي ماله كله في دينه، حتى قام معاذ بغير شيء» (٣).

وأما شأن معاذ في العلم والفقه فلا يقاس بالإمام - كما لا يقاس به غيره - بل في نفس خبر بعثه إلى اليمن ما يدل على فسقه أو جهله بأدنى الأحكام الشرعيّة (٤).

وهكذا كان حال سائر أئمّة أهل البيت عليهم السلام، فقد كانوا الحافظين لحدود الشريعة المقدّسة من أن يتلاعب بها المبتدعون، بإدخال شيء في الدين أو نقص شيء منه، وللعقائد الثابتة من الشبهات، والائمة من

(١) ورد بألفاظٍ مختلفة في: المستصفى في علم الاصول ١/ ٧٠، تاريخ دمشق ٥١/ ٣٠٠، حلية الأولياء ١/ ٦٥، الطبقات الكبرى ٢/ ٢٥٨ و ٢٥٩، كشف الخفاء ١/ ١٦٢.

(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ٧٧٤ ح ٢٣١٠، كتاب الأحكام، باب ذكر القضاء، سنن أبي داود ٣/ ٢٩٩ - ٣٠٠ ح ٣٥٨٢، سنن البيهقي ٥/ ١١٦ ح ٨٤١٩، مسند عبد بن حميد: ٦١ ح ٩٤، تاريخ بغداد ١٢/ ٤٤٤ رقم ٦٩١٦، الطبقات الكبرى ٢/ ٢٥٧، دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٩٧، نصب الرأية ٥/ ٣٦ وغيرها.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ١٤٠٤.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ١٤٠٥.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٩.

الضلالات، وبواسطتهم انتشرت المعارف الإسلاميّة، ومنهم أخذ فقهاء المذاهب، وقد جاء ذلك كله بتراجهم في كتب مخالفيهم أيضاً:

* فقد ذكروا بترجمة الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين: أنّه كان «أفضل هاشميّ في زمانه» (١) و «كان كثير الحديث» (٢) وقد سمّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم - فيما رواه الفريقان عن جابر بن عبد الله - «سيد العابدين» (٣)، وأنّه قد روى عنه الزهري في جماعةٍ من أكابر القوم (٤).

والزهري هو الذي دوّن السنّة لما أمر بذلك عمر بن عبدالعزيز، بعد قرنٍ من منع عمر بن الخطاب كتابة الأحاديث النبويّة.

* وبترجمة الإمام محمّد بن عليّ الباقر: إنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الذي سمّاه بهذا اللقب، في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري الذي أشرنا إليه.

وروى ابن قتيبة: «إنّ هشاماً قال لزيد بن عليّ: ما فعل أخوك البقرة؟»

فقال زيد: سمّاه رسول الله باقر العلم وأنت تسميه بقرة! فاختلتما إذن» (٥).

وقال الجوهرى: «التبقر: التوسع في العلم ... وكان يقال: محمّد بن عليّ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الباقر، لتبقره في العلم» (٦).

وقال الزبيدي صاحب تاج العروس: «وقد ورد في بعض الآثار عن جابر

(١) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٠٤ وفي ط ٢٦٨.

(٢) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٠٤ وفي ط ٢٦٨.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٢٠، تذكرة الخواص: ٣٣٧، مناقب آل أبي طالب ٤/ ١٩٦، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة ٢/ ٣٣١.

(٤) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب وغيره.

(٥) عيون الأخبار ١/ ٢١٢.

(٦) صحاح اللغة «ب. ق. ر».

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٠

ابن عبد الله الأنصاري: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: يوشك أن تبقى حتى تلقى ولدًا لي من الحسين يقال له محمد، يقر العلم بقرًا، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام. خرّجه أئمة النسب «١».

روى عنه من الأئمة: الزهري والأوزاعي والأعمش وأبو حنيفة وابن جريج «٢».

* وبترجمة الإمام جعفر بن محمد الصادق:

عن مالك بن أنس: «اختلفت إليه زمانًا، فما كنت أراه إلّا على إحدى ثلاث خصال: إمّا مصلّ وإمّا صائم وإمّا يقرأ القرآن. وما رأيت يحدّث إلّا عن طهارة» «٣».

وعن أبي حنيفة: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد».

لمّا أقدمه المنصور بعث إليّ فقال: يا أبا حنيفة: إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد، فهتئى له من المسائل الشداد، فهتأت له أربعين

مسألة. ثم بعث إلى أبو جعفر - وهو بالحيرة - فأتيته فدخلت عليه، وجعفر بن محمد جالس عن يمينه، فلمّا أبصرت به دخلتني من الهيبة

لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلمت عليه وأومأ إليّ، فجلست، ثم التفت إليه فقال:

يا أبا عبد الله، هذا أبو حنيفة.

قال جعفر: نعم. ثم أتبعها: قد أتانا. كأنه كره ما يقول فيه قوم أنه إذا

(١) تاج العروس في شرح القاموس «ب. ق. ر».

(٢) تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٠١ و ٩ / ٣١٢، حلية الأولياء ٣ / ١٨٨، تذكرة الحفاظ ١ / ١٢٤.

(٣) تهذيب التهذيب ٢ / ٨٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢١

رأى الرجل عرفه.

ثم التفت المنصور إليّ فقال: يا أبا حنيفة، ألق على أبي عبد الله من مسائلك. فجعلت القي عليه فيجيبني فيقول:

أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربّما تبعناهم وربّما خالفنا جميعاً.

حتى أتيت على الأربعين مسألة.

ثم قال أبو حنيفة: ألسنا روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس «١».

فهذا كلام مالك وأبي حنيفة وهما من تلامذته، وقال الألويسي في كلام له:

«هذا أبو حنيفة يفتخر ويقول بأفصح لسان: لولا السنتان لهلك النعمان» «٢».

وعن أبي حاتم الرازي: «لا يسئل عن مثله» «٣».

وعن ابن حبان: «كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً» «٤».

وقال النووي: «اتفقوا على إمامته وجلالته» «٥».

وقال الشهرستاني: «قد أقام بالمدينة مدّة يفيد الشيعة المنتمين إليه،

(١) جامع مسانيد أبي حنيفة ١ / ٢٢٢، تذكرة الحفاظ ١ / ١٥٧.

(٢) مختصر التحفة الإثني عشرية: ٨.

(٣) تهذيب التهذيب ٨٩ / ٢.

(٤) تهذيب التهذيب ٨٨ / ٢.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات ١٥٥ / ١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٢

ويفيض على الموالين أسرار العلوم، ثم دخل العراق وأقام بها مدةً» (١).

وقال الياقعي: «له كلام نفيس في علوم التوحيد وغيرها، قد ألف تلميذه جابر بن حيان الصوفي كتاباً يشتمل على ألف ورقة، يتضمن رسائله وهي خمسمائة رسالة» (٢).

وقال ابن حجر: «ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في البلدان. وروى عنه الأئمة الأكابر، ك يحيى بن سعيد وابن جريج ومالك والسفيانين وأبي حنيفة وشعبة وأيوب السختياني» (٣).

* وترجمه الإمام موسى بن جعفر الكاظم: إنه كان يدعى «العبد الصالح» من عبادته واجتهاده (٤).

وإنه «إمام من أئمة المسلمين» (٥).

وقال الذهبي: «موسى الكاظم... الإمام القدوة... ذكره أبو حاتم فقال: ثقة صدوق، إمام من أئمة المسلمين...»

له مشهد عظيم مشهور ببغداد، دفن معه فيه حفيده الجواد، ولولده عليّ ابن موسى مشهد عظيم بطوس» (٦).

(١) الملل والنحل ١٤٧ / ١.

(٢) مرآة الجنان ٣٠٤ / ١.

(٣) الصواعق المحرقة: ١١١.

(٤) تهذيب التهذيب ٣٠٢ / ١٠، تاريخ بغداد ٢٧ / ١٣، تهذيب الكمال ٤٤ / ٢٩، صفوة الصفوة ١٢٤ / ٢.

(٥) تهذيب الأسماء ٣٠٢ / ١.

(٦) سير أعلام النبلاء ٢٧٠ / ٦.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٣

وقال ابن حجر: «هو وارث أبيه علماً ومعرفةً وكمالاً وفضلاً، سمى الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم» (١).

* وترجمه الإمام عليّ بن موسى الرضا: أنه كان يفتي بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن عشرين سنة (٢).

وقال الذهبي: «علي بن موسى الرضا، أحد الأعلام. هو الإمام أبو الحسن... كان سيد بني هاشم في زمانه وأجلهم وأنبأهم، وكان المأمون يعظمه ويخضع له ويتغالي فيه، حتى أنه جعله وليّ عهده من بعده وكتب بذلك إلى الآفاق» (٣).

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي وغيره في خبر جعل المأمون الإمام وليّ العهد:

«وذلك أنه نظر في بني العباس وبني عليّ، فلم يجد أحداً أفضل ولا أروع ولا أعلم منه، وأنه سمّاه الرضى من آل محمد، وأمر بالبيعة له» (٤).

روى عنه من الأئمة: أحمد بن حنبل (٥).

وأخرج عنه: الترمذى وأبو داود وابن ماجه.

وروى الحافظ ابن حجر عن الحاكم أبي عبد الله قوله: «سمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام

أهل الحديث أبي بكر ابن خزيمة وعديله أبي عليّ الثقفي مع جماعة من مشايخنا- وهم إذ

(١) الصواعق المحرقة: ١١٢.

(٢) تهذيب التهذيب ٣٣٨ / ٧، المنتظم ١٠ / ١٢٠، تذكرة الخواص: ٣٥١.

(٣) تاريخ الإسلام، حوادث ٢٠١ - ٢١٠ ص: ٢٦٩.

(٤) المنتظم في تاريخ الامم ٩٣ / ١٠، وفيات الأعيان ٢ / ٤٣٢ وغيرهما.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣٨٧ / ٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٤

ذاك متوافرون- إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا بطوس، فرأيت من تعظيمه- يعني ابن خزيمة- لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحيرنا» (١).

وجاء في غير واحد من الكتب: إنه لما دخل الإمام عليه السلام نيسابور راكباً، خرج إليه علماء البلد وبأيديهم المحابر والدوى، وتعلقوا بلجام دابته وحلفوه أن يحدثهم بحديث عن آبائه فقال: حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه ... علي بن أبي طالب قال: حدثني حبيبي وقرّة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: حدثني جبريل قال: سمعت رب العزة يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني وأمن من عذابي.

وفي رواية: إنه روى عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سألت رسول الله: ما الإيمان؟ قال: معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

وعن أحمد بن حنبل: إن قرأت هذا الإسناد على مجنون برئ من جنونه.

هذا، وكان على رأس العلماء الذين طلبوا من الإمام أن يحدثهم:

أبوزرعة الرازي، ومحمد بن أسلم الطوسي، وياسين بن النضر، وأحمد ابن حرب، ويحيى بن يحيى ...

وقد عدّ أهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون، فأنفوا على عشرين ألفاً (٢).

* فهؤلاء- وسائر الأئمة الإثني عشر- هم المؤسسون لمذهب الإمامية،

(١) تهذيب التهذيب ٣٣٩ / ٧.

(٢) أخبار اصبهان ١٣٨ / ١، المنتظم ١٠ / ١٢٠ وغيرهما.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٥

والمشيدون لأركان العلوم الإسلامية.

وقد علم ممّا تقدّم:

١- إن أئمة أهل البيت عليهم السلام كان كلّ واحدٍ منهم أعلم الناس في زمانه وأفضلهم، وقد شهد بذلك المخالف كالمؤالف.

٢- إن العلوم الإسلامية إنما انتشرت في البلاد بواسطة الأئمة عليهم السلام في كلّ عصر، فالصّحابة العلماء كابن عباس وابن مسعود وابتى بن كعب وأبي ذر الغفاري وأمثالهم، تعلّموا من أمير المؤمنين، وكذلك التابعون قد أخذوا عنه وعن الأئمة من بعده والصّحابة من تلامذته.

٣- إن علماء المذاهب الاخرى قد حضروا عند الأئمة، ومنهم أخذوا عنهم وروا، وعلى رأسهم: مالك بن أنس وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل ...

ثم إن نشر الأئمة عليهم السلام للعلوم وتعليمهم الأئمة معارف الدين، لم يقتصر على طريق من الطرق أو أسلوب من الأساليب ... بل لقد استفادوا لذلك من كافة الوسائل وشتى الطرق، كالكتابة، والخطابة، والدعاء، والإملاء، والتدريس: ففي الوقت الذي منعت الحكومه - ولأغراض عديده - من تدوين السنه النبويه الشريفه، لم يقنع أمير المؤمنين عليه السلام بأجوبة الإستفتاءات وحلّ المشكلات وتعليم العلوم، بل عمد إلى الكتابة أيضاً وحثّ عليها ... يقول الحافظ السيوطي:

«كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم،

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٦

فكرها كثير منهم، وأبحاثها طائفة وفعلوها، منهم: علي وابنه الحسن» (١).

وما كتبه عليه السلام كان موجوداً لدى أبنائه، ينظرون فيه وينقلون عنه، كما لا يخفى على من راجع أحاديثهم «... ٢» وكتب أيضاً كتابه الجليل على بن أبي رافع: «وهو تابعي، من خيار الشيعة، كانت له صحبة مع أمير المؤمنين، وكان كاتباً له، وحفظ كثيراً، وجمع كتاباً في فنون الفقه، كالوضوء والصلاة وسائر الأبواب، وكانوا يعظمون هذا الكتاب» (٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام مخاطباً أصحابه:

«أكتبوا، فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا» (٤).

«أكتبوا، فإنكم لا تحفظون إلا بالكتاب» (٥).

«ما يمنعكم من الكتاب؟ إنكم لن تحفظوا حتى تكتبوا، إنه خرج من عندي رهط من أهل البصرة يسألون عن أشياء فكتبوها» (٦). وورد الحث على الإحتفاظ بالكتب:

«إحتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها» (٧).

وأما خطب الأمير عليه السلام من على منبر الكوفة، فما زالت محطّ

(١) تدريب الراوي ٢: ٦٥.

(٢) انظر كتاب: وسائل الشيعة، في مختلف الأبواب منه.

(٣) رجال النجاشي: ٢ / ٦.

(٤) وسائل الشيعة ٢٧: ٣٢٣ / ٣٣٨٤٤.

(٥) مستدرک الوسائل ١٧: ٢٨٥ / ٢١٣٥٩.

(٦) مستدرک الوسائل ١٧: ٢٩٢ - ٢٩٣ / ٢١٣٨٣.

(٧) وسائل الشيعة ٢٨: ٣٢٣ / ٣٣٨٤٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٧

أنظار أهل العلم ومحور أفكار أهل الفهم ... فقد زخرت بأسرار الحكمة الإلهية، وكشفت عن أستار كثير من المعارف الدينية، واشتملت على امهات الحقائق المعنوية ... فيها براهين إثبات المبدء والمعاد، ومباحث صفات البارى وآيات عظمتة وحكمته ...

ثم جاءت هذه المعاني في قالب الأدعية، على لسان حفيده الإمام السجاد عليه السلام ... وعرف بالصحيفة السجادية.

وجاءت على شكل الإملاء عن الإمام الصادق عليه السلام فيما نقله المفضل بن عمر، وعرف بكتاب: توحيد المفضل.

وأما جلسات الدرس والسؤال والجواب، فعن الحافظ أبي العباس ابن عقدة الكوفي المتوفى سنة ٣٣٣ أنه وضع كتاباً في أسماء تلامذة

الإمام الصادق عليه السلام، فذكر ترجمه ٤٠٠٠ رجل منهم (١).

وعن الحسن الوشاء: «إني أدركت في هذا المسجد- يعنى مسجد الكوفة- ٩٠٠ شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد» (٢).
ومن هنا، انتشر التشيع وأحاديث أهل البيت عليهم السلام بين أهل الكوفة، وأصبحت الكوفة مركزاً من مراكز الإشعاع الفكرى لمذهب العترة الطاهرة، ومعقلاً من معاقل أتباعهم الأخيار، ودخلت رواياتهم فى كتب أهل السنة وخاصية صحاحهم المعروفة، فإنهم- وإن نبزوهم بالرفض للمتقدمين على على عليه السلام- لم يتمكنوا من رفض رواياتهم، لأنصافهم بأسمى صفات الوثاقه وأتم شروط الإعتبار والإعتقاد، حتى قال الذهبى:

(١) تاريخ الكوفة: ٤٠٨.

(٢) رجال النجاشى: ٣٩- ٨٠ / ٤٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٨

«أبان بن تغلب [م، عو] الكوفى، شيعى جلد، لكنّه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته.

وقد وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو حاتم. وأورده ابن عدى وقال: كان غالباً فى التشيع. وقال السعدى: زائغ مجاهر.

فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع وحدّ الثقة العدالة والإتقان، فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة؟

وجوابه: إن البدعة على ضربين: فبدعة صغرى، كغلو التشيع أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثير فى التابعين وتابعيهم مع الدين

والورع والصدق، فلو ردّ حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة» (١).

ولذا قال السيد شرف الدين العاملى رحمه الله:

«وتلك صحاحهم السنة وغيرها تحتج برجال من الشيعة، وصمهم الواصمون بالتشيع والإنحراف، ونبزوهم بالرفض والخلاف، ونسبوا

إليهم الغلو والإفراط والتكبر عن الصراط، وفى شيوخ البخارى رجال من الشيعة نبزوا بالرفض ووصموا بالبغض، فلم يقدح ذلك فى

عدالتهم عند البخارى وغيره، حتى احتجوا بهم فى الصحاح بكل ارتياح.

إن الشيعة إنما جروا على منهاج العترة الطاهرة وأتسموا بسماتها، وإنهم لا يطبعون إلا على غرارها ولا يضررون إلا على قالبها، فلا نظير

لمن اعتمدوا عليه من رجالهم فى الصدق والأمانة، ولا قرين لمن احتجوا به من أبطالهم فى الورع والإحتياط، ولا شبيه لمن ركنوا إليه

من أبدالهم فى الزهد والعبادة وكرم

(١) ميزان الاعتدال ١ / ٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٩

الأخلاق وتهذيب النفس ومجاهدتها ومحاسبتها بكل دقة، آناء الليل وأطراف النهار، لا يبارون فى الحفظ والضبط والإتقان، ولا

يجارون فى تمحيص الحقائق والبحث عنها بكل دقة واعتدال.

وقد علم البرّ والفاجر حكم الكذب عند هؤلاء الأبرار، والالوف من مؤلفاتهم المنتشرة تلحن الكاذبين، وتعلن أن الكذب فى الحديث

من الموبقات الموجبة لدخول النار، ولهم فى تعميد الكذب فى الحديث حكم قد امتازوا به، حيث جعلوه من مفطرات الصائم،

وأوجبوا القضاء والكفارة على مرتكبه فى شهر رمضان، كما أوجبوهما بتعميد سائر المفطرات، وفقههم وحديثهم صريحان بذلك،

فكيف يتهمون- بعد هذا- فى حديثهم وهم الأبرار الأخيار قوامون الليل صوامون النهار؟ وبماذا كان الأبرار من شيعة آل محمد

وأولياؤهم متهمين، ودعاة الخوارج والمرجئة والقدرية غير متهمين، لولا التحامل الصريح أو الجهل القبيح؟ نعوذ بالله من الخذلان،

وبه نستجير من سوء عواقب الظلم والعدوان».

ثم ذكر السيد أسماء مائة من رجال الشيعة الواردين فى أسناد الصحاح السنة ... (١)

أقول:

إن من النقاط الجديرة بالذكر في تراجم العلماء الشيعة والسنة في كتب التاريخ والرجال لأهل السنة: أولاً: إنهم يترجمون للرجل من أهل السنة وإن كان خاملاً، وأما إن كان من علماء الشيعة فيحاولون التناسي عنه وإن كان كبيراً فيهم، ولذا ترى تراجم

(١) المراجعات: ١٠٢-١٠٣ بتلخيص.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٣٠
 علماء الإمامية في كتب القوم الرجالية والتاريخية قليلة جداً.
 وثانياً: إنه إن كان من أهل السنة يتعرضون لجميع جوانب حياته، فيذكرون مشايخه وتلامذته ومؤلفاته ومناقبه وما قيل فيه وحتى أسفاره... أمّا العالم الإمامي فيختصرون الكلام بترجمته جداً، وربما لا يترجمون لشخصية من أكابرهم المشهورين إلا بأسطرٍ أو سطرين!
 وثالثاً: - وهي المهمة هنا- أنك ترى بتراجم علمائهم إرتكاب الكبائر والموبقات الموجبة لدخول النار، ولا تجد شيئاً من ذلك بتراجم علماء الإمامية، ولو كان أحدهم متهماً- ولو من قبل الخصوم- بموبقة، لذكروا بل وهزجوا!...
 وسنورد نماذج من تراجم علماء الإمامية، ونماذج من الموبقات المذكورة بتراجم علماء السنة.

أهم العلوم في المدرسة الشيعية ... ص: ٣٠

وكان أكثر الإهتمام والإشتغال- في مدرسة أهل البيت عليهم السلام- بمسائل العقائد وعلوم القرآن الكريم والأحكام الفقهية، وعلى هذه الامور كانت تدور بحوثهم وحلقات دروسهم، وفيها ألفوا الكتب ووضعوا الرسائل التي لا تحصى، ونبغ فيها العلماء الفطاحل الأعلام في مختلف القرون:

علم الكلام ... ص: ٣٠

ففي علم الكلام، قال الشيخ الحرّ العاملي- وعنه السيد حسن الصدر- ما ملخصه:

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٣١
 إنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن من شيعة على عليه السلام إلا أربعة مخلصون: سلمان والمقداد وأبوذر وعمّار، ثم تبعهم جماعة، وكانوا يكثرون بالتدريج، فلمّا أخرج عثمان أباذر إلى الشام تشييع على يده جماعة كثيرون، ثم أخرجهم معاوية إلى القرى، فوقع في جبل عامل فتشيعوا من ذلك اليوم «١».

وفي الصحابة أيضاً: ابن عباس وقيس بن سعد بن عبادة وصعصعة بن صوحان وأبو الطفيل ... في جماعة آخرين «٢».

أمّا في أصحاب الأئمة وتلامذتهم، فالمشهورون منهم في علم الكلام:

سليم بن قيس الهلالي

والأصبغ بن نباتة

وكميل بن زياد النخعي

والحارث الهمداني

وهشام بن الحكم

وهشام بن سالم الجواليقي
 وحرمان بن أعين
 وأبو جعفر محمد بن علي بن النعمان الأحول، الملقب بمؤمن الطاق
 وقيس الماصر
 وعلي بن إسماعيل بن ميثم التمار
 والفضل بن شاذان النيسابوري

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٣٥١.

(٢) أعيان الشيعة ١: ١٣٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٢

وقد اشتهر من أعلام الإمامية في علم الكلام:

أبو جعفر ابن قبة الرازي
 والحسن بن الحسين النوبختي
 والشيخ المفيد البغدادي
 والسيد المرتضى الموسوي
 والشيخ أبو الفتح الكراچكي
 والشيخ أبو جعفر الطوسي
 والشيخ نصير الدين الطوسي
 والعلامة الحلّي

علوم القرآن ... ص: ٣٢

واشتهر في علوم القرآن من الإمامية بعد طبقة الصحابة:

ميثم بن يحيى التمار
 وسعيد بن جبير
 وإسماعيل بن عبدالرحمن السدي، وهو المعروف بالسدي الكبير
 ومحمد بن السائب الكلبي
 وأبو حمزة الثمالي
 وهشام بن محمد الكلبي
 وأبان بن تغلب
 ويونس بن عبدالرحمن
 والحسن بن محبوب السراذ
 استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٣
 ومحمد بن مسعود العياشي

وفرات بن إبراهيم الكوفى
وعلى بن إبراهيم القمى
وأبو جعفر الطوسى
وابن شهر آشوب السروى
وأبو على الطبرسى
والعلامة الحلّى

علم الفقه والحديث ... ص: ٣٣

وأما الفقهاء والمحدثون الكبار من أصحاب الأئمة عليهم السلام ومن بعدهم، فنذكر منهم جماعةً:

على بن أبى رافع
وأبو حمزة الثمالى
وجابر بن يزيد الجعفى
وزيد بن على بن الحسين
وأبان بن تغلب
ومحمد بن مسلم الطائفى
وأبو بصير يحيى بن القاسم
وزرارة بن أعين
ومعاوية بن عمّار الدهنى
ومعروف بن خزّبوذ المكى
استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٤
وجميل بن درّاج
وصفوان بن يحيى
وعبيدالله بن موسى العبسى
وأحمد بن محمد بن أبى نصر البنزطى
وأحمد بن محمد بن خالد البرقى
ومحمد بن يعقوب الكلينى
وابن الجنيد الإسكافى
وابن أبى عقيل العمانى
وابن بابويه الصدوق القمى
والمفيد البغدادى
والسيّد المرتضى الموسوى
وأبو جعفر الطوسى
وأبو الفتح الكراجكى

واين إدريس الحلّي
وأبو القاسم جعفر بن الحسن الحلّي
والعلامة الحلّي

وهنا فوائد ...: ص: ٣٤

الفائدة الاولى

قد ظهر ممّا تقدّم أنّ الأصل في العلوم الإسلاميّة- الموجودة بأيدي المسلمين، والتي نبغ فيها العلماء الأعلام في مختلف القرون- هم أئمة أهل

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٥
البيت وعلى رأسهم أمير المؤمنين وباب مدينة العلم عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

الفائدة الثانية

إنّ من أعلام الإماميّة من تزلّع وتبحر في عدّة من العلوم الإسلاميّة، فالشيخ أبو جعفر الطوسي- مثلاً- فقيه، مفسّر، متكلم، محدث، وهذا في علماء هذه الطائفة كثير، وبين علماء سائر الفرق قليل.

الفائدة الثالثة

إنّ الجوامع الحديثية المعروفة عند الإماميّة، والتي عليها المدار في الفقه والحديث، هي الكتب الأربعة:

- ١- الكافي للشيخ أبي جعفر الكليني
 - ٢- من لا يحضره الفقيه، للشيخ ابن بابويه الصدوق القمي
 - ٣- تهذيب الأحكام
 - ٤- الإستبصار فيما اختلف من الأخبار وكلاهما للشيخ أبي جعفر الطوسي.
- ثمّ الكتب الأربعة الثانية:
- ١- بحار الأنوار، للشيخ محمّد باقر المجلسي
 - ٢- الوافي، للشيخ الفيض الكاشاني
 - ٣- وسائل الشيعه، للشيخ الحرّ العاملي
 - ٤- مستدرک وسائل الشيعه، للشيخ النوري الطبرسي.

الفائدة الرابعة

إنّ الكتب الفقهيّة التي ألفها أصحاب الأئمة عليهم السلام كانت تحتوي

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٦

أمّهات المسائل في كثير من الأبواب، ثمّ ألقت الكتب الكبار شيئاً فشيئاً، حتّى توسّع الفقه الشيعي، وخصّيف فيه الموسوعات الضخمة مثل (الحدائق الناضرة) للشيخ يوسف البحراني، و (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) للشيخ محمّد حسن النجفي المعروف بصاحب الجواهر.

تنبيه

قد اكتفينا في طبقات العلماء في مختلف العلوم بذكر أسماء جماعه من أشهرهم في كلّ علم، ابتداءً بالأصحاب وانتهاءً بالعلامة الحلّي

رحمه الله.

وأما من جاء بعد العلامة- وإلى يومنا هذا- من أكابر العلماء فلا يعدون كثرةً.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٧

تراجم أعلام الشيعة في كتب السنة ... ص: ٣٧

ولأجل أن نعرّف بطائفة من أعلام الإمامية في الكلام والفقه والحديث وعلوم القرآن، ونشيد بدورهم في حفظ هذه العلوم ونشرها بين الأمة في مختلف الأدوار والأعصار، وخاصةً على لسان المخالفين، فإننا نورد هنا طرفاً من تراجم علماء الشيعة في كتب أهل السنة، مع الإلتفات إلى النقاط التي ذكرناها سابقاً:

الأصبغ بن نباته

وهو من رجال ابن ماجه، وثقه جماعة، وتكلم فيه آخرون لتشيعة، حتى قال ابن حبان: «فتن بحب علي فأتى بالطامات فاستحق الترك». وقال ابن عدى: «عامية ما يرويه عن علي لا يتابعه أحد عليه ... وإذا حدث عنه ثقة فهو عندي لا بأس بروايته، وإنما أتى الإنكار من جهة من روى عنه». وذكر العقيلي: «كان يقول بالرجعة»، وقال ابن سعد: «كان علي شرطاً علي» (١).

الحارث الهمداني

قال الذهبي: «حديث الحارث في السنن الأربعة، والنسائي مع تعنته في الرجال فقد احتج به وقوى أمره، والجمهور على توهين أمره مع روايتهم

(١) تهذيب التهذيب ١ / ٣١٦-٣١٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٨

لحديثه في الأبواب، فهذا الشعبي يكذبه ثم يروى عنه، والظاهر أنه كان يكذب في لهجته وحكاياته، وأما في الحديث النبوي فلا، وكان من أوعية العلم.

وروى عن ابن أبي داود: كان الحارث الأعور أفتقه الناس وأفرض الناس وأحسب الناس، تعلم الفرائض عن علي.

وأورد الذهبي تكلم بعضهم فيه، وكلماتهم كلها ترجع إلى تشييعه (١).

ونحن تكفينا رواية النسائي وسائر أصحاب السنن عنه.

كميل بن زياد

من رجال النسائي، وثقه ابن سعد وابن معين والعجلي وابن حبان وابن حجر العسقلاني وغيرهم (٢).

سعيد بن جبير

روى الكشي بإسناده عن أبي عبد الله الصادق قال: «إن سعيد بن جبير كان يأتى بعلي بن الحسين عليه السلام، وكان علي بن الحسين يثنى عليه، وما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الأمر، وكان مستقيماً» (٣ ...).

وروى البلاذري بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد فيه وجع النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

(١) ميزان الاعتدال ١ / ٤٣٥.

(٢) تهذيب التهذيب ٨ / ٤٠٢، تقريب التهذيب ٦ / ١٣٦.

(٣) رجال الكشي: ١١٩ / ١٩٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٩

ايتوني بالدواة والكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّون معه بعدى أبداً، فقالوا: أترأه يهجر! وتكلّموا ولغطوا، فغم ذلك رسول الله وأضجره وقال: إليكم عني، ولم يكتب شيئاً» (١).

وقال ابن حجر العسقلاني: «ع- سعيد بن جبير الأسدي، مولاهم، الكوفي، ثقة ثبت فقيه ... قتل بين يدى الحجاج سنة ٩٥» (٢).

وقال ابن الجزري: «التابعي الجليل والإمام الكبير، عرض على عبدالله ابن عباس، وعرض عليه أبو عمرو بن العلاء والمنهال بن عمرو. قال إسماعيل بن عبد الملك: كان سعيد بن جبير يؤمنا في شهر رمضان، فيقرأ ليلة بقراءة عبدالله - يعني ابن مسعود - وليلة بقراءة زيد بن ثابت، قتله الحجاج بواسط شهيداً في سنة ٩٥ وقيل سنة ٩٤» (٣).

أبو حمزة الثمالي

ذكر النديم في كتب التفسير: كتاب تفسير أبي حمزة قال: «واسمه ثابت ابن دينار، من أصحاب علي - يعني الإمام زين العابدين - من النجباء الثقات، وصحب أبا جعفر، يعني الإمام الباقر» (٤).

وترجم له علماؤنا ووثقوه، ورووا عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام قوله: «أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه» (٥).

(١) أنساب الأشراف ١ / ٥٦٢.

(٢) تقريب التهذيب ١ / ٢٩٢.

(٣) غاية النهاية ١ / ٣٠٥.

(٤) الفهرست: ٣٦.

(٥) رجال النجاشي: ١١٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٠

وقد روى عنه من أصحاب الصّحاح السّنة: النسائي في مسند علي، وأبو داود وابن ماجه (١) والترمذي (٢).

لكنّ تكلم فيه جماعة من أجل التشيع، فقد عدّه السليمانى في قوم من الرافضة (٣) وفي التقريب: رافضى (٤).

وروى الذهبي: إنّه ذكر حديثاً في ذكر عثمان بن عفان فنال منه، فقام ابن المبارك وفرّق ما كتب عنه (٥).

جابر بن يزيد الجعفي

قال الذهبي: «جابر بن يزيد [د، ت، ق بن الحارث الجعفي، الكوفي، أحد علماء الشيعة، له عن أبي الطفيل والشعبي وخلق، وعنه: شعبة وأبو عوانة وعدة.

قال ابن مهدي عن سفيان: كان جابر الجعفي ورعاً في الحديث، ما رأيت أروع منه في الحديث.

وقال شعبة: صدوق. وقال يحيى بن أبي بكر عن شعبة: كان جابر إذا قال أخبرنا، وحدّثنا، وسمعت، فهو من أوثق الناس.

وقال وكيع: ما شككتكم في شيء فلا تشكّوا أنّ جابراً الجعفي ثقة.

وقال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: قال سفيان الثوري لشعبة:

(١) تقريب التهذيب ١ / ١١٦.

(٢) ميزان الاعتدال ١ / ٣٦٣.

(٣) ميزان الاعتدال ١/ ٣٦٣.

(٤) تقريب التهذيب ١/ ١٦٦.

(٥) ميزان الاعتدال ١/ ٣٦٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤١

لئن تكلمت في جابر الجعفي لأتكلمن فيك...»

ثم نقل عن جرير بن عبد الحميد أنه تكلم فيه لأنه «كان يؤمن بالرجعة».

وعن سفيان بن عيينة أنه تركه لما سمعه قال: دعا رسول الله علياً فعلمه ممّا تعلم، ثم دعا على الحسن فعلمه ممّا تعلم، ثم دعا الحسن فعلمه ممّا تعلم، ثم دعا الحسين فعلمه ممّا تعلم، ثم دعا ولده... حتى بلغ جعفر بن محمد.

وعن زائدة: جابر الجعفي رافضي يشتم أصحاب النبي.

وعن الحميدي: سمعت رجلاً يسأل سفيان: رأيت- يا أبا محمد- الذين عابوا على جابر الجعفي قوله: حدّثني وصي الأوصياء؟ فقال سفيان:

هذا أهونه «١».

فكان تشييعه والعقائد الشيعية عنده هي السب لتكلم من تكلم فيه...

هشام بن الحكم

قال النديم: «من متكلمى الشيعة، ممن فتق الكلام في الإمامة وهذب المذهب والنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب» «٢».

محمد بن مسلم

من أصحاب الإمام أبي جعفر الباقر والإمام أبي عبد الله الصادق عليهما السلام، وقد روى أصحابنا عن الصادق عليه السلام. أنه قال: أوتاد الأرض وأعلام الدين أربعة: محمد بن مسلم وبريد بن معاوية وليث بن البختری

(١) ميزان الاعتدال ١/ ٣٧٩.

(٢) الفهرست: ٢٢٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٢

المرادي وزرارة بن أعين «١».

وإنه قال فيهم: أربعة نجباء امناء الله على حلاله وحرامه، لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست «٢».

وأنه: هؤلاء حفاظ الدين وامناء أبي على حلاله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة «٣».

وقال العلماء في حقه: فقيه ورع، وجه أصحابنا بالكوفة، من أوثق الناس.

وذكروا أنه توفي سنة ١٥٠ «٤».

وترجم له علماء الجمهور في أغلب كتبهم، ولم يتكلم فيه أحد منهم بشيء.

وقد أخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، واستشهد به البخاري، وروى له في كتاب الأدب المفرد «٥».

معاوية بن عمّار

من أصحاب الإمام محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام، وله كتب في المسائل الفقهية مثل: كتاب الصلاة وكتاب الحج وكتاب الزكاة وكتاب

(١) رجال الكشي: ٢٣٨ / ٤٣٢.

(٢) رجال الكشي: ١٧٠ / ٢٨٦.

(٣) رجال الكشي: ١٣٦ - ٢١٩ / ١٣٧.

(٤) رجال الكشي: ١٦١ - ١٦٩، رجال النجاشي: ٨٨٢ / ٣٢٣، رجال الشيخ: ٢٩٤ / ٤٢٩٣، خلاصة الأقوال: ٨٥٨ / ٢٥١.

(٥) تهذيب الكمال ٢٦ / ٤١٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٣

الطلاق ...

قال النجاشي: كان وجهاً من أصحابنا ومقدماً، كبير الشأن، عظيم المحل، ثقة، وكان أبوه عمّار ثقة في العامة وجهاً ... ومات معاوية سنة ١٧٥ «١».

وأخرج عنه مسلم والنسائي والترمذي والبخاري في أفعال العباد «٢».

قال الذهبي وابن حجر: صدوق «٣».

حمران بن أعين

من رجال ابن ماجه، روى عن أبي الطفيل وغيره.

كان يتقن القرآن وقرأ عليه حمزة الزيات، وروى عنه جماعة من الأكابر، منهم سفيان الثوري.

ترجم له البخاري في تاريخه فلم يذكر له جرحاً.

وقال ابن عدي - بعد أن ذكر له بعض الأخبار -: «وحمران - هذا - له غير ما ذكرنا من الحديث وليس بالكثير، ولم أر له حديثاً منكراً

جداً فيسقط من أجله، وهو غريب الحديث، ممن يكتب حديثه».

وذكره ابن حبان في الثقات.

وقد تكلم فيه جماعة من أجل التشيع، ورماه بعضهم بالغلو في التشيع وآخرون بالرفض.

وقال ابن الجزري: «حمران بن أعين، أبو حمزة، الكوفي، مقرئ كبير،

(١) رجال النجاشي: ٤١١ / ١٠٩٦ وانظر: خلاصة الأقوال: ٢٧٣ / ٩٩٥.

(٢) تقريب التهذيب ٢ / ٢٦٠.

(٣) ميزان الاعتدال ٤ / ١٣٧، تقريب التهذيب ٢ / ٢٦٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٤

أخذ القراءة عرضاً عن عبيد بن نضلة وأبي حرب بن أبي الأسود وأبيه أبي الأسود ويحيى بن وثاب ومحمد بن علي الباقر، روى القراءة عنه عرضاً حمزة الزيات.

وكان ثبناً في القراءة، يرمى بالرفض.

قال الذهبي: توفي في حدود الثلاثين والمائة أو قبلها «١».

معروف بن خزبوذ

من أصحاب الإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق، عليهم السلام.

قال الكشي: أجمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام، وانقادوا لهم بالفقه،

فقالوا: أفقه الأولين:

زرارة ومعروف بن خربوذ «... ٢». وقد أخرج عنه: البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه. قال الذهبى: صدوق شيعى «٣». وقال ابن حجر: صدوق ربما وهم، وكان أخبارياً علماً «٤».

(١) التاريخ الكبير ٣ / ٨٠، الكامل فى الضعفاء ٣ / ٣٦٦، ميزان الاعتدال ١ / ٦٠٤، كتاب الثقات ٤ / ١٧٩، غايه النهايه فى طبقات القراء ١ / ٢٦١.

(٢) رجال الكشى: ٢٣٨ / ٤٣١.

(٣) ميزان الاعتدال ٤ / ١٤٤.

(٤) تقريب التهذيب ٢ / ٢٦٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٥
الحسن بن محبوب السرد

روى عن الإمام موسى بن جعفر، والإمام على بن موسى الرضا، عليهما السلام، وثقه أصحابنا وقالوا: كان جليل القدر، يعدّ فى الأركان الأربعة فى عصره «١».

ولم أجد له ترجمه فى كتب القوم، إلا عند ابن حجر، نقلًا عن شيخ الطائفة، ولم يذكر سوى أسماء مشايخه والرواه عنه «٢».

السدى الكبير

ذكره شيخ الطائفة فى أصحاب الإمام زين العابدين والإمام الباقر عليهما السلام «٣».

وأخرج عنه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه «٤».

ووثقه: أحمد والعجلى وابن حبان، وقال النسائى: صالح، وقال ابن عدى: مستقيم الحديث، صدوق «٥».

وقال ابن حجر: صدوق يهيم، رمى بالتشيع «٦».

(١) رجال الشيخ الطوسى: ٣٣٤، خلاصه الأقوال: ٩٧ / ٢٢٢، قاموس الرجال ٣ / ٣٤٧. الفهرست للشيخ الطوسى: ٩٦ / ١٦٢.

(٢) لسان الميزان ٢ / ٢٨٨ الطبعة الحديثه.

(٣) رجال الشيخ: ١٠٩ / ١٠٦٢.

(٤) تقريب التهذيب ١ / ٧٣.

(٥) تهذيب التهذيب ١ / ٢٧٤.

(٦) تقريب التهذيب ١ / ٧٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٦

بل قال الذهبى: «قال حسين بن واقد المروزى: سمعت من السدى، فما قمت حتى سمعته يشتم أبابكر وعمر، فلم أعد إليه» «١».

الحسن بن الحسين النوبختى

أبو محمد الحسن بن الحسين بن على بن العباس بن إسماعيل بن أبى سهل ابن نوبخت، النوبختى، البغدادى الكاتب، المتوفى سنة ٤٠٢.

هو من كبار علمائنا من آل نوبخت، وقد ترجم له الخطيب البغدادى فقال: «كان سماعه صحيحاً، وقال الأزهرى: كان النوبختى رافضياً

ردىء المذهب، سألت البرقاني عن النوبختي فقال: كان معتزلياً وكان يتشيع إلّا أنه تبين أنه صدوق» (٢).

وقال ابن حجر: «قال العقيقي: كان يذهب إلى الاعتزال، ثقة في الحديث.

وقال البرقاني: كان معتزلياً وكان يتشيع إلّا أنه تبين أنه صدوق» (٣).

وقال السمعاني: «كان معتزلياً رافضياً، ردىء المذهب، إلّا أنه صدوق صحيح السماع» (٤).

أبو جعفر الكليني

قال الذهبي: «الكليني، شيخ الشيعة وعالم الإمامية، صاحب التصانيف،

(١) ميزان الاعتدال ١/ ٢٣٧.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٢٩٩.

(٣) لسان الميزان ٢/ ١٩٩ - ٢٠١ الطبعة القديمة.

(٤) الأنساب ٥/ ٥٢٩.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٧

أبو جعفر محمّد بن يعقوب الرازي الكليني - بالنون - روى عنه: أحمد بن إبراهيم الصيمري وغيره، وكان ببغداد، وبها توفي، وقبره مشهور. مات سنة ٣٢٨. وهو بضم الكاف وإمالة اللام. قيده الأمين» (١).

أبو جعفر ابن بابويه

قال الذهبي: «ابن بابويه، رأس الإمامية، أبو جعفر محمّد بن العلامه على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، صاحب التصانيف السائرة بين الرافضة، يضرب بحفظه المثل، يقال: له ثلاث مائة مصنف منها: كتاب دعائم الإسلام، كتاب الخواتيم، كتاب الملاحى، كتاب غريب حديث الأئمة، كتاب التوحيد، كتاب دين الإمامية.

وكان أبوه من كبارهم ومصنفيهم.

حدّث عن أبي جعفر جماعة، منهم: ابن النعمان المفيد، والحسين بن عبد الله الفخام، وجعفر بن حسنيكه القمي» (٢).

الشيخ المفيد

قال الذهبي: «الشيخ المفيد، عالم الرافضة، صاحب التصانيف، الشيخ المفيد، واسمه محمّد بن محمّد بن النعمان البغدادي الشيعي، ويعرف بابن المعلم.

كان صاحب فنون وبحوث وكلام واعتزال وأدب، ذكره ابن أبي طي في

(١) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٨٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٠٣.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٨

تاريخ الإمامية فأظن وأسهب وقال: كان أوحد في جميع فنون العلم، الأصيلين والفقهاء، إلى أن قال: مات سنة ٤١٣ وشيعة ثمانون ألفاً. وقيل: بلغت تواليفه مائتين، لم أقف على شيء منها ولله الحمد، يكنى أبا عبد الله» (١).

السيد المرتضى

قال الذهبي: «المرتضى - العلامة الشريف المرتضى، نقيب العلوية، أبو طالب، على بن الحسين بن موسى، القرشي العلوي الحسيني الموسوي البغدادي، من ولد موسى الكاظم.

ولد سنة ٣٥٥ وحدث عن: سهل بن أحمد الديباجي وأبي عبدالله المرزباني وغيرهما.

قال الخطيب: كتبت عنه.

قلت: هو جامع كتاب نهج البلاغة المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي رضي الله عنه، ولا أسانيد لذلك وبعضها باطل وفيه حق، ولكن فيه موضوعات يجعل الإمام من النطق بها، ولكن أين المنصف؟ وقيل: بل جمع أخيه الشريف الرضي.

وديوان المرتضى كبير، وتوابعه كثيرة، وكان صاحب فنون، وله كتاب الشافي في الإمامة، والذخيرة في الاصول، وكتاب التنزيه، وكتاب إبطال القياس، وكتاب في الاختلاف في الفقه، وأشياء كثيرة، وديوانه في أربع مجلدات.

(١) سير أعلام النبلاء ١٧ / ٣٤٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٩

وكان من الأذكياء الأولياء، المتبحرين في الكلام والاعتزال والأدب والشعر، لكنّه إمامي جلد، نسأل الله العفو.

قال ابن حزم: الإمامية كلهم على أن القرآن مبدل وفيه زيادة ونقص، سوى المرتضى فإنه كفر من قال ذلك، وكذلك صاحبه أبو يعلى وأبو القاسم الرازي.

قلت: في توابعه سب أصحاب رسول الله، فنعود بالله من علم لا ينفع.

توفي المرتضى في سنة ٤٣٦ «١».

أبو الفتح الكراچكي

قال الذهبي: «الكراچكي، شيخ الرافضة وعالمهم، أبو الفتح، محمد بن علي، صاحب التصانيف. مات بمدينة صور سنة ٤٤٩ «٢»».

أبو جعفر الطوسي

قال الذهبي: «أبو جعفر الطوسي، شيخ الشيعة وصاحب التصانيف، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي.

قدم بغداد، وتفقه أولًا للشافعي، ثم أخذ الكلام واصل القوم عن الشيخ المفيد رأس الإمامية، ولزمه وبرع، وعمل التفسير، وأملى أحاديث ونوادير في مجلدين، عاقتها عن شيخه المفيد.

روى عن هلال الحفّار والحسين بن عبيدالله الفخّام والشريف المرتضى

(١) سير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٥٨ وفيه ما فيه.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨ / ١٢١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٥٠

وأحمد بن عبدون وطائفة.

روى عنه ابنه أبو علي.

وأعرض عنه الحفاظ لبدعته، وقد احترقت كتبه عدّة نوب في رحبة جامع القصر، واستتر لما ظهر عنه من التنقص بالسلف، وكان يسكن بالكرخ محلّة الرافضة.

ثم تحوّل إلى الكوفة وأقام بالمشهد يفقههم.

ومات في المحرم سنة ٤٦٠.

وكان يعدّ من الأذكياء.

ذكره ابن النجار في تاريخه.

وله تصانيف كثيرة منها: كتاب تهذيب الأحكام، كبير جداً، وكتاب مختلف الأخبار، وكتاب المفصح في الإمامة. ورأيت له مؤلفاً في فهرسة كتبهم وأسماء مؤلفيها» (١).

ابن شهر آشوب السروي

قال ابن حجر: «محمد بن علي بن شهر آشوب، أبو جعفر السروي المازندراني، من دعاء الشيعة، فقال ابن أبي طي في تاريخه: اشتغل بالحديث ولقى الرجال ثم تفقه وبلغ النهاية في فقه أهل البيت، ونبغ في الاصول، ثم تقدم في القراءات والغريب والتفسير والعريية، وكان مقبول الصورة، مليح العرض على المعاني، وصنف في المتفق والمفترق والمؤتلف والمختلف، والفصل والوصل، وفترق بين رجال الخاصة ورجال العامة، يعنى أهل السنة

(١) سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٣٤.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٥١

والشيعة، كان كثير الخشوع. مات في شعبان سنة ٥٥٨» (١).

وقال الصفدي: «أحد شيوخ الشيعة، حفظ القرآن وله ثمان سنين، وبلغ النهاية في اصول الشيعة، كان يرحل إليه من البلاد، ثم تقدم في علم القرآن والغريب والنحو، ووعظ على المنبر أيام المقتفى ببغداد فأعجبه وخلع عليه.

وكان بهي المنظر حسن الوجه والشيبة، صدوق للهجة، مليح المحاوره، واسع العلم، كثير الخشوع والعبادة والتهجد، لا يكون إلا على وضوء. أثنى عليه ابن أبي طي في تاريخه ثناءً كثيراً» (٢ ... ٢).

الشيخ نصير الدين الطوسي

الشيخ نصير الدين محمد بن محمد الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢.

قال الذهبي - في وفيات السنة المذكورة -: «وكبير الفلاسفة خاجا نصير الدين محمد بن محمد بن حسن الطوسي، صاحب الرصد» (٣). «وكان رأساً في علم الأوائل، ذا منزلة من هولاء» (٤).

وقال ابن كثير: «النصير الطوسي ... اشتغل في شببته وحصل علم الأوائل جيداً، وصنف في ذلك وفي علم الكلام، وشرح الإشارات لابن سينا، وقد ذكره بعض البغاددة فأثنى عليه وقال: كان عاقلاً، فاضلاً، كريم الأخلاق، ودفن في مشهد موسى بن جعفر في سرداب كان قد اعد للخليفة الناصر لدين الله، وهو الذي كان قد بنى الرصد بمراغة، ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة

(١) لسان الميزان ٥ / ٣٠٥.

(٢) الوافي بالوفيات ٤ / ١٦٤.

(٣) تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٩١.

(٤) العبر في خبر من غبر ٣ / ٣٢٦.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٥٢

والمتكلمين والفقهاء والمحدثين والأطباء وغيرهم من أنواع الفضلاء، وبنى له فيه قبة عظيمة، وجعل فيه كتباً كثيرة جداً» (١ ... ١).

وقال الصفيدي: «الفيلسوف صاحب علم الرياضى، كان رأساً في علم الأوائل، لاسيما في الأرصاد والمجسطى، فإنه فاق الكبار ... وكان حسن الصورة، سمحاً، كريماً، جواداً، حليماً، حسن العشرة، غزير الفضل ... وكان للمسلمين به نفع، خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم» (٢ ... ٢).

العلامة الحلبي

جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر الحلبي المتوفى سنة ٧٢٦.

ترجم له الصفدي فقال: «الإمام العلامة ذوالفنون جمال الدين ابن المطهر الأسدي الحلبي المعتزلي، عالم الشيعة وفقههم، صاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته، تقدم في دوله خربندا تقدماً زائداً، وكان له مماليك وإدارات كثيرة وأملاك جيدة، وكان يصنف وهو راكب، شرح مختصر ابن الحاجب وهو مشهور في حياته، وله كتاب في الإمامة رد عليه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في ثلاث مجلدات، وكان يسميه ابن المنجس».

وكان ابن المطهر ريس الأخلاق، مشتهر الذكر، تخرج به أقوام كثيرة، وحج في أواخر عمره وخمل وانزوى إلى الحلّة، وتوفى سنة ٢٥ وقيل ٢٦ وسبعمائه في شهر المحرم وقد ناهز الثمانين. وكان إماماً في الكلام

(١) البداية والنهاية ١٣ / ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٢) الوافي بالوفيات ١ / ١٧٩ - ١٨٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٥٣
والمعقولات.

قال الشيخ شمس الدين: قيل اسمه يوسف، وله: الأسرار الخفية في العلوم العقلية» (١).

وهكذا ترجم له ابن حجر العسقلاني، قال: «لازم النصير الطوسي مدّة، واشتغل في العلوم العقلية فمهر فيها، وصنف في الاصول والكلام، وكان صاحب أموال وغلما وحفدة، وكان رأس الشيعة بالحلّة، واشتهرت تصانيفه، وتخرج به جماعة، وشرحه على مختصر ابن الحاجب في غاية الحسن في حلّ ألفاظه وتقريب معانيه، وصنف في فقه الإمامية، وكان قيماً بذلك داعية إليه» (٢).

من تراجم علماء السنة في كتبهم ... ص: ٥٣

وعلى الجملة، فإنهم إما يهملون علماء الإمامية فلا يترجمون لهم أصلاً، وإلا ترجموا بسطرين أو أسطر قليلة، مع أغلاط وهفوات كثيرة... لكن لا تجد في هذه التراجم نسبة شيء من الأثام والقبائح الموبقة، ولو كان - ولو نسبة كاذبة - لذكروا، كما يذكرون بتراجم علمائهم...

فهذا الذهبي الذي نقلنا عن كتابه (سير أعلام النبلاء) تراجم جملة من علمائنا ... قد ذكر فيه بتراجم علماء السنة أشياء قبيحة مخجلة، نورد بعضها في هذا المجال:

فقد ذكر بترجمة زاهر بن طاهر بعد أن وصفه ب «الشيخ العالم، المحدث

(١) الوافي بالوفيات ١٣ / ٨٥.

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٢ / ٧١ - ٧٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٥٤

المفيد، المعمر، مسند خراسان، أبو القاسم ابن الإمام أبي عبد الرحمن، النيسابوري، الشحامى، المستملى، الشروطى، الشاهد!! وعدّد مشايخه وتصانيفه ... ذكر عن جماعة أنه كان يخلّ بالصلوات إخلالاً ظاهراً «... ١»

وذكر بترجمة عمر بن محمّد، المعروف بابن طبرزد، وقد وصفه ب «الشيخ المسند الكبير الرحلة، أبو حفص عمر بن محمّد بن معمر بن ...»

وعدّد شيوخه ومن روى عنه من المشاهير كابن النجار والكمال ابن العديم والمجد ابن عساكر والقطب ابن عصرون وأمثالهم، ثم

أورد قول ابن نقطة:

«ثقة في الحديث»، وقول ابن الحاجب: «كان مسند أهل زمانه»، حتى نقل عن ابن النجار: «كان متهاوناً بأمور الدين، رأيته غير مرة يبول من قيام، فإذا فرغ من الإراقة أرسل ثوبه وقعد من غير استنجاء بماءٍ ولا حجر» قال الذهبي: «قلت: لعله يرتخص بمذهب من لا يوجب الاستنجاء!».

ثم حكى عن ابن النجار: «وكنّا نسمع منه يوماً أجمع، فنصلى ولا يصلى معنا، ولا يقوم لصلاة...» قال الذهبي: «وقد سمعت أبا العباس ابن الظاهري يقول: كان ابن طبرزد لا يصلى» (٢).

ثم إنَّ الذهبي روى خبرين بترجمة مسلم بن إبراهيم الأزدي الفراهيدي القصاب في سند أحدهما «زاهر» وفي الآخر «عمر» فقال: «في الإسنادين ضعف، من جهة زاهر وعمر، لإخلالهما بالصلاة، فلو كان في ورع كما رويت

(١) سير أعلام النبلاء ٩/٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٠٧/٢١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٥٥

لمن هذا نعتة» (١).

لكن في مشايخ الذهبي غير واحد من هؤلاء، فقد نصّ - مثلاً - بترجمة علي بن مظفر الإسكندراني، شيخ دار الحديث النفيسية!! المتوفى سنة ٧١٦:

«لم يكن عليه ضوء في دينه، وحملني الشره على السماع من مثله، والله يسامحه، كان يخلُّ بالصَّلوات، ويرمي بعظائم!!» (٢).

وذكر بترجمة الشيخ المعمر أبي المعالي عثمان بن علي بن المعمر بن أبي عمارة البغدادي البقال: «قال ابن النجار: كان عسراً، غير مرضى السيرة، يخلُّ بالصَّلوات، ويرتكب المحظورات» (٣).

وبترجمة الجعابي الموصوف ب «الحافظ البارع العلامة، قاضي الموصل، أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سلم التميمي البغدادي» قال بعد ذكر مشايخه، وأنه حدّث عنه: أبو الحسن الدارقطني وأبو حفص ابن شاهين وابن رزقويه وابن مندة والحاكم ... وبعد ذكر بعض الكلمات في الثناء عليه ... قال:

«ونقل الخطيب عن أشياخه أنّ ابن الجعابي كان يشرب في مجلس ابن العميد. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: سألت الدارقطني عن ابن الجعابي، فقال: خلط، وذكر مذهبه في التشيع، وكذا نقل أبو عبد الله الحاكم عن الدارقطني قال: وحدّثني ثقة أنّه خلّى ابن الجعابي نائماً وكتب على رجله، قال: فكنت أراه ثلاثة أيام لم يمسه الماء...»

(١) سير أعلام النبلاء ٣١٧/١٠.

(٢) معجم الشيوخ ٥٨/٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٥٣/١٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٥٦

«قال الحاكم: قلت للدارقطني: يبلغني عن ابن الجعابي أنّه تغرّ عماً عهدناه. قال: وأيّ تغرّ!! قلت: بالله هل اتهمته؟! قال: إي والله. ثم ذكر أشياء.

فقلت: وضح لك أنّه خلط في الحديث؟! قال: إي والله، قلت: هل اتهمته حتى خفت المذهب؟! قال: ترك الصلاة والدين» (١).

أقول:

لكن بقاء الكتابة على رجله ثلاثة أيام، إنما يدل على عدم غسله لرجليه في الوضوء، ولا يدل على عدم الوضوء وترك الصلاة، فلعله كان من القائلين بالمسح في الوضوء، تعييناً أو تخييراً، فإن هذا مذهب كثير من الصحابة والتابعين والفقهاء الكبار، كابن جرير الطبري - صاحب التفسير والتاريخ - وأتباعه «... ٢»

* وأما شرب المسكر، فمذكور بتراجم كثير من أعلام القوم:

ففي ترجمة نصر ك وهو: «الحافظ، المجود، الماهر، الرّحال، أبو محمد، نصر بن أحمد بن نصر، الكندي البغدادي»: «قال أبو الفضل السليمانى:

يقال إنه كان أحفظ من صالح بن محمد جزرة، إلا أنه كان يتهم بشرب المسكر» «٣».

وبترجمة على بن سراج وهو: «الإمام الحافظ البارع، أبو الحسن ابن أبي الأزهر»: «إلا أن الدارقطنى قال: كان يشرب ويسكر» «٤».

وبترجمة الذهبي وهو: «الحافظ العالم الجوال، أبو بكر أحمد بن محمد

(١) سير أعلام النبلاء ١٦ / ٨٨.

(٢) قد بحثنا ذلك في رسالتنا: (حكم الأرجل في الوضوء).. وهو من البحوث المنشورة عن مؤتمر ألقى الشيخ المفيد رحمه الله في قم المقدسة سنة ١٤١٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٣٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٨٤.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٥٧

ابن حسن بن أبي حمزة البلخي ثم النيسابورى» فذكر مشايخه ومن حدث عنه وهم أكابر محدثين الحفاظ ثم قال: «لكنه مطعون فيه. قال الإسماعيلي: كان مستهتراً بالشرب» «١».

وبترجمة عبدالله بن محمد بن الشرقى: «ذكر الحاكم أنه رآه ... قال: ولم يدع الشرب إلى أن مات، فنقموا عليه ذلك، وكان أخوه لا يرى لهم السماع منه لذلك» «٢».

وبترجمة أبي عبيد الهروى: «قال ابن خلكان ... قيل: إنه كان يحب البذلة، ويتناول في الخلوة، ويعاشر أهل الأدب في مجالس اللذة والطرب» «٣».

وبترجمة الزوزنى، وهو: «الشيخ المسند الكبير، أبو سعد أحمد بن محمد ... من مشاهير الصوفية!! حدث عنه: ابن عساكر والسمعاني وابن الجوزى وآخرون، قال السمعاني: كان منهما في الشرب، سامحه الله ...

وقال ابن الجوزى: ينسبونه إلى التسمّح في دينه» «٤».

أقول:

ومثل هذه القضايا في تراجمهم كثير، وهم حفاظ، أئمة، يقتدون بهم ...

وقد جاء بترجمة «الإمام!! القدوة!! العابد!! الواعظ!! محمد بن يحيى الزبيدي، نزيل بغداد» عن السمعاني: «سمعت جماعة يحكون عنه أشياء، السكوت عنها أولى وقيل: كان يذهب إلى مذهب السالمية، ويقول ...: إن

(١) سير أعلام النبلاء ١٤ / ٤٦١.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٤٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٤٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٥٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٥٨
الشارب والزاني لا يلام، لأنه يفعل بقضاء الله وقدره» (١).
فهذا مذهب القوم، وهذه أعمالهم...

وجاء بترجمته «الشيخ المعمر المحدث!!» أحمد بن الفرغ الحجازي من مشايخ: النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم من الأئمة،
عن محمد بن عوف: «هو كذاب!! رأيت في سوق الرستن وهو يشرب مع مردان وهو يتقيأ!! وأنا مشرف عليه من كوة بيت كانت لي فيه
تجارة سنة ٢١٩» «... ٢».

فاجتمع عنده: الشرب!! والكذب! والعبث بالمردان!!

* وكان العبث بالمردان من أفعال غير واحد من أعلام القوم، فقد جاء بترجمته قاضي القضاة!! يحيى بن أكرم: «قال فضلك الرازي:
مضيت أنا وداود الأصبهاني إلى يحيى بن أكرم، ومعنا عشرة مسائل، فأجاب في خمسة منها أحسن جواب، ودخل غلام مليح، فلما رآه
اضطرب، فلم يقدر يجيء ولا يذهب في مسألة. فقال داود: قم، اختلط الرجل» (٣).

وبترجمته الخطيب البغدادي الذي أطب وأسهب الذهبي ترجمته بعد أن وصفه ب «الإمام الأوحى، العلامة المفتى، الحافظ الناقد،
محدث الوقت ...

خاتمة الحفاظ» ونحو ذلك من الألقاب، وبعد أن أورد كلمات الأئمة في مدحه، قال:

«كان سبب خروج الخطيب من دمشق إلى صور أنه كان يختلف إليه

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٣١٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٥٨٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢ / ١٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٥٩

صبي مليح، فتكلم الناس في ذلك» (١).

وبترجمته ابن الأنماطي وهو: «الشيخ العالم الحافظ، المجود، البارع، مفيد الشام، تقي الدين أبو الطاهر إسماعيل بن عبد الله» عن ابن
الحاجب:

«وكان يُتَبَرَّ بالبشر، سألت الحافظ الضياء عنه فقال: حافظ ثقة مفيد إلا أنه كثير الدعابة مع المرد» (٢).

وجاء بترجمته الحافظ أبي بكر أحمد بن إسحاق الصبغى: «قال الحاكم:

وسمعت أبا بكر ابن إسحاق يقول: خرجنا من مجلس إبراهيم الحربى ومعنا رجل كثير المجون، فرأى أمرد، فتقدم فقال: السلام عليك،
وصافحه وقبل عينيه وخده، ثم قال: حدثنا الدبرى بصنعاء بإسناده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أحب أحدكم أخاه
فليعلمه. فقلت له: ألا تستحي؟! تلوط وتكذب في الحديث!! يعنى: أنه ركب إسناداً للمتن» (٣).

هذا، ولا يريد أن اطلل في هذا المقام، وفي كتابنا «الإنتقاء من سير أعلام النبلاء» من هذا القبيل كثير عن الصحابة والتابعين وكبار
الرجال ... وبعضه عجيب وغريب!

كانت تلك دراسة مقارنة موجزة عن أهم العلوم - وهى العقائد والفقه والتفسير والحديث - عند الشيعة الإمامية، ولمحة عن تراجم
علماء هذه الطائفة فى العلوم المذكورة ... وموقف الرجاليين من أهل السنة منهم، ولمحة عن تراجم علماء السنة، حسبما ذكروا
بتراجمهم فى أشهر كتبهم ...

وقد تبين أن الإهمال، أو الاختصار في الترجمة مع الطعن في المذهب، من جملة أساليب الخصوم في المحاربة مع هذا المذهب وأعلامه.

(١) سير أعلام النبلاء ١٨ / ٢٨١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٢ / ١٧٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٤٨٧.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٦٠

ولكنهم - مع ذلك - لم يُتهموا بموقبة من الموقبات.

على خلاف ما جاء بأحوال علماء المخالفين.

فليظن العاقل المتدبر أن الإمامية عمن يأخذون، وأن غيرهم لمن يتبعون!

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٦١

كتب الردود في المكتبة الشيعية ... ص: ٦١

لقد واجهت هذه الطائفة - منذ اليوم الأول - شتى أنواع الظلم والإضطهاد، من القتل والحبس والتشريد، ولم تترك الحكومات - وأهل العلم المتعاونون مع الحكام في كل دور - وسيلة ولم تفوت فرصة إلا واستفادت منها وانتهزتها، للقضاء على هذا المذهب وشخصياته ورموزه، على مختلف الأصعدة ...

وهذه القضايا مسجلة في كتب التواريخ عند جميع الفرق.

فلما لم تجد هذه الأساليب للقضاء على التشيع ... جعلوا يتبعون الأساليب الأخرى ...

فكان ترك الذكر والإهمال للعلماء والشخصيات الشيعية في كتب التراجم والرجال أحد الأساليب ... وقد أوضحنا ذلك بقدر الضرورة.

ومن الطرق والأساليب في كل عصر وفي كل بلد من البلدان الإسلامية:

تأليف الكتب للتهجم على الشيعة والتشيع، وقد نهجوا هذا النهج منذ القديم، وما زال متبعاً حتى الآن.

تأليف الكتب للصد عن التشيع ... ص: ٦١

إشارة

فإن كثيراً من الكتب التي وضعها العلماء السابقون من أهل السنة في الرد على الشيعة، إنما ألفت للحيلولة دون انتشار هذا المذهب، والصد عن إقبال

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٦٢

الناس عليه ودخول الامم فيه ...

وهذا ما صرح به ونص عليه غير واحد من علماء أهل السنة في مختلف البلاد.

في الحجاز ... ص: ٦٢

ففى الحجاز- مثلاً- لمّا رأى القوم كثرة الشيعة وازديادها فى مكّة المكرّمة، طلبوا من ابن حجر المكي أن ينشر كتابه (الصواعق المحرقة) وذلك ما نصّ عليه فى ديباجته إذ قال:

«فإنى سئلت قديماً فى تأليف كتاب يبيّن حقيته خلافة الصديق وإمارة ابن الخطّاب، فأجبت إلى ذلك، مسارعاً فى خدمة هذا الباب، فجاء- بحمد الله- انموذجاً لطيفاً، ومنهاجاً شريفاً، ومسلماً منيفاً.

ثم سئلت قديماً فى إقرائه فى رمضان سنة ٩٥٠ بالمسجد الحرام، لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكّة المشرفة، أشرف بلاد الإسلام، فأجبت إلى ذلك، رجاءً لهدايته بعض من زلّ به قدمه عن أوضح المسالك...»

فى الهند ... ص: ٦٢

وفى الهند، كذلك ... وخاصة فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر...

فقد نبغ بين الشيعة الإمامية فى تلك البلاد، فقيه كبير، ومجاهد عظيم، هو السيد دلدار على بن معين الدين النقوى المولود سنة ١١٦٦ والمتوفى سنة ١٢٣٥ «١»، الذى انتشرت بفضل جهوده تعاليم المذهب الجعفرى فى تلك الأرجاء، وانتظمت على يده امور الطائفة، بعد أن كانوا متفرقين ليست لهم

(١) انظر: أعيان الشيعة ٦/ ٤٢٥، هدية العارفين ٥/ ٧٧٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٦٣

دعوة إلى مذهبهم، وما كانت لهم جامعة تجمعهم، واشتغل طيلة أيام حياته الشريفة بترويج الدين ونشر الأحكام بإقامة الشعائر وتأليف الكتب وتربية العلماء.

ولمّا وصل خبره إلى حسن رضاخان- من وزراء حكومة «أوده» فى لکنهو- استدعاه للإقامة بلکنهو، فهاجر إليها، وانصرف إلى بثّ تعاليم الدين وإقامة الشعائر.

وكان العلامة المولى محمد علىّ الكشميرى الشهير بيادشاه «١» نزيل فيض آباد، قد ألف فى تلك الأيام رسالته فى فضل صلاة الجمعة، حتّى فيها السّليطان آصف الدولة ابن الشجاع بن صدر جنك سلطان مملكة «أوده» فى لکنهو، على إقامة الجمعة، وذكر من هو أهل لإمامة الجماعة، وهم: السيد دلدار علىّ وتلميذاه الميرزا محمد خليل والأمير السيد مرتضى، فأمر السلطان بإقامتها، ورشّح السيد لها. فأقامها ابتداء من ظهر اليوم الثالث عشر من رجب- يوم ولادة أمير المؤمنين عليه السلام- سنة ١٢٠٠.

ثم اقيمت الجمعة فى السابع والعشرين منه، يوم مبعث النبىّ صلى الله عليه وآله وسلّم، وكانت أول صلاة جماعة للشيعة تقام فى تلك الديار.

ثم استمرت الجماعة والخطب، وانتشرت أنديّة الذكر ومجالس الوعظ، واهتمّ السلطان لترويج الشريعة، وتشيد الدين، وكثر طلاب العلم، وأخذوا يتواردون على السيد من كلّ صوب «٢».

(١)

أعلام الشيعة، نزهة الخواطر ٧/ ٤٥٦.

(٢) أعلام الشيعة- الكرام البررة ٢/ ٥١٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٦٤

قال السيد عبدالحىّ اللكهنوى المحقق السنّى: ثمّ إنّه بذل جهده فى إحقاق مذهبه وإبطال غيره من المذاهب، لاسيّما الأحناف

والصوفيّة والأخباريّة، حتّى كاد يعمّ مذهبه في بلاد «أوده» ويتشيع كلّ الفرق «١».

وفي هذه الأيام خرج للناس كتاب للمولوى شاه عبدالعزيز بن شاه وليّ الله الدهلوى الحنفى، المولود سنة ١١٥٩، والمتوفى سنة ١٢٣٩ باسم (التحفة الإثني عشرية) فى الردّ على الشيعة الإمامية... قال فى مقدّمه الكتاب:

«وقد سميت هذه الرسالة ب (التحفة الإثني عشرية) ولقبتها ب (نصيحة المؤمنين وفضيحة الشياطين).

وكان السبب فى تأليف هذه الرسالة وتحرير هذه المقالة هو: إنّ البلاد التى نحن بها ساكنون، وفى هذا الزمان الذى نحن فيه، قد راج مذهب الإثني عشرية وشاع، حتّى قلّ بيت لم يتمذهب من أهله واحد أو اثنان بهذا المذهب، ولم يرغب فيه، لكنّ أكثرهم جاهلون بالتاريخ والأخبار...»

فألف علماء الشيعة فى تلك الديار الردود الحاسمة على كتاب (التحفة) وأشهرها كتاب (عبارات الأنوار فى إمامة الأئمة الأطهار) الذى سنتحدّث عنه فيما بعد باختصار.

فى العراق ... ص: ٦٤

وفى العراق كذلك ... فقد نشر محمود شكرى الألوسى البغدادى مختصر ترجمه (التحفة الإثني عشرية) إلى العربية فى سنة ١٣٠١- أى قبل

(١) نزّهة الخواطر ١٦٧/٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٦٥
وفاء السيّد صاحب (عبارات الأنوار) فى الردّ على (التحفة) بخمس سنوات- وقد ذكر فى مقدّمه الكتاب ما نصّه:
«وبعد، فيقول المفتقر إلى الله، الملتجئ إلى ركن فضله وعلاّه، خادم العلوم الدينيّة فى مدينة دار السلام المحميّة، محمود شكرى ابن السيّد عبد الله الحسينى الألوسى البغدادى، كان الله تعالى له خير معين وأحسن هادى:
إنّ علماء الشيعة لم يزلوا قائمين على ساق المناظرة، واقفين فى ميادين المناظرة والمكابرة، مع كلّ قليل البضاعة، ممّن ينتمى إلى مذاهب أهل السنّة والجماعة، لاسيّما فى الديار العراقية وما والاها من ممالك الدولة العليّة العثمانيّة، حتّى اغترّ بشبههم من الجهلة اللوف، وانقاد لزام دعواهم ممّن لم يكن له على معرفة الحقّ وقوف، فلمّا رأيت الأمر اتّسع خرقه والشرّ تعدّدت طرقه، شمّرت عن ساعد الجدّ والاجتهاد فى الذبّ عن ملك ذوى الرشاد، ورأيت أن أوّل فى هذا الباب كتاباً مشتملاً على فصل الخطاب به يتميّز القشر عن اللباب ويتبيّن الخطأ من الصواب.

وقد ألف العالم العلامة والنحرير الفهامة الشيخ غلام محمّد أسلمى الهندى، تغمّده الله تعالى بغفرانه الأبدي، ترجمه (التحفة الإثني عشرية) فى الردّ على فرق الشيعة الإمامية، فوجدته كتاباً انكشفت شبه المناظرين بأنوار دلائله واندفعت شكوك المعاندين بمسلمّ براهينه... فحدانى التوفيق الإلهي إلى تلخيص ذلك الكتاب، وهدانى التأييد الربانى إلى إبراز غوانى معانيه بأبهى لباب، مع ضمّ ما يؤدّى إليه المقام ممّا أفاده العلماء الأعلام، بعبارات سهلة موجزة مشتملة ينتفع بها الخاص والعام ويتلقّاها بالقبول ذوو الإنصاف من الأنام.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٦٦
ولمّا يسّر الله تعالى ما طلبته، وأجابني فيما رجوته ودعوته، سمّيت الكتاب (المنحة الإلهية بتلخيص ترجمه التحفة الإثني عشرية).

وقدّمته لأعتاب خليفة الله فى أرضه ونائب رسوله ... ألا وهو أمير المؤمنين الواجب طاعته على الخلق أجمعين، سلطان البرّين وخاقان

البحرين، السلطان ابن السلطان، السلطان الغازي عبدالحميد خان ...»

منتهى الكلام للفيض آبادي ... ص: ٦٦

وكتاب (منتهى الكلام) تأليف المولوي حيدر علي الفيض آبادي، من هذا القبيل ...
فقد ألف الشيخ سبحان علي خان، من علماء الشيعة في الهند، المتوفى سنة ١٢٦٤، رسالة في حديث الحوض، قال صاحب (كشف الحجب والأستار):

«رسالة في حديث الحوض، لسبحان علي خان، رفع الله درجته في فراديس الجنان، ذكر فيها انطباق حديث الحوض على الخلفاء الثلاثة والتابعين لهم، صنفها سنة ١٢٥٢.
لقد أحسن وأجاد وأحرق بيانه قلوب أهل العناد» «... ١».
ولهذا الشيخ كتب ورسائل اخرى منها:
رسالة في فضائح البخاري وصحيحه «٢».
رسالة في حديث الثقلين «٣».

(١) كشف الحجب والأستار: ٢٥٨ / ١٣٦٣.

(٢) كشف الحجب والأستار: ٢٧٦ / ١٤٧٨.

(٣) كشف الحجب والأستار: ٢٥٧ / ١٣٦٢.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٦٧

رسالة في حديث الإثراء، ذكر فيها حديث الإثراء على الخلفاء الثلاثة «١».

رسالة في لزوم أفضلية أولاد الشيخين من أولاد فاطمة عليها السلام على قواعد أهل السنة أسماها ب (لطافة المقال) «٢».

فردّ عليه رشيد الدين الدهلوي - من تلاميذ صاحب التحفة الإثني عشرية - بكتاب أسماه (إيضاح لطافة المقال) «٣».

فردّ عليه الشيخ سبحان علي خان بكتاب (فذلكة الكلام) «٤».

كما ردّ عليه الشيخ حسين علي خان المتوفى سنة بضع وأربعين ومائتين بعد الألف «٥».

هذا، وقد ترجم صاحب (نزهة الخواطر) الشيخ سبحان علي خان، ووصفه ب «الأمير الفاضل» قال: «وكان مع اشتغاله بمهمات الامور يشتغل بالبحث والتنقيب والمناظرة بأهل السنة والجماعة، وبالشيعة الاصولية، وله مصنّفات عديدة، منها: الباقيات الصالحات، ومنها: شمس الضحى» وأرّخ وفاته بسنة ١٢٦٤ «٦».

لكنّ صاحب (كشف الحجب) وصفه بألقاب جليّة وصفاتٍ ضخمة، مثل:

«قدوة الأعيان واسوة الأقران، راقم آثار الشرف على صحائف الإحسان،

(١) كشف الحجب والأستار: ٢٥٧ / ١٣٦١.

(٢) كشف الحجب والأستار: ٤٧٩ / ٢٧٠١.

(٣) كشف الحجب والأستار: ٤٧٩ / ضمن ٢٧٠١.

(٤) كشف الحجب والأستار: ٣٩٧ / ٢٢٩٦.

(٥) كشف الحجب والأستار: ٥٣٤ / ٢٩٩٩ وسمّاه ب (معتمد الكلام).

(٦) نزهة الخواطر - تراجم كبار علماء الهند ٧ / ١٩٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٦٨

جامع أطوار الرعاية بين طوائف الإنسان، عين الإنسان، علامة الدوران، فريد الدهر والأوان.

«صدر الزمان، قدوة الأعيان، شرف أبناء الزمان بالتزام الفضل والإحسان، علامة الدوران، مليح البيان، فصيح اللسان»...

«علامة الزمان واعجوبة الدوران، فصيح البيان، مليح اللسان، المزرى لطائف منشآته على أزهار الربيع وأنوار البديع، ذى العز المنيع

والفخر الرفيع» «... ١».

وعلى الجملة، فقد أَلَّفَ الشيخ سبحان على خان رسالته فى حديث الحوض، وأثبت انطباقه على المشايخ، على أساس أحاديث القوم

فى أصح كتبهم ككتاب البخارى وغيره.

فلما وقف الشيخ المولى الفيض آبادى المتوفى سنة ١٢٩٩ على رسالته حديث الحوض، أَلَّفَ فى الردِّ عليها كتاب (منتهى الكلام)

بطلب من بعض أصدقائه، الذى ضاق صدره من «رواج التشيع المحدث!!» فى بلاد الهند ... كما قال ... وهذه ترجمته كلامه فى

المقدمة باختصار:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذى وقَّنا لمتتهى الكلام مع الخصام وتميز الحق من الباطل كالنور من الظلم، وكزنا بتنبهات

أهل الخوض لاعتراضهم على حديث الحوض بتقرير اللسان وتحرير القلم، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى سيما من خصَّ

بالشفاعة العظمى يجرى على لسانه ينابيع الحكم، وعلى آله وخلفائه الأربعة المتناسبة يشربون من السلسيل ولن يسمعوا حسيس جهنم،

فبعداً وسحقاً لمن لم يزلوا

(١) كشف الحجب والأستار: ٥٩٩، ٢٥٧، ١٦١ - ١٦٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٦٩

مرتدِّين عنهم من أهل الإبدال، يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال، يختلجون دون الأدبار فلا تدرى أن يخلص منهم إلّا مثل همل

النعيم.

أما بعد، فيقول أقل الخليفة عديم الإدراك وذميم الأخلاق حيدر على الفيض آبادى، أعطاه الله تعالى فى الدنيا النفس اللوامة وتجاوز

عن جرائمه يوم القيامة، وبصيره بعيوب نفسه وجعل غده خيراً من أمسه، ابن صفوة الحفاظ والعاشرين الشيخ محمّد حسن، ابن قدوة

العارفين الشيخ محمّد ذاكر، ابن اسوة الواصلين الشيخ عبدالقادر الدهلوى، أظفهم الله سبحانه بالإعادة وأكرمهم بالحسنى وزيادة:

إنّ أحد الأصدقاء الأحياب، الذى طالما تألم ليلاً ونهاراً ممّا آل إليه أمر الدين، وضاق صدره وارتعد قلبه واحترق كبده من رواج

التشيع المحدث، قد تمكّن من الحصول على رسالته - لإمام المتشيعين، نظام المتكلمين، البحر المحيط للفهم والفظانة، والنهر العميق

للفصاحة والبلاغة، رئيس العلماء الكبار سبحان على خان، جنبه الله تعالى عن فساد اعتقاداته وبصره الله ببطلان خيالاته وهفواته، أَلَّفَها

بسنة سبع وأربعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية، فى حديث اصيحابى - بواسطة بعض المؤمنين، وأطلعنى عليها، وألح علىّ بأن

أكتب ردّاً لها، فعزمت على إنجاز مراره عوناً لأهل الحق والإنصاف، وصوناً لعقائدهم عن الزيغ والإعتساف...

ولما كان هذا الكتاب، بحيث يقول كلّ من وقف عليه - موافقاً كان أو مخالفاً - إنّه قد بلغ النهاية القصوى فى البحث، فقد سمّيته ب

(منتهى الكلام)، ولما كان كلّ ورقه من أوراقه مشتملاً على تنبيه تعريضاً للمخالفين المعترضين على حديث الحوض، الذين صدق

عليهم قوله تعالى «وكنا نخوض مع

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٧٠

الخائضين» فقد لُقِّبته ب (تنبيهات أهل الخوض لاعتراضهم على حديث الحوض).

ثم إنه ذكر ثمان مقدمات، فقال في المقدمة الثامنة:

«إنه لما كان دأبي في المناظرة مع الشيعة، بعد التحقيق في الموضوع وإلزامهم بالحجة، هو قلب تقريراتهم في الاستدلال، فقد خصصت المسلك الثاني - بعد الفراغ من الأول - لهذا الغرض، وفصلت في هذا المسلك بين كلامي وكلام المؤلف بخطوطٍ لنا يقع الخلط، وجعلت بعض مطالب المؤلف الخارجة عن الموضوع في الخاتمة.

فجاء الكتاب مشتملاً على خاتمةٍ ومسلكين، أحدهما جوابي والآخر انقلابي».

هذا، وقد تعرّض في المسلك الأول - الجوابي - لمسائل مهمّة، كقضية صلاة أبي بكر بالناس بأمر من النبي في مرضه صلى الله عليه وآله وسلم - فيما يروون -، وكونه معه في الغار ليلة الهجرة، وقضية تزوج عمر بن الخطاب بأم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام - برضاً منه كما يزعمون -، وكان مقصوده من الأولين إثبات فضيلة لأبي بكر، ومن الثالثة إنكار هجوم عمر على بيت الزهراء الطاهرة عليها السلام ودفع الطعن عليه، ونفى الخصومة بينه وبين الإمام عليه السلام.

أقول:

ولكنّي قد أثبت في رسالتي مفردة مطبوعة: أن صلاة أبي بكرٍ تلك لم تكن بأمرٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله، بل إنه لما علم بذلك خرج معتمداً على الإمام علي ورجلٍ آخر، ورجلاه تخطّان في الأرض، وصلى

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٧١

بالناس وتخي أبو بكر ... فلا فضيلة له في تلك القضية إن لم يكن العكس.

وأثبت في رسالتي أخرى مطبوعة: أن كلّ ما رواه القوم في كتبهم في زواج عمر بأم كلثوم لا أساس له من الصحة، وأما ما جاء في رواية أصحابنا - بناءً على الأخذ به - فلا فائدة في الاستدلال به للخصم، بل يدلّ على عكس المدعى.

وأما قضية الغار، فالرسائل المؤلفة فيها من قبل علمائنا متعدّدة، فقد كتب فيها السيد الشهيد التستري صاحب كتاب (إحقاق الحق) والسيد مير حامد حسين صاحب (استقصاء الإفحام) و (عبقات الأنوار) وكذا غيرهما من علماء الشيعة الكبار في بلاد الهند وغيرها ... وإنه ليكفي في هذه القضية أن نقول:

إنه قد كان في ليلة الهجرة واقعتان، نزلت في كلّ منهما آية، إحداهما:

مبيت مولانا علي أمير المؤمنين في فراش النبي صلى الله عليه وآله، والاخرى:

خروج أبي بكر معه إلى الغار. أما في الأولى فنزلت الآية «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله» (١)

وأما في الثانية فنزلت الآية «ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا» (٢).

أما عن علي عليه السلام، فأخبر الله عز وجلّ بأنه قد «شري نفسه» ابتغاء مرضات الله، وأما عن أبي بكر فأخبر عن حزنه ونهى النبي إياه ... فكم فرق بين الحالين؟ ولذا ورد مباهاة الله سبحانه بفعل علي في رواية

(١) سورة البقرة ٢: ٢٠٧.

(٢) سورة التوبة ٩: ٤٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٧٢

الفريقين «١».

أما في المسلك الثاني - الانقلابي - فقد حاول الفيض آبادي التهجم على الشيعة الإثني عشرية في بعض عقائدها، والطعن في بعض كتبها، والكذب على بعض علمائها.

فعرّض لمسألة ولادة الإمام المهدي ابن الحسن العسكري عليهما السلام، ولمسألة البداء، ونسب إلى الشيعة القول بنقصان القرآن

الكريم ... وإلى السيد المرتضى علم الهدى إنكار الميثاق ...
 وحاول الطعن في تفسير على بن إبراهيم القمي، والتكلم في كتاب سليم بن قيس الهلالي ...
 وهكذا في مسائل أخرى ...

ترجمة الفيض آبادي ... ص: ٧٢

وقد أثنى صاحب كتاب (نزهة الخواطر) على الفيض آبادي، ووصفه بألقابٍ ضخمة، وذكر كتابه (منتهى الكلام) في أول مؤلفاته، وهذا نصّ عبارته:
 «مولانا حيدر علي الفيض آبادي، الشيخ العالم الكبير العلامة، حيدر علي بن محمّد حسن بن محمّد ذاكر بن عبدالقادر، الدهلوي، الفيض آبادي.
 أوجد المتكلمين والنظار.

(١) الأمل للشيخ الطوسي: ٤٦٩/ ضمن الحديث ١٠٣١. تفسير الثعلبي ٢: ١٢٥-١٢٦، اسد الغابة ٤/ ٢٥ تفسير الرازي ٣/ ٢٢٢ والآية في سورة البقرة: ٢٠٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٧٣
 ولد ونشأ بفيض آباد، وقرأ العلم على مرزا فتح علي والسيد نجف علي والحكيم مير نواب، كلهم كانوا من علماء الشيعة بفيض آباد. ثم سافر إلى دهلي وأخذ عن الشيخ رشيد الدين والشيخ رفيع الدين، واستفاض عن الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي أيضاً، ولازمه زماناً، حتى برع في كثير من العلوم والفنون، ثم قدم لكهنو وأقام بها مدةً طويلةً وجدّ في البحث والإشغال، وأقبل على الجدل والكلام، فصار أوجد زمانه، أقرّ بفضل الموافق والمخالف، ثم سار إلى بهوپال وأقام بها مدةً، ثم سافر إلى حيدر آباد، فولاه نواب مختار الملك العدل والقضاء، فاستقلّ به مدةً حياته مع اشتغاله بالتصنيف والتأليف.
 ومن مصنفاته: منتهى الكلام، في مجلد كبير، وإزالة الغين عن بصارة العين، في ثلاث مجلّدات، ونضارة العينين عن شهادة الحسنين، وكاشف اللثام عن تدليس المجتهد القمقام، والداهية الحاطمة على من أخرج من أهل البيت فاطمة، ورؤية الثعاليب والغرايب في إنشاء المكاتب، وكتابه في إثبات البيعة المرتضوية، وكتابه في إثبات ازدواج عمر بن الخطاب بسيدتنا ام كلثوم بنت علي المرتضى، وله تكملة فتح العزيز، في مجلّدات كبار، صنّفها بأمر نواب سكندر بيكم ملكة بهوپال.
 مات سنة ١٢٩٩ «١».

وذكره خيرالدين الزركلي في (الأعلام) فقال:
 «حيدر علي بن محمّد الفيض آبادي. متكلم هندي، من فقهاء الحنفيّة، له تصانيف، منها: إزالة الغين. ط. تكملة لتفسير العريزي، ومنتهى الكلام في

(١) نزهة الخواطر ٧/ ١٥٦ أعيان القرن ١٣ برقم ٢٧٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٧٤
 الردّ على الشيعة قال صاحب الهدية: مجلّدان ضخمان «١».
 وقال عمر كخاله:

«حيدر علي بن محمّد الفيض آبادي الهندي الحنفي، متكلم فقيه. من آثاره: منتهى الكلام في الردّ على الشيعة، في مجلّدين ضخمين،

فرغ منه سنة ١٢٥٠هـ» (٢).

وكذلك في (هدية العارفين ١/ ٣٤٢).

استقصاء الإفحام للسيد حامد حسين ... ص: ٧٤

وهذا الكتاب عنوانه الكامل (استقصاء الإفحام واستيفاء الانتقام في نقض منتهى الكلام).
وكأن المؤلف قد وضع عليه هذا الاسم ليشير إلى أن للبحث فيه جهتين، وأن له من تأليفه غرضين:
أحدهما: دفع الشبه والإعتراضات عن جملة من العقائد، وردّ التُّهم عن بعض الأعلام، والتكلم على بعض الكتب المعروفة عند الإمامية.
وعنوان (استقصاء الإفحام) ناظر إلى هذه الجهة.
والثاني: التحقيق عن موقع العلوم الإسلامية من علم العقائد والتفسير والحديث والفقه وعن حال مؤسسيها، عند أهل السنّة، وبيان حال علمائهم وأشهر كتبهم المعتمدة في هذه العلوم.

(١) الأعلام ٢/ ٢٩٠.

(٢) معجم المؤلفين ٤/ ٩٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٧٥

وعنوان (استيفاء الانتقام) ناظر إلى هذه الجهة.

وبتعبير آخر، فإنّ هذا الكتاب قد ألف نقضاً لكتاب (منتهى الكلام) في كلا مسلكيه، الجوابي والإنقلابي، حسب تعبير الفيض آبادي.
إلّا أنّ مؤلفه العلامة الفذ الأجلّ، قد قدّم المسلك الثاني على الأوّل، وقد ذكر السبب في ذلك بقوله:

«وقد كنت كتبت من النقض على مقامات شتى من المسلك الأوّل لهذا الكتاب، ما فيه نفع لأوام أولى الألباب وشفاء للأسقام والأوصاب، وغنية بإظهار الصواب ونضو الحجاب، وكنت لإتمامه وإنجازه صامداً ولتبييضه وإبرازه قاصداً.
ولكنّ ألفت رغبات الناس إلى تقديم المسلك الثاني وافرّه، وهمهم عن الصبر والإنظار قاصرة، وأيضاً وجدت صاحب الكتاب ومن اقتصّ أثره وحذا حذوه، يستصعبون نقض هذا المسلك غاية الإستصعاب، ويزعمونه ويحسبونه بالخصوم ممتنع الجواب، ويعدون اجتياح جذمه من أنكر الأشياء وأعجب العجاب.

فخفت على نفسي محاجزات الدهر الكنود، وربّثت عوائق الزمن العنود، وأشفقت أن لا أبلغ إلى حمادى المقصود، ويحال بينى وبين الإتيان عليه كمالاً واردع عمّا أروود، فيكون ذلك تصديقاً لظنونهم الخاسرة وتأييداً لما يلجج في صدورهم الواغرة.
فأشحت بوجهي عن التوجّه إلى المسلك الأوّل لعناني ثانياً، وقمت - بعون الله - لنقض المسلك الثاني نصره لدينه غير متع ولا وانياً، ثمّ إذا وفق الله لاستيعاب جواب هذا المسلك وإتمامه وإبراز أثماره من أكمامه، سأنتنى - إن شاء الله - إلى إتمام نقض المسلك الأوّل وهدم جدرانته، ورضّ أركانه

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٧٦

وهصر فتونه وأغصانه، وعضب عروقه وأفنانه.

وإنّ حيل بينى وبين هذا المراد، واقتطعت عن هذه البغية وضربت دونها الأسداد، فليستدل الناظر بما في هذا المسلك الآخر من غرائب البوادر على حقيقة ما في الأوّل من الوهن الظاهر، فإنّ الغرفة تنبئ عن الغدير والقزير يدلّ على الغزير وأثر القدم على المسير، فكيف لا يدلّ هذا التحرير والتقرير الكثير على سقوط ما في المسلك الأوّل من إفادات المخاطب التحرير؟»

فهرس موضوعات استقصاء الإفهام ... ص: ٧٦

وقد خرج من المسلك الثاني مجلّدان.

* وبحوث المجلّد الأول هي:

مبحث تحريف القرآن

مبحث البداء

مبحث التجسيم

مطاعن أبي حنيفة

مبحث القياس والإستحسان

كلام في مسألة الميثاق

كلام في مسألة الصور

كلام في ردّ الشمس وشقّ القمر

مسألة العبث في الصّلاة

حول كتاب سليم بن قيس الهلالي

مبحث إسلام آباء النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٧٧

كلام حول نسب عمرو بن العاص

كلام حول حكم ولد الزنا وأنه يدخل الجنّة أو لا؟

من قبائح مذهب الأشاعرة

الكلام في الصحاح السنّة وأصحابها

الكلام في مالک والشافعي

* وأما المجلّد الثاني، فبحوثه هي:

الدفاع عن تفسير علي بن إبراهيم القمي

الكلام في التفسير والمفسّرين عند القوم، ابتداءً بالصّحابة ثمّ التابعين ثمّ من بعدهم ... على ضوء كتبهم، فأورد هنا دراسات جليّة عن

الأعلام الأئمّة في التفسير عند أهل السنّة، وهم:

عبدالله بن مسعود

أبو موسى الأشعري

عبدالله بن الزبير

أنس بن مالك

أبو هريرة

عبدالله بن عمرو بن العاص

مجاهد

عكرمة

الحسن البصري

عطاء

أبو العالئة

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٧٨

الضحاك

قتادة

زيد بن أسلم

مرّة بن شراحيل

سفيان بن عينة

عبدالرزاق

وجماعة غيرهم ... إلى الفخر الرازي.

ثم تعرّض للتحقيق عن حديث الحوض ومفاده، وما ورد عن أنمّة أهل البيت عليهم السلام في الصحابة.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٧٩

ترجمة السيد مير حامد حسين ... ص: ٧٩**نسبه ... ص: ٧٩**

وهو: السيد حامد حسين، ابن السيد محمّد قلى، ابن السيد محمّد حسين المعروف بالسيد الله كرم، ابن السيد حامد حسين، ابن السيد زين العابدين، ابن السيد محمّد المعروف بالسيد البولاقى، ابن السيد محمّد المعروف بالسيد مدا، ابن السيد حسين المعروف بالسيد ميهتر، ابن السيد جعفر، ابن السيد على، ابن السيد كبير الدين، ابن السيد شمس الدين، ابن السيد جمال الدين، ابن السيد شهاب الدين أبى المظفر حسين الملقّب بسيد السادات المعروف بالسيد علاء الدين أعلى بزرك، ابن السيد محمّد المعروف بالسيد عزّ الدين، ابن السيد شرف الدين أبى طالب المعروف بالسيد الأشرف، ابن السيد محمّد الملقّب بالمهدى المعروف بالسيد محمّد المحروق، ابن حمزة بن على بن أبى محمّد بن جعفر بن مهدي بن أبى طالب بن على بن حمزة بن أبى القاسم حمزة، ابن الإمام أبى إبراهيم موسى الكاظم، ابن الإمام أبى عبدالله جعفر الصادق، ابن الإمام أبى جعفر محمّد الباقر، ابن الإمام أبى محمّد على زين العابدين، ابن السبط الشهيد الإمام أبى عبدالله الحسين ابن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين «١».

ولد فى ٤ محرّم الحرام سنة ١٢٤٦، وتوفى فى ١٨ صفر سنة ١٣٠٦.

(١) تكملة نجوم السماء ٢/ ٢٥ الفضل الجلى: ٢ عن تذكرة ناصر الملة.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٨٠

اسرته ... ص: ٨٠

وهو من اسرّة عريقة فى العلم والفضيلة والجهاد، والدفاع عن مذهب أهل البيت الطاهرين عليهم السلام. قال شيخنا الحجّة الطهرانى رحمه الله: «إنّ هذا البيت الجليل من البيوت التى غمرها الله برحمته، فقد صبّ سبحانه وتعالى على أعلامه

المواهب، وأمطر عليهم المؤهلات وأسبل عليهم القابليات وغطاهم بالإلهام، وأحاطهم بالتوفيق، فقد عرفوا قدر نعم الله عليهم فلم يضيّعوها. بل كرسوا حياتهم وبذلوا جهودهم وأفنا أعمارهم في الذب عن حياض الدين، وسعوا سعياً حثيثاً في تشييد دعائم المذهب الجعفري، فخدماتهم للشرع الشريف وتفانيهم دون إعلان كلمة الحق غير قابلة للحد والإحصاء، ولذا وجب حقهم على جميع الشيعة الإمامية ممن عرف قدر نفسه واهتم لدينه ومذهبه «... ١».

وقد اشتهر من أعلام هذه الأسرة جماعة، ونحن نكتفي منهم بترجمته وترجمته والده السيد محمد قلى ونجله الكبير السيد ناصر حسين.

والده السيد محمد قلى ... ص: ٨٠

ولد السيد محمد قلى يوم الإثنين، الخامس من شهر ذى القعدة، سنة ١١٨٨ في بلدة كنتور، وتلمذ على الإمام الأكبر السيد دلدار على النقوى، وله مصنّفات جليّة، من أشهرها ردوده على أبواب من كتاب (التحفة الإثني عشرية) وأكثرها فائدة (تشييد المطاعن ...). وله (الفتوحات الحيدرية في الردّ

(١) طبقات أعلام الشيعة - الكرام البررة ٢ / ١٤٨.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٨١

على كتاب الصراط المستقيم لعبد الحى الدهلوى) و (الشعلة الجوّالة في الردّ على الشوكة العمريّة، لرشد الدين الدهلوى) و (الأجوبة الفاخرة في ردّ الأشاعرة) و (نفاق الشيخين بحكم أحاديث الصحيحين) و (تقريب الأفهام في تفسير آيات الأحكام) وله غير ذلك. وهذه الكتب مذكورة له في كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) و ترجمته في (نزّهة الخواطر) إذ قال:

«الشيخ الفاضل المفتى محمد قلى بن محمد حسين بن حامد حسين بن زين العابدين الموسوى النيسابورى الشيعى الكنتورى. أحد الأفاضل المشهورين.

ولد سنة ١١٨٨، وقرأ العلم على أساتذته لكهنو، ثم لازم السيد دلدار على بن محمد معين النقوى النصير آبادى المجتهد (١)، وأخذ عنه الفقه والاصول والحديث، ثم ولى الإفتاء ببلده ميرت، فاستقلّ مدّة من الزمان، وصنّف كتباً في الاصول والكلام... مات لتسع خلون من محرّم سنة ستين ومائتين وألف، كما في تذكرة

(١) هو: من أعظم علماء الشيعة في عصره وكبار فحول علماء الهند، وهو الذى نشر عقائد الشيعة هناك، عبّر عنه الشيخ صاحب الجواهر بكلمات قلما جاءت فى حقّ أحد من الشيخ رحمه الله ومن غيره، قرأ فى الهند، وهاجر إلى العراق فحضر فى كربلاء المقدّسة على الوحيد البهبهانى وصاحب الرياض، والميرزا الشهرستانى، وفى النجف الأشرف على السيد بحر العلوم، ثم سافر إلى مشهد الرضا، فحضر هناك على الشهيد السيد محمد مهدى بن هداية الله الخراسانى، ثم رجع إلى بلاده حاملاً الإجازات والشهادات الثمينه، وخلف آثاراً جليّة فى الفقه والاصول والفلسفة والكلام، وأولاداً علماء أبرار ستأتى تراجم بعضهم، ولد سنة ١١٦٦، وتوفى سنة ١٢٣٥.

(ريحانة الأدب ٤ / ٢٣٠، أعلام الشيعة، الترجمة رقم ٩٤٨)

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٨٢

العلماء» (١).

أساتذته ... ص: ٨٢

قرأ المقدمات ومبادئ العلوم والكلام على والده العلامة.

وأخذ الفقه والاصول عن السيد حسين «٢» ابن السيد دلدار على.
والمعقول على السيد مرتضى «٣» ابن السيد محمد ابن السيد دلدار على.
والأدب عن المفتي السيد محمد عباس «٤».
وكل هؤلاء من أعظم الوقت ومشاهير العصر.

كلمات العلماء في حقه ... ص: ٨٢

١- قال الحجّة الأمين العاملي:

«كان من أكابر المتكلمين الباحثين عن أسرار الديانة، والذائين عن بيضه

(١) نزهة الخواطر ٧ / ٤٧١ - ٤٧٢.

(٢) من مشاهير علماء الشيعة في الهند، لُقّب بـ «سيد العلماء» نشأ على أبيه وإخوته، بلغ رتبة الاجتهاد في سنّ الشباب، نبغ نبوغاً باهراً وذاع صيته وقصده الطلاب، وله مصنّفات ثمينه. ولد سنة ١٢١١، وتوفّي سنة ١٢٧٣، كما في أعلام الشيعة، الكرام البررة، الترجمة رقم ٧٩٣.

(٣) كان عارفاً بالعلوم العقليّة، وتوفّي شاباً في حياة والده، وكان عالماً كاملاً أريباً. أمّا والده السيد محمد، فكان من كبار المجتهدين ومن أعظم المتكلمين، لُقّب بـ «سلطان العلماء». (أحسن الوديعه في تراجم علماء الشيعة ١ / ٤٣، ريحانه الأدب في المعروفين بالكنيه واللقب، وغيرهما)

(٤) هو العالم الشهير، أديب الهند الكبير، ذكره شيخنا بترجمة السيد حسين النقوي من الكرام البررة في أعلام القرن الثالث بعد العشرة. استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٨٣

الشريعة وحوزه الدين الحنيف، علامةً نحرياً ماهراً بصناعه الكلام والجدل، محيطاً بالأخبار والآثار، واسع الإطلاع، كثير التتبع، دائم المطالعه، لم ير مثله في صناعه الكلام والإحاطه بالأخبار والآثار في عصره بل وقبل عصره بزمان طويل وبعد عصره حتّى اليوم. ولو قلنا: إنّه لم ينبغ مثله في ذلك بين الإماميّة بعد عصر المفيد والمرتضى لم نكن مبالغين، يعلم ذلك من مطالعه كتاب (العقبات) وساعده على ذلك ما في بلاده من حرّيّة الفكر والقول والتأليف والنشر، وقد طار صيته في الشرق والغرب وأذعن لفضله عظماء العلماء.

وكان جامعاً لكثير من فنون العلم، متكلماً، محدثاً، رجالياً، أديباً، قضى عمره في الدرس والتصنيف والتأليف والمطالعه» (١).

٢- وقال شيخنا الحجّة الطهراني:

«من أكابر متكلمي الإماميّة وأعظم علماء الشيعة المتبحرين في أوليات هذا القرن، كان كثير التتبع، واسع الإطلاع والإحاطه بالآثار والأخبار والتراث الإسلامي، بلغ في ذلك مبلغاً لم يبلغه أحد من معاصريه ولا المتأخرين عنه، بل ولا كثير من أعلام القرون السابقة، أفنى عمره الشريف في البحث عن أسرار الديانة، والذبّ عن بيضة الإسلام، وحوزه الدين الحنيف، ولا أعهد في القرون المتأخره من جاهد جهاده وبذل في سبيل الحقائق الراهنه طارفه وتلاده، ولم تر عين الزمان في جميع الأمصار والأعصار مضاهياً له، في تتبعه وكثرة اطلاعه ودقته وذكائه وشده حفظه وضبطه.

قال سيدنا الحسن الصدر في (التكملة): كان من أكابر المتكلمين، وأعلام علماء الدين وأساطين المناظرين المجاهدين، بذل عمره في نصرة

(١) أعيان الشيعة ٤ / ٣٨١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٨٤

الدين وحماية شريعة سيد المرسلين والأئمة الهادين، بتحقيقات أنيقة وتدقيقات رشيقة، واحتجاجات برهانية، وإلزامات نبوية، واستدلالات علوية، ونقوض رضوية، حتى عاد الباب من (التحفة الإثني عشرية) خطابات شعرية وعبارات هندية تضحك منها البرية، ولا عجب:

فالشبل من ذاك الهزير وإنما تلد الاسود الضاريات اسودا» (١)

٣- وقال المحقق الشيخ محمد علي التبريزي:

«حجة الإسلام والمسلمين، لسان الفقهاء والمجتهدين، ترجمان الحكماء والمتكلمين، علامة العصر مير حامد حسين، من ثقات وأركان علماء الإمامية، ووجوه وأعيان فقهاء الإثني عشرية، كان جامعاً للعلوم العقلية والنقلية، بل من آيات الله وحجج الفرقه المحقة، ومن مفاخر الشيعة بل الأمة الإسلامية، وبالأخص؛ فإنه يعدّ من أسباب افتخار قرننا على سائر القرون» «... ٢».

٤- وقال العلامة المحدث القمي:

«السيد الأجل العلامة والفاضل الورع الفهامة، الفقيه المتكلم المحقق والمفسر المحدث المدقق، حجة الإسلام والمسلمين آية الله في العالمين، وناشر مذهب آبائه الطاهرين، السيف القاطع، والركن الدافع، والبحر الزاخر، والسحاب الماطر، الذي شهد بكثرة فضله العاكف والبادي، وارتوى من بحار علمه الضمان والصادي:
هو البحر لا بل دون ما علمه البحر هو البدر لا بل دون طلعه البدر

(١) أعلام الشيعة ١ / ٣٤٧ بتلخيص.

(٢) ربحانة الأدب في المعروفين بالكنية واللقب ٣ / ٤٣٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٨٥

هو النجم لا بل دونه النجم طلعه هو الدر لا بل دون منطقه الدر

هو العالم المشهور في العصر والذي به بين أرباب النهي افتخر العصر

هو الكامل الأوصاف في العلم والتقى فطاب به في كل ما قطر الذكر

محاسنه جلت عن الحصر وازدهى بأوصافه نظم القصائد والنثر

وبالجملة: فإن وجوده كان من آيات الله وحجج الشيعة الإثني عشرية، ومن طالع كتابه (العبارات) يعلم أنه لم يصنف على هذا المنوال

في الكلام- لاسيما في مبحث الإمامة- من صدر الإسلام حتى الآن» «... ١».

٥- وقال صاحب تكملة نجوم السماء:

«آية الله في العالمين وحجته على الجاحدين، وارث علوم أوصياء خير البشر، المجدد للمذهب الجعفري على رأس المئة الثالثة عشر،

مولانا ومولى الكونين المقتفى لآثار آبائه المصطفين، جناب السيد حامد حسين، أعلى الله مقامه وزاد في الخلد إكرامه.

بلغ في علو المرتبة وسمو المنزلة مقاماً تقصر عقول العقلاء وألباب الألباء عن دركه، وتعجز أسنن البلغاء وقرائح الفصحاء عن بيان

أيسر فضائله» «... ٢».

٦- وقال صاحب المآثر والآثار:

«مير حامد حسين اللكهنوي، آية من الآيات الإلهية، وحجة من حجج الشيعة الإثني عشرية، جمع إلى الفقه التضلع في علم الحديث

والإحاطة بالأخبار والآثار وتراجم رجال الفريقين، فكان في ذلك المتمرد بين الإمامية،

(١) الفوائد الرضوية: ٩١-٩٢.

(٢) تكملة نجوم السماء ٢/٢٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٨٦

وهو صاحب المقام المشهود، والموقف المشهور بين المسلمين في فن الكلام- ولاسيما مبحث الإمامة- ومن وقف على كتابه عبات الأنوار علم أنه لم يصنف على منواله في الشيعة من الأولين والآخرين... ومن الإمارات على كونه مؤيداً من عند الله ظفره بكتاب الصواعق لنصر الله الكابلي الذي انتحل الدهلوي كله «... ١».

٧- وقال صاحب أحسن الوديعه:

«لسان الفقهاء والمجتهدين، وترجمان الحكماء والمتكلمين، وسند المحدثين مولانا السيد حامد حسين... كان رحمه الله من أكابر المتكلمين الباحثين في الديانة، والذابين عن بيضة الشريعة وحوزة الدين الحنيف، وقد طار صيته في الشرق والغرب، وأذعن بفضل صناديد العجم والعرب، وكان جامعاً لفنون العلم، واسع الإحاطة، كثير التتبع، دائم المطالعة، محدثاً رجائياً أديباً أريباً، وقد قضى عمره الشريف في التصنيف والتأليف، فيقال أنه كتب بينماه حتى عجزت بكثرة العمل، فأضحى يكتب باليسرى.

وله مكتبة كبيرة في لكهنو، وحيدة في كثرة العدد من صنوف الكتب، ولاسيما كتب المخالفين.

وبالجملة، فهو في الديار الهندية سيد المسلمين حقاً وشيخ الإسلام صدقاً، وأهل عصره كلهم مدعون لعلو شأنه في الدين والسيادة وحسن الاعتقاد وكثرة الإطلاع وسعة الباع ولزوم طريقة السلف» «٢».

(١) المآثر والآثار: ١٦٨.

(٢) أحسن الوديعه في تراجم علماء الشيعة: ١٠٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٨٧

٨- وقال كحالة:

«... أمير، متكلم، فقيه، أديب» «... ١».

٩- وقال صاحب نزّهة الخواطر:

«ولد لأربع خلون من المحرم سنة ١٢٤٦ في «ميرته» حيث كان والده صدر الصدور، وقرأ عليه الكتب الإبتدائية المتداولة، ومات أبوه وله ١٥ سنة من العمر، فقرأ الأدب على المولوي بركة على السنّي والمفتي محمد عباس اللكهنوي، والعلوم العقلية على السيد مرتضى ابن المولوي سيد محمد، وكتب العلوم الشرعية على السيد محمد بن دلدار على وعلى السيد حسين، وكان أكثر أخذه ودراسته على الأخير، واشتغل بعد التحصيل بترتيب مؤلفات والده وتصحيحها ومقابلتها بالاصول.

وبدأ بتأليف استقصاء الإفحام في الرد على منتهى الكلام للشيخ حيدر على الفيض آبادي، وأكمل شوارق النصوص.

وسافر في سنة ١٢٨٢ للحج والزيارة، واقتبس من الكتب النادرة في الحرمين، ورجع إلى الهند وانصرف إلى المطالعة والتأليف واقتناص الكتب النادرة، وكثير منها بخط مؤلفيها من كل مكان وبكل طريق، وأنفق عليها الأموال الطائلة، حتى اجتمع عنده عشرة آلاف من الكتب، منها ما جلبت من مصر والشام والبلاد البعيدة.

وكان بارعاً في الكلام والجدل، واسع الإطلاع، كثير المطالعة، سائل القلم، سريع التأليف، وقد أضنى بنفسه في الكتابة والتأليف، حتى اعترته الأمراض الكثيرة وضعفت قواه.

(١) معجم المؤلفين ١ / ٥٢١ رقم ٣٨٩٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٨٨

وكان جلّ اشتغاله بالرّد على أهل السنّة ومؤلفات علمائهم وأئمّتهم، كالشيخ الإمام وليّ الله الدهلوي وابنه الشيخ عبدالعزيز والشيخ حيدر على الفيض آبادي وغيرهم.

ومن مؤلفاته: استقصاء الإفحام، في مجلدين ضخمين، وعبقات الأنوار، في ثلاثين جزءاً، وشوارق النصوص، في خمسة أجزاء، وكشف المعضلات في حلّ المشكلات، وكتاب النجم الثاقب في مسألة الحاجب - في الفقه، والدرر السّنية في المكاتيب والمنشآت العربيّة، وله غير ذلك من المؤلفات.

مات في ١٨ صفر سنة ١٣٠٦ في لكهنؤ، ودفن في حسيّته العلّامة السيّد دلدار على المجتهد «١».

المكتبة الناصرية ... ص: ٨٨

ومن آثار هذه الاسرة وخدماتهم للعلم والطائفة: المكتبة العظيمة التي خلفتها في مدينة لكهنؤ، هذه المكتبة التي كانت كتب العلّامة السيّد محمّد قلى نواة لها، ثمّ ضمّ إليها نجله السيّد حامد حسين كلّ ما حصل عنده من الكتب، ولاسيّما ما كان يفحص عنه وحصل عليه في البلاد المختلفة من امّهات المصادر في مختلف العلوم والفنون لأجل كتابه (عبقات الأنوار)، ثمّ سعى نجله السيّد ناصر حسين في تطويرها وتوسعتها فاشتهرت بالمكتبة الناصرية.

لقد كانت في زمن السيّد حامد حسين تحتوي على ثلاثين ألف كتاب.

قال شيخنا الطهراني بترجمته: «وللمترجم خزانه كتب جليدة وحيدة في لكهنؤ بل في بلاد الهند، وهي إحدى مفاخر العالم الشيعي، جمعت ثلاثين

(١) نزّهة الخواطر ٨ / ٩٩ - ١٠٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٨٩

ألف كتاب بين مخطوط ومطوع، من نفائس الكتب وجلال الآثار، ولاسيّما تصانيف أهل السنّة من المتقدّمين والمتأخّرين. حدّثني شيخنا العلّامة الميرزا حسين النوري أنّ المترجم كتب إليه من لكهنؤ يطلب منه إرسال أحد الكتب إليه، فأجابه الاستاذ: بأنّه من العجيب خلّو مكتبكم من هذا الكتاب على عظمها واحتوائها، فأجابه المترجم: بأنّ من المتيقّن لدىّ وجود عدّة نسخ من هذا الكتاب، ولكن التفتيش عنه والحصول عليه أمر يحتاج إلى متّسع من الوقت، والكتاب الذي ترسله إليّ يصلني قبل وقوفى على الكتاب الذي هو في مكتبي التي أسكنها، إنتهى.

فمن هذا يظهر عظم المكتبة واتّساعها.

وحدّثني بعض فضلاء الهند أنّ أحد أهل الفضل حاول تأليف فهرس لها وفشل في ذلك.

وقد أهدى إليّ بعض أجلاء الأصدقاء صورة جانب واحد من جوانبها الأربع وهو كتب التفاسير، وقد زرناه فأدهشنا.

وبالجملة، فإنّ مكتبة هذا الإمام الكبير من أهمّ خزائن الكتب في الشرق «١».

وقال السيّد محسن الأمين: «ومكتبته في لكهنؤ وحيدة في كثرة العدد من صنوف الكتب، ولاسيّما كتب غير الشيعة. ويناهاز عدد كتبها الثلاثين ألفاً، ما بين مطبوع ومخطوط ... فيما كتبه الشيخ محمّد رضا الشيباني في مجلّته العرفان ما صورته: من أهمّ خزائن الكتب الشرقية في عصرنا هذا، خزانه كتب المرحوم السيّد حامد حسين اللكهنؤي - نسبة إلى لكهنؤ من بلاد الهند -

(١) أعلام الشيعة، نقباء البشر ١/ ٣٤٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٩٠

صاحب كتاب (عقبات الأنوار) الكبير في الإمامة، من ذوى العناية بالكتاب والتوفّر على جمع الآثار، أنفق الأموال الطائلة على نسخها وورقتها، وفي كتابه (عقبات الأنوار) المطبوع في الهند ما يشهد على ذلك.

وقد اشتملت خزائنه كتبه على الوف من المجلدات، فيها كثير من نفائس المخطوطات القديمة» (١).

وفي (أحسن الوديعه) بترجمته: «وله مكتبة كبيرة في لكهنو وحيدة في كثرة العدد من صنوف الكتب، ولاسيما كتب المخالفين».

وجاء في (صحيفة المكتبة) الصادرة عن مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، في ذكر المكتبات التي زارها العلامة الحجة المجاهد صاحب الغدير في مدينة لكهنو بالهند ما نصّه: «مكتبة الناصرية العامة، تزدهر هذه المكتبة العامرة بين الأوساط العلمية وحواضر الثقافة في العالم الإسلامي بنفائسها الجمّة، ونوادرها الثمينة، وما تحوى خزانتها من الكتب الكثيرة في العلوم العالية من؛ الفقه واصوله، والتفسير، والحديث والكلام، والحكمة والفلسفة، والأخلاق، والتاريخ، واللغة، والأدب، إلى معاجم ومجاميع وموسوعات في الجغرافيا، والتراجم، والرجال، والدراية، والرواية.

وهي نتيجة فكرة ثلاثة من أبطال العلم والدين، جمعت يمين كلّ منهم قسماً من هذه الثروة الإسلامية الطائلة في حياته السعيدة، فأسدى بها إلى امية القرآن الكريم خدمة كبيرة، تذكروا وتشكر مع الأبد، ولم يكتف أولئك الفطاحل بذلك إلى أن وقف كلّ منهم ماله عليه وقفاً، فغدت يقضى بها كلّ عالم مأربه، ويسدّ بها كلّ ثقافى حاجته.

(١) أعيان الشيعة ٤/ ٣٨١، بترجمة السيد حامد حسين.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٩١

وكانت النواة لها مكتبة السيد محمد قلى الموسوى ... ثمّ هذا حذوه وضمّ كتبه إليها نجله القدوة والاسوة السيد حامد حسين ... ثمّ شفعت تلك المكتبة بمكتبة شبلة السيد ناصر حسين.

وهذه المكتبة العامرة تسمى باسمه، يناهز عدد كتبها اليوم ثلاثين ألفاً من المطبوع والمخطوط، يقوم بإدارة شؤونها شقيقا الفضيلة: السيد محمد سعيد العبقاتي، والزعيم المحنك السيد محمد نصير العبقاتي، وقد شيدت لها حين كُنّا في تلكم الديار بهمتها القعساء بناية فخمة تقع في أهدء مكان، قد خصّصت لها الإدارة المحليّة لمتصرفية لكهنو والإدارة المركزيّة للشؤون الثقافية للحكومة الهنديّة، منحة ماليّة سنويّة لإدارة شؤونها، وتسديد رواتب موظفيها، وهي وإن كانت جلّ ذلك فضلاً عن الكلّ، إلّا أنّها مساعده تحمد عليها وتقدر».

ثمّ ذكر الكاتب أسماء نفائس من هذه الخزائنه ممّا وقف عليه العلامة الأمينى وغيره.

وقال صاحب (نزّهة الخواطر) بترجمته: «وسافر في سنة ١٢٨٢ للحج والزيارة، واقتبس من الكتب النادرة في الحرمين، ورجع إلى الهند وانصرف إلى المطالعة والتأليف واقتناص الكتب النادرة، وكثير منها بخط مؤلفيها، من كلّ مكان، وبكلّ طريق، وأنفق عليها الأموال الطائلة ...».

تصانيفه ... ص: ٩١

قال شيخنا العلامة الطهراني: «وله تصانيف جليله نافعة، تموج بمياه التحقيق والتدقيق، وتوقف على ما لهذا الحبر من المادّة الغزيرة، وتعلم الناس

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٩٢

بأنه بحر طام لا ساحل له».

ومصنّفاته كثيرة ومتنوّعة، منها:

- ١- الذرائع فى شرح الشرائع، فى الفقه.
- ٢- العضب البتار فى مبحث آية الغار.
- ٣- الدرر السّتيّة فى المكاتيب والمنشآت العربيّة.
- ٤- إفحام أهل المين فى ردّ إزالة الغين.
- ٥- كشف المعضلات فى حلّ المشكلات.
- ٦- شوارق النصوص فى مناقب اللّصوص.
- ٧- عبقات الأنوار فى إمامة الأئمّة الأطهار، فى الردّ على الباب السابع من (التحفّة الإثني عشرية) وهو فى الإمامة.
- ٨- استقصاء الإفحام واستيفاء الإنتقام فى نقض منتهى الكلام، وهو الكتاب الذى تقدّم له وتكلّمنا حوله.

قال المحقّق التبريزي:

«وقد صرّح بعض الأكابر ببلوغ مؤلّفاته المائتين مجلداً» (١).

وقال الشيخ الطهراني:

«الأمر العجيب أنّه أُلّف هذه الكتب النفائس والموسوعات الكبار وهو لا يكتب إلّا بالحبر والقرطاس الإسلاميين، لكثرة تقواه وتورّعه، وأمر تحزّزه عن صنائع غير المسلمين مشهور متواتر» (٢).

(١) ريحانة الأدب ٣ / ٤٣٢.

(٢) طبقات أعلام الشيعة- نقيب البشر فى أعلام القرن الرابع عشر ١ / ٣٤٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٩٣

أشهر مصنّفاته ... ص: ٩٣

إشارة

وإنّ أشهر مصنّفاته وأهمّها وأوسعها هى الكتب الثلاثة الأخيرة، وخاصيّة كتاب (عبقات الأنوار) الذى لُقّب به المؤلّف واشتهر ب (صاحب العبقات).

وقد أُلّف كتاب (شوارق النصوص) ثمّ (العبقات) ثمّ كتاب (استقصاء الإفحام).

١- استقصاء الإفحام ... ص: ٩٣

أمّا كتاب (استقصاء الإفحام) فقد تقدّم التعريف به، وسنذكر فيما بعد عملنا فيه.

٢- شوارق النصوص ... ص: ٩٣

وأمّا كتاب (شوارق النصوص) فقد تناول فيه ما رواه القوم فى كتبهم فى فضل المشايخ الثلاثة بالبحث والتحقيق فى السند والدلالة،

على ضوء كلمات أئمتهم في الجرح والتعديل، ونصوص عبارات عظمائهم في الحديث والكلام، فأثبت سقوط تلك الأحاديث عن درجة الاعتبار، وأنه لا يجوز الاستناد إليها والإحتجاج بها في باب من الأبواب ... وقد طبع هذا الكتاب في الآونة الأخيرة ... وهو كتاب فريد في بابه ...

٣- عبات الأنوار ... ص: ٩٣

وأما كتابه (عبقات الأنوار) فقد قال الميرزا أبو الفضل الطهراني:

«... عبقات الأنوار: تصنيف السيد الجليل، المحدث العالم العامل، نادرة الفلك وحسنه الهند، ومفخرة لكهنو وغزة العصر، خاتم المتكلمين، المولوى الأمير حامد حسين المعاصر الهندى اللكهنوى قدس سره وضوعف بره، الذى استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٩٤
أعتقد أنه لم يصنف مثل هذا الكتاب المبارك منذ بداية تأسيس علم الكلام حتى الآن فى مذهب الشيعة، من حيث الإتقان فى النقل، وكثرة الإطلاع على كلمات المخالفين، والإحاطة بالروايات الواردة من طرقهم فى باب الفضائل.
فجزاه الله عن آباءه الأماجد خير جزاء ولد عن والده، ووفق خلفه الصالح لإتمام هذا الخير الناجح» (١).
وقال السيد الأمين:

«عبقات الأنوار فى إمامة الأئمة الأطهار بالفارسيه، لم يكتب مثله فى بابه فى السلف والخلف، وهو فى الرد على باب الإمامة من (التحفة الإثنى عشرية) للشاه عبدالعزيز الدهلوى، فإن صاحب التحفة أنكر جملة من الأحاديث المثبتة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، فأثبت المترجم تواتر كل واحد من تلك الأحاديث من كتب من تسموا بأهل السنة.
وهذا الكتاب يدل على طول باعه وسعة اطلاعه، وهو فى عدة مجلدات، منها مجلد فى حديث الطير ... وقد طبعت هذه المجلدات ببلاد الهند، وقرأت نبذاً من أحدها فوجدت مادة غزيرة وبحراً طامياً، وعلمت منه ما للمؤلف من طول الباع وسعة الاطلاع.
وحبذا لو ينبرى أحد لتعريبها وطبعها بالعربية، ولكن الهمم عند العرب خامدة» (٢ ... ٢).
وقال شيخنا الحجة الطهراني:

(١) شفاء الصدور: ٩٩-١٠٠.

(٢) أعيان الشيعة ٣٨١/٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٩٥
«وهو أجل ما كتب فى هذا الباب من صدر الإسلام إلى الآن» (١).
وقال أيضاً:

«هو من الكتب الكلامية التاريخية الرجالية، أتى فيه بما لا مزيد عليه لأحد من قبله» (٢).

وقال المحدث الكبير الشيخ القمى ما تعريبه:

«لم يؤلف مثل كتاب (عبقات) من صدر الإسلام حتى يومنا الحاضر، ولا يكون ذلك لأحد إلا بتوفيق وتأييد من الله تعالى ورعاية من الحجة عليه السلام» (٣).

وقال المحقق الشيخ محمد على التبريزى ما تعريبه:

«ويظهر لمن راجع كتاب (عبقات الأنوار) أنه لم يتناول أحد منذ صدر الإسلام حتى عصرنا الحاضر علم الكلام - لاسيما باب الإمامة منه - على هذا المنوال ... وظاهر لكل متفطن خبير أن هذه الإحاطة الواسعة لا تحصل لأحد إلا بتأييد من الله تعالى وعناية من ولي

العصر عَجَل الله فرجه» (٤).

وقال العلامة الحجة المجاهد الشيخ الأميني، في المؤلفين في حديث الغدير:

«السيد مير حامد حسين ابن السيد محمد قلي الموسوي الهندي للكهنوي المتوفى سنة ١٣٠٦ عن ٦٠ سنة. ذكر حديث الغدير وطرقه وتواتره ومفاده في مجلدين ضخمين، في ألف وثمان صحائف، وهما من مجلدات

(١) أعلام الشيعة ١/ ٣٤٨.

(٢) مصفى المقال في مصنفى علم الرجال: ١٤٩.

(٣) هدية الأحباب في المعروفين بالكنى والألقاب: ١٧٧، وانظر الفوائد الرضوية: ٩١-٩٢.

(٤) ريحانة الأدب في المعروفين بالكنية واللقب ٣/ ٤٣٢.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٩٦

كتابه الكبير (العبارات).

وهذا السيد الطاهر العظيم - كوالده المقدس - سيف من سيوف الله المشهورة على أعدائه، ورايه ظفر الحق والدين، وآية كبرى من آيات الله سبحانه، قد أتم به الحجة وأوضح المحجة.

وأما كتابه (العبارات) فقد فاح أريجه بين لابتى العالم، وطبق حديثه المشرق والمغرب، وقد عرف من وقف عليه أنه ذلك الكتاب المعجز المبين الذى لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد استفدنا كثيراً من علومه المودعة في هذا السفر القيم، فله ولوالده الطاهر منا الشكر المتواصل، ومن الله تعالى لهما أجزل الاجور»

«١».

أقول:

والحمد لله الذى وقنى لتأليف كتاب (نفحات الأزهار في خلاصة عبات الأنوار) وإخراجه للناس في ٢٠ مجلداً، فمجلد في سبع آيات وهى:

آية الولاية، وآية التطهير، وآية المودة، وآية المباهلة، وآية الإنذار، والآية:

وقفوههم إنهم مسؤولون، والآية: السابقون السابقون.

وتسعة عشر مجلداً في الأحاديث، وهى: حديث الغدير، وحديث المنزلة، وحديث الطير، وحديث مدينة العلم، وحديث النور، وحديث السفينة، وحديث التشبيه، وحديث الثقلين.

التقريظ على كتبه ... ص: ٩٦

ولما وصلت كتب السيد ميرحامد حسين إلى الأقطار الإسلامية

(١) الغدير في الكتاب والسنة والأدب ١/ ١٥٦.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٩٧

والعوام العلميه فيها، كالنجف الأشرف، وأطلع عليها كبار الفقهاء، ووقف عليها رجالات الحديث والكلام والعلماء الأعلام فى سائر العلوم، أكبرها غاية الإكبار، وأثنوا عليها وعلى مؤلفها العظيم الثناء البالغ الجليل، وأرسلوا إلى السيد المؤلف ونجله رسائل التقريظ والتبجيل، شاكرين الله تعالى على هذه النعم ومعتبرين عن غاية سرورهم واعتزازهم بهذه الموهبة.

وقد جمعت نصوص تلك التقارير في كتاب سمي ب (سواطع الأنوار في تقارير عبات الأنوار)، ونحن نكتفي بذكر نصوص بعضها:

(١)

تقرير سيّد الطائفة في عصره المجدّد السيّد الميرزا الشيرازي «١»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أبدع بقدرته على وفق إرادته فطره الخلق، وكلما بحسب قابليته ما يليق به من صبغة الحقيقة، فعلم آدم الأسماء، واصطفى أكابر ذريته، وخلص صفوته للبحث عن حقائق الأشياء، والأطلاع على ما في بطون الأنبياء فألهمهم علوم حقائقه، وأعلمهم نواذر دقائقه، وجعلهم مواضع ودائع أسرارهم، وطالع طوابع أنوارهم، فاستنبطوا وأفادوا، واستوضحوا وأجادوا، والصلاة

(١) هو السيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي النجفي، أعظم علماء عصره وأشهرهم، وأعلى مراجع الإمامية في الأقطار الإسلامية في زمانه، حضر على الشيخ محمّد تقي صاحب حاشية (المعالم) والسيّد حسن المدرّس، والشيخ محمّد إبراهيم الكلباسي في أصفهان، وفي النجف الأشرف على الشيخ صاحب (الجواهر)، والشيخ الأنصاري، والشيخ حسن آل كاشف الغطاء، وكان أيام زعامته مقيماً في سامراء المشرفة، وقصّة (التباك) وفتواه بتحريمه مشهورة.

ولد سنة ١٢٣٠ وتوفي سنة ١٣١٢. (أعلام الشيعة)

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٩٨

والسلام على من حبه خير وأبقى، وآله الذين من تمسك بهم فقد استمسك بالعروة الوثقى.

أمّا بعد: فلما وقفت بتأييد الله تعالى وحسن توفيقه على تصانيف ذي الفضل الغزير، والقدر الخطير، والفاضل النحرير، والفاثق التحرير، والرائق التعبير، العديم النظير، المولوي السيّد حامد حسين، أيده الله في الدارين، وطيب بنشر الفضائل أنفاسه، وأذكي في ظلمات الجهل من نور العلم نبراسه.

رأيت مطالب عاليه، تفوق روائح تحقيقها الغالية، عباراتها الوافية دليل الخبرة، وإشاراتها الشافية محلّ العبرة، وكيف لا؟ وهي من عيون الأفكار الصافية مخرجه، ومن خلاصة الإخلاص منتجة، هكذا هكذا وإلّا فلا، العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء من الأخيار، وفي الحقيقة أفتخر كلّ الافتخار، ومن دوام العزم، وكمال الحزم، وثبات القدم، وصرف الهمم - في إثبات حقيته أهل بيت الرسالة بأوضح مقالة - أغار، فإنّه نعمه عظمى وموهبه كبرى، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

أسأل الله أن يديمه لإحياء الدين ولحفظ شريعته خاتم النبيين صلوات الله عليه وآله أجمعين.

فليس حياة الدين بالسيف والقنا فأقلام أهل العلم أمضى من السيف

والحمد لله على أن قلمه الشريف ماضٍ نافع، ولألسنة أهل الخلاف حسام قاطع، وتلك نعمه من الله بها عليه، وموهبه ساقها إليه.

وإني وإن كنت أعلم أن الباطل فاتح فاه من الحق، إلّا أنّ الذوات المقدّسة لا يبالون في إعلاء كلمة الحق، فأين الخشب المسند من الجنود المجدّدة، وأين ظلال الضلالة من البدر الأنور، وظلام الجهالة من

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٩٩

الكوكب الأزهر.

أسأل الله ظهور الحق على يديه، وتأييده من لديه، وأن يجعله موفقاً منصوراً مظفراً مشكوراً، وجزاه الله عن الإسلام خيراً.

والرجاء منه الدعاء مدى الأيام، بحسن العاقبة والختام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حرّه الأحقر محمّد حسن الحسيني

في ذى الحجة الحرام سنة ١٣٠١

(الختم المبارك)

(٢)

تقريظ خاتمة المحدثين الميرزا حسين النوري «١»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خصنا من بين الفرق بالفلج، وأيدنا ما دونهم بأوضح الحجج، والصلاة على من اصطفاه لدين قيم غير ذى عوج، وعلى آله الذين نشروا لواء الحق ولو بسفك المهج، وأحضوا على العلم ولو بخوض اللجج، عجل الله لهم النصر والفرج، وصلى الله عليهم ما مدحت الثغور بالبلج، ووصفت الحواجب بالزجاج.

(١) هو إمام أئمة الحديث والرجال في الأعصار المتأخرة، مؤلفاته تربو على العشرين، أشهرها وأهمها (المستدرک) استدرک فيه على كتاب (وسائل الشيعة) وهو أحد المجاميع الثلاثة المتأخرة، في ثلاث مجلدات كبار تشتمل على زهاء (٢٣٠٠٠) حديث، وقد ختمها بخاتمة ذات فوائد جلية، وله في بعض مؤلفاته آراء لم يوافقها سائر العلماء. ولد سنة ١٢٥٤ وتوفي سنة ١٣٢٠. (أعلام الشيعة)

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٠٠

وبعد: فإن العلم مشرع سلسل لكن على أرجائه ضلال، وروض مسلوف لكن دونه قلل الجبال دونهن حتوف، وإن من أجل من اقتحم موارد، وارتاد آنسه وشارده، وعاف في طلابه الراحة، ورأى في اجتلاء أنواره مروحة وراحة، حتى فاز منه بالخصل، بل وأدرك الفرع منه والأصل؛ السيد السديد، والركن الشديد، سباح عيالم التحقيق، سباح عوالم التدقيق، خادم حديث أهل البيت، ومن لا يشق غباره الأعوجى الكميت، ولا يحكم عليه لو ولا كيت، سائق الفضل وقائده وأمير الحديث ورائده، ناشر ألوية الكلام، وعامر أندية الإسلام، منار الشيعة، مدار الشريعة، يافعة المتكلمين، وخاتمة المحدثين، وجه العصابة وثبتها، وسيد الطائفة وثقتها، المعروف بطنطنة الفضل بين ولايتي المشرقين، سيدنا الأجل حامد حسين، لا زالت الرواة تحدث من صحاح مفاخره بالأسانيد مما تواتر من مستفيض فضله المسلسل كل معتبر عال الأسانيد.

ولعمري، لقد وفي حق العلم بحق براعته، ونشر حديث الإسلام بصدق لسان يراعه، وبذل من جهده في إقامة الأود، وإبانه الرشد ما يقصر دونه العيوق فأنى يدرك شأوه المسح السابح السبوق!!

فتلك كتبه قد حبت الظلام وجلت الأيام، وزينت الصدور وأخجلت المدور، ففيها (عبارات) أنوار اليقين و (استقصاء) شاف في تقدير نزهة المؤمنين، وظرائف طرف في إيضاح خصائص الإرشاد هي غاية المرام من مقتضب الأركان، وعمدة وافية في إبانه نهج الحق لمسترشد الصراط المستقيم إلى عماد الإسلام ونهج الإيمان، وصوارم في استيفاء إحقاق الحق هي مصائب النواصب، ومنهاج كرامة كم له في إثبات الوصية بولاية الإنصاف من مستدرک

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٠١

مناقب، ولوامع كافية لبصائر الانس في شرح الأخبار تلوح منها أنوار الملكوت، ورياض مونقة في كفاية الخصام من أنوارها المزريه بالدرّ النظيم تفوح منها نفحات اللاهوت.

فجزاه الله عن آبائه الأماجد خير ما جرى به ولداً عن والد، وأيد الله أقلامه في رفع الأستار عن وجه الحق والصواب، وأعلى ذكره في الدين ما شهد ببارع فضله القلم والكتاب، وملأت بفضائله صدور المهارق وبطون الدفاتر، ونظقت بمكارمه السنة الأقلام وأفواه المحابر.

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى اضيف إليها ألف آمينا

وصلّى الله عليه سيّدنا محمّد والميامين من عترته وسلّم تسليمًا.
كتب بيمنه الدائرة الخائرة العبد المذنب المسيء حسين بن محمّد تقى النورى الطبرسى.

فى ليلة الثانى عشر من شهر الصيام
فى الناحية المقدّسة سرّ من رأى - سنة ۱۳۰۳ حامداً مصلياً
(۳)

تقريظ الفقيه الكبير الشيخ زين العابدين المازندراني الحائرى (۱)
... چون متدرّجاً مجلّدات كتب مؤلّفات و مصنّفات آن جناب سامى

(۱) من كبار الفقهاء ومراجع التقليد، درس فى النجف الأشرف ثمّ انتقل إلى كربلاء المقدّسة واشتغل بالتدريس والتصنيف حتّى
توفى فى ۱۶ ذى القعدة سنة ۱۳۰۹ ودفن فى الصحن الحسينى الشريف.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ۱، ص: ۱۰۲

صفات - كه عبارت از (استقصاء الإفهام) و (عبارات) بوده باشد - در اين صفحات به دست علماء و فضلاى اين عتبات عرش درجات
ملحوظ و مشاهد افتاد، به أضعاف مضاعف آنچه شنیده مى شد دیده شد «كتاب احکمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير» از
صفحاتش نمودار «كتاب مرقوم» يشهده المقرّبون» از أوراقش پديدار، از عناوينش «آيات محکّمات هنّ امّ الكتاب» پيدا، و از
مضامينش «هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنّما هو إله واحد وليذكّر أولوا الألباب» هويدا، از فصولش عالمى را تاج تشييع و
استبصار بر سر نهاده، و از ابوابش به سوى «جنّات عدن تجرى من تحتها الأنهار» بابها گشاده، كلماتش «وجعلناها رجوماً للشياطين»
كلامش «ألا لعنة الله على الظالمين» مفاهيمش «ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنّ له لكم عدوّ مبين» مضامينش در
لسان حال أعداء «يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين» دلائلش «هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين» براهينش «كتاب
انزل إليك فلا يكن فى صدرك حرّج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين».

برای دفع یا جوج و مأجوج مخالفين دين مبین سدّی است متين، و از جهت قلع و قمع زمره معاندين مذهب و آئين چون تيغ
أميرالمؤمنين، سيمرغ سريع النقل عقل از طيران به سوى شرف اخبارش عاجز، همای تيزپای خيال از وصول به سوى غرف آثارش
قاصر. كتيبى به اين لياقت و متانت و اتقان تا الآن از بنان تحرير نحريرى سر نزده، و تصنيفى در اثبات حقيقت مذهب و ايقان تا اين
روز ظاهر نگشته.

از (عباراتش) رائحه تحقيق وزان، و از (استقصايش) استقصا بر جميع

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ۱، ص: ۱۰۳

دلائل قوم عيان، ولله درّ مؤلّفها ومصنّفها:

«أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشّر الذين آمنوا أن لهم قدام صدق عند ربهم قال الكافرون إنّ هذا
لساحر مبين».

ولده السيد ناصر حسين ... ص: ۱۰۳

ولد فى ۱۹ جمادى الثانية سنة ۱۲۸۴، وقرأ العلوم على والده العلامة والمفتى محمّد عيّاس وغيرهما من الأعلام، وله تصانيف كثيرة
ومتنوعة.

* قال السيد محسن الأمين العاملى:

«إمام في الرجال والحديث، واسع التبعية، كثير الإطلاع، قوى الحافظة، لا يكاد يسأله أحد عن مطلب إلأويحيله إلى مظانه من الكتب مع الإشارة إلى عدد الصفحات، وكان أحد الأساطين والمراجع في الهند، وله وقار وهيبه في قلوب العامة، واستبداد في الرأي ومواظبه على العبادات، وهو معروف بالأدب والعريه معدود من أساتذتهما وإليه يرجع في مشكلاتهما، وخطبه مشتمله على عبارات جزله وألغاز مستطرفه، وله شعر جيد» (١).

* وقال العلامة المحدث القمي - في ذيل ترجمه السيد حامد حسين - ما تعريبه:

«وجناب السيد مير ناصر حسين خلفه في جميع الملكات والآثار، ووارث ذاك البحر الزخار، وهو مصداق قوله:

إن السرى إذا سرى فبنفسه وابن السرى إذا سرى أسراهما

ولم يترك جهود والده تذهب سدى، بل اشتغل بتتبع عبقات الأنوار

(١) أعيان الشيعة ١٠ / ٢٠١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٠٤

وأخرج إلى البيضاء حتى الآن عدة مجلدات وطبعت، أدام الباري بركات وجوده الشريف وأعانه لنصرة الدين الحنيف» (١).

* وقال المحقق العلامة الشيخ التبريزي ما تعريبه ملخصاً:

«السيد ناصر حسين الملقب ب «شمس العلماء» كان عالماً متبحراً، فقيهاً أصولياً، محدثاً رجائياً، كثير التبعية واسع الإطلاع، دائم

المطالعة، من أعظم علماء الإمامية في الهند والمراجع في الفتيا لأهالي تلك البلاد» (٢).

* وقال المحقق الشيخ محمد هادي الأميني:

«إمام في الفقه والحديث والرجال والأدب» (٣).

* وقال العلامة السيد محمد مهدي الأصفهاني:

«شمس العلماء السيد ناصر حسين، عارف بالرجال والحديث، واسع التبعية، كثير الإطلاع، دائم المطالعة، وهو أحد مراجع أهالي الهند،

ولد سلمه الله في ١٩ جمادى الثانية ١٢٨٤» (٤).

* وقال العلامة السيد مرتضى حسين اللاهوري:

«هذا السيد العظيم شبل من ذاك الأسد، آية من آيات الله، قد أتم به الحجّة وأوضح المحجّة، كان فقيهاً محدثاً رجائياً متضلّعاً، أديباً

متطلعاً، خطيباً مفوهاً عالي الهمة، نبيه المنزلة، واسع العطاء، كريم الأخلاق، لئن الجانب، ذا فكرة وقادة، حصيد الرأي، مرجع الامور،

نافذ الأمر، ومع أعمال المرجعية وأشغاله الكثيرة كان ضابطاً للأوقات، مثابراً على التحقيق والبحث، عاكفاً على

(١) هدية الأحاب: ١٧٧.

(٢) ريحانة الأدب ٤ / ١٤٤ - ١٤٥.

(٣) معجم رجال الفكر والأدب: ٣٩٠.

(٤) أحسن الوديعه: ١٠٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٠٥

التصنيف والتأليف، حتى في أضيق الأحوال والمرض والأسقام، يروح ويغدو دائماً في المكتبة ويجلس طول النهار، فكتب وأكثر

وصنّف وأفاض، فأتمّ قسماً هاماً من تأليف عبقات الأنوار، ونشر كتب والده، ووسّع في المكتبة، إلى أن صارت تلك الخزانة من أكبر

خزائن الكتب للشيعة وأشهرها في العالم» (١).

بين السيد حامد حسين والمولوى الفيض آبادى ... ص: ١٠٥

ولم يقتصر الردّ والإيراد بين السيد حامد حسين والمولوى فيض آبادى على الكتابين (منتهى الكلام) و (استقصاء الإفحام).
 فلقد ردّ السيد على كتاب (إزالة الغين) للفيض آبادى، بكتاب (إفحام أهل المين).
 كما حاول الفيض آبادى أن يكتب ردّاً على كتاب (عبارات الأنوار)، واستعان لذلك ببعض كبار العلماء، إلّا أنه قد فشل، وهذا ما جاء
 فى كتاب (نزهة الخواطر) بترجمة المولوى السهوانى، إذ قال:
 «مولانا أمير حسن السهوانى، الشيخ الفاضل العلامة حسن بن لياقت على بن حافظ على بن نور الحق، الحسينى السهوانى.
 أحد العلماء المشهورين بالفضل والكمال.
 ولد سنة ١٢٤٧ ببلده سهسوان، قرأ بعض الكتب الدرسيّة ... فدرّس وأفاد مدّة من الزمان ... وكان غايةً فى سرعة الحفظ وقوّة
 الإدراك والفهم وبطوء النسيان، حتّى قال غير واحد من العلماء: إنّه لم يكن يحفظ شيئاً فينساها.

(١) الفضل الجلى. طبع بمقدّمه كتاب تشييد المطاعن.

استخراج المرام من استقصاء الإفحام، ج ١، ص: ١٠٦

وكان له يد بيضاء فى معرفة النحو واللغة، واصول الفقه، والكلام، والجدل، والرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، وسائر فنون
 الحديث واختلاف المذاهب.

وكان فيه زهد وقناعة باليسير فى الملبس والمأكل، يقوم بمصالحه ولا يقبل الخدمة فى غالب الأوقات لئلا يفوته خدمة العلم.
 وإنّى سمعت بعض الفضلاء يقول: إنّ مولانا حيدر على الفيض آبادى استقدمه إلى حيدر آباد ورتّب له ثلاثمائة ربيّة شهرياً يعينه فى
 الرد على عبارات الأنوار، لأنّ أوقاته لا تفرغ لذلك، لكثرة الخدمات السلطانيّة، فأبى قبوله وقال:
 إنّى لا أرضى بأنّ احتمل همّ ثلاثمائة ربيّة، أين أضعها؟ وفيما أبدلها؟ قال:

وكان مولانا حيدر على يصنّف الكتب ويدرّس، فلمّا رحل إلى حيدر آباد وولى الخدمة الجليله تأخّر عن ذلك حتّى احتاج إلى أن
 يولى غيره أمر التصنيف، فإنّى لا اريد أن اضيّع العلم بالمال، إنتهى.

وللسيد أمير حسن تعليقات على طبيعيات الشفا، وله رسالة فى إثبات الحق، ورسالة فى الرد على الشيعة، ورسائل اخرى لم تشتهر
 باسمه.

وكان لا يقلّد أحداً من الأئمّة الأربعة، بل يتتبع النصوص ويعمل بالكتاب والسنة.

مات يوم الإثنين لإحدى عشرة خلون من صفر سنة ١٢٩١ «١».

(١) نزهة الخواطر ٧ / ٨١ - ٨٢.

استخراج المرام من استقصاء الإفحام، ج ١، ص: ١٠٧

عملنا فى الكتاب ... ص: ١٠٧

إنّه قد علم ممّا تقدّم: إنّ كتاب (استقصاء الإفحام) يحتوى على قضايا مهمّة ومسائل أساسيّة، ففيه بحث قرآنى على ضوء روايات القوم
 فى كيفيّة جمع القرآن وما ورد عن عثمان وغيره حوله، وهو بحث لا يوجد فى أىّ كتاب قبله.
 وكذا تحقيقه فى القول بالتجسيم ومسألة البداء، وغيرهما من البحوث الاعتقاديّة ...

ثم دراسته للكتب والمؤلفين، فهو يدافع عن كتاب سليم بن قيس الهلالي ويثبت اعتباره، ويناقش اعتبار الصحاح السنّة وأحوال مؤلفيها، وكذلك يدافع عن تفسير علي بن إبراهيم القمي، ثم يتعرّض لطبقات المفسّرين وكتب التفسير عند أهل السنّة وينظر في أحوالها على ضوء ما جاء في كتب القوم.

وما يذكره حول عقائد أبي حنيفة وأخذه بالقياس، وما قيل فيه وفي مالك والشافعي وغيرهم من أئمّة الفقه ... ممّا يتبيّن امتياز مذهب الإماميّة الآخذين فقههم عن أهل البيت عليهم السلام عن المذاهب الأخرى ...

فهذه بحوثٌ ودراسات ... ونقود وردود ... قد اجتمعت في هذا الكتاب، وكثير منها - إن لم نقل كلّها - ممّا تفرّد به السيّد المؤلّف، ولم يسبقه إليها غيره.

التعريب: ولما كان الكتاب باللّغة الفارسيّة، فقد قمنا بتعريب مطالبه ونقلها إلى العربيّة، لكن الترجمة ليست حرفيّة وإن حاولنا ذلك قدر الإمكان.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٠٨

التلخيص: وقد لخصنا المطالب، بحذف المكرر وإسقاط ما لا دخل له فيه، فهو تلخيص دقيق لا يفوت شيئاً من فوائد الكتاب ولا يخلّ بالمقصود.

التنسيق: وبذلنا الجهد الكبير للتنسيق بين المواضيع، لأنّها كانت متشتتة جدّاً، بسبب أنّ كثيراً منها أو كلّها إنّما جرى على قلم الفيض آبادي بصورة الجمل المعترضة، فاهتمّ السيّد المؤلّف بذلك ولم يسكت عنه، بل فصل الكلام في موضعه، ومن الطبيعي حينئذٍ أن ينقطع الكلام وينفصل بعضه عن البعض ... فجمعنا كلّ بحثٍ في مكانٍ واحدٍ تحت عنوانٍ يخصّه، ليصل القارئ إلى النتيجة المطلوبة منه بسهولة.

وأيضاً، فقد حاولنا التنسيق بين المطالب من الناحية الموضوعيّة، من البحوث الاعتقاديّة والفقهية، والتفسيرية، والحديثية، وجعلنا بحوثاً في المجلّد الأخير تحت عنوان الملحقات ...

الإضافة والتعليق: ثمّ أضفنا إلى مطالب الكتاب - في بعض فصوله - ما رأينا من الضروري إضافته تكميلاً للبحث، كما علّقنا على مواضع منه في داخله بقدر الحاجة وفي التبيّة التعليق في الهامش على كلّ الكتاب في الطبعة اللاحقة بعد مراجعته وتكميل نواقصه وتصحيح أخطائه إن شاء الله تعالى

التحقيق: وقد وثّقنا النصوص المنقولة في الكتاب، وأرجعناها إلى المصادر بعد تطبيقها عليها بقدر الإمكان.

وقد سمّينا هذا المجهود باسم (استخراج المرام من استقصاء الإفحام).

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٠٩

الباب الأوّل: مسائل اعتقاديّة ... ص: ١٠٩

إشارة

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١١١

المصححان أصح من القرآن ...؟ ص: ١١١

إشارة

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١١٣

القرآن الكريم كلام الله عزوجل ...

والأخبار الواردة عن النبي وآله الأظهر في تلاوته وحفظه والعمل به والرجوع إليه ... كثيرة جداً، ولا خلاف بين العلماء في وجوب تعظيمه بكل أنحاء التعظيم وحرمة إهانتة مطلقاً، وذلك مذكور في محله من الفقه الشيعي.

وقد أفتى الأعظم من علماء الإمامية بأن القرآن الكريم لم يقع فيه أي نقص في سورة وآياته، معرضين عن الروايات الواردة في بعض كتبهم الظاهرة في ذلك، لكون أكثرها ضعيفاً في السند، وأن القليل المعتبر فيها معارض بما هو أقوى دلالةً وسنداً وأكثر عدداً... لاسيما وأنه قد تقرر أن ليس عند جمهور الطائفة الإمامية الإثني عشرية كتاب صحيح من أوله إلى آخره، فضلاً عن أن يقولوا بقطعيته صدور جميع ألفاظه عن النبي والأئمة عليهم الصلاة والسلام...

أما أهل السنة، فجمهورهم على القول بصحة ما أخرج في كتابي البخاري ومسلم المعروفين بالصحيحين.

بل إن كثيراً من المحققين منهم ذهبوا إلى أن جميع ألفاظ هذين الكتابين مقطوعة الصدور، وهذه كلمات كبار علمائهم تنادي بهذا المعنى:

قال السيوطي: «وذكر الشيخ- يعني ابن الصيلاح-: إن ما رواه أو أحدهما فهو مقطوع بصحته والعلم القطعي حاصل فيه، خلافاً لمن نفى ذلك.

قال البلقيني: نقل بعض الحفاظ المتأخرين مثل قول ابن الصيلاح عن جماعة من الشافعية كأبي إسحاق وأبي حامد الإسفرائيني والقاضي أبي الطيب

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١١٤

والشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وعن السرخسي والزاغوني من الحنابلة، وابن فورك وأكثر أهل الكلام من الأشعرية، وأهل الحديث قاطبة، ومذهب السلف عامة. بل بالغ ابن طاهر المقدسي في صفوة التصوف فألحق به ما كان على شرطهما وإن لم يخرجاه.

وقال ابن كثير: وأنا مع ابن الصلاح فيما عول عليه وأرشد إليه.

قال السيوطي: قلت: وهو الذي أختاره ولا أعتقد سواه «١».

إلا أن في نفس هذين الكتابين وكذا في سائر كتبهم من الصحاح والمسانيد والمعاجم المشهورة، روايات وآثاراً كثيرة، عن جمع كبير من كبار الصحابة وأعلام التابعين، مفادها وقوع الخطأ والحذف والنقصان في ألفاظ القرآن...

ألا تكون النتيجة لهاتين المقدمتين هي «الصحيحان أصح من القرآن»؟

فإنما أن ترفع اليد عن صحة الكتابين - فضلاً عن القول بقطعيته صدور ما فيهما - وهو مقتضى التحقيق، كما سيأتي في (المجلد الثاني) من هذا الكتاب، وعن ثبوت تلك الأخبار والآثار، كما هو الحق، وإما أن يلتزم بالنتيجة المذكورة.

وهذا طرف مما جاء في كتبهم حول القرآن الكريم:

(١) تدريب الراوي ١: ١٣١-١٣٤ ملخصاً.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١١٥

الأخبار والآثار في وقوع النقص والغلط في القرآن في كتب السنة ... ص: ١١٥

ذهب من القرآن كثير ...! ص: ١١٥

قال السيوطي في (الدر المنثور):

«أخرج أبو عبيد وابن الضريس وابن الأنباري في المصاحف عن ابن عمر قال: لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله، ما يدرية ما كله؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن يقل: قد أخذت ما ظهر منه» «١».

سورة الأحزاب ... ص: ١١٥

وقال السيوطي في (الإتقان):

«قال- أي أبو عبيد-: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن المبارك بن فضال، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش قال: قال ابى بن كعب كأين تعدّ سورة الأحزاب؟ قلت: اثنتين وسبعين آية أو ثلاثاً وسبعين آية. قال: إن كانت لتعدل سورة البقرة، وإن كنا لنقرأ فيها آية الرّجم. قلت: وما آية الرّجم؟ قال: إذا زنا الشّيخ والشّيخة فارجموهما ألْبَتَهُ نكالاً من الله والله عزيز

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١: ٢٥٨.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١١٦
حكيم» «١».

وقال الراغب الإصفهاني في (المحاضرات):

«وقالت عائشة: كانت الأحزاب تقرأ في زمن رسول الله مائة آية، فلما جمعه عثمان لم يجد إلّما هو الآن، وكان فيه آية الرّجم» «٢».

وقال السيوطي في (الإتقان) عن أبي عبيد:

«حدّثنا ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النّبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلّاعلى ما هو الآن» «٣».

وقال في (الدر المنثور):

«أخرج ابن الضريس عن عكرمة رضى الله عنه قال: كانت سورة الأحزاب مثل سورة البقرة أو أطول، وكانت فيها آية الرّجم. وأخرج البخاري في تاريخه عن حذيفة قال: قرأت سورة الأحزاب على النّبىّ، فنسيت منها سبعين آية ما وجدتتها. وأخرج أبو عبيد في الفضائل وابن الأنباري وابن مردويه عن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النّبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلّاعلى ما هو الآن» «٤».

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣: ٨٢.

(٢) محاضرات الادباء ٢: ٤٣٤.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٣: ٨٢.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦: ٥٥٩-٦٠٠.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١١٧

سورة تشبه براءة ... ص: ١١٧

وأخرج الحاكم في (المستدرک) بإسناده عن أبي حرب بن أبي الأسود:

«بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة قرأوهم، فاتلوه، ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وأنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة، فأنسيتها غير أنني حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من المال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات، فأنسيتها غير أنني حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم».

وأخرجه مسلم في (الصحيح) «١».

وقال السيوطي في (الدر المنثور):

«أخرج مسلم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل عن أبي موسى الأشعري قال: كنا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أنني حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوفه إلا التراب، وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات أولها: سبح لله ما في السموات، فأنسيتها، غير أنني حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة» «٢».

(١) صحيح مسلم ٢: ٧٢٦ / ١٠٥٠، كتاب الزكاة الباب ٣٩.

(٢) الدر المنثور ١: ٢٥٦-٢٥٧.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ١١٨

وفي (الإتقان):

«أخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال: كنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير أنني قد حفظت: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة» «١».

البراءة تعدل البقرة ... ص: ١١٨

«وفي المستدرک عن ابن عیاس قال: سألت علی بن أبی طالب: لم لم یکتب فی براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: لأنها أمان، وبراءة نزلت بالسيف.

وعن مالك: أن أولها لما سقط سقط معه البسملة، فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة لطولها» «٢».

وفيه:

«وفي المستدرک عن حذيفة قال: ما تقرأون ربعها. يعنى براءة» «٣».

وفي (الدر المنثور):

«أخرج ابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه عن حذيفة قال: التي تسمون سورة التوبة هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه، وما تقرأون منها مما كنا نقرأ لإربعها» «٤».

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣: ٨٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١: ٢٢٥-٢٢٦.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٣: ٨٤.

(٤) الدر المنثور ٤: ١٢٠.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ١١٩

وفيه:

«أخرج ابن الصّريس وأبو الشّيح عن حذيفة قال: ما تقرؤون ثلثها. يعنى سورة التّوبة» (١).

وفيه:

«أخرج أبو عبيد وابن المنذر وأبو الشّيح وابن مردويه عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عبّاس: سورة التّوبة. قال: التّوبة! بل هى الفاضحة، ما زالت تنزل فيهم وتنال منهم، حتّى ظننا أنّه لا يبقى منّا أحد إلّا ذكر فيها.

وأخرج ابن المنذر وأبو الشّيح وابن مردويه عن ابن عبّاس أنّ عمر قيل له: سورة التّوبة. قال: هى إلى العذاب أقرب، ما أقلت عن النّاس حتّى ما كانت تدع منهم أحداً.

وأخرج أبو الشّيح عن عكرمة قال: قال عمر: ما فرغ من تنزيل براءة حتّى ظننا أنّه لم يبق منّا أحد إلّا تنزل فيه، وكانت تسمى الفاضحة» (٢).

وفى (تفسير الرازى):

«عن حذيفة: إنّكم تسمونها سورة التّوبة، واللّه ما تركت أحداً إلّا نالت منه.

وعن ابن عبّاس فى هذه السّورة قال: إنّها الفاضحة، ما زالت تنزل فيهم وتنال منهم حتّى خشينا أن لا تدع أحداً» (٣).

(١) الدر المنثور ٤: ١٢١ عن أبى الشّيح.

(٢) الدر المنثور ٤: ١٢٠-١٢١.

(٣) تفسير الرازى ١٥: ٢١٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٢٠

سورنا الحفد والخلع ... ص: ١٢٠

وفى (الإتقان):

«وفى مصحف ابن مسعود مائة واثنى عشرة سورة، لأنّه لم يكتب المعوذتين.

وفى مصحف ابى ست عشرة، لأنّه كتب فى آخره سورتي الحفد والخلع.

أخرج أبو عبيد عن ابن سيرين قال: كتب ابى بن كعب فى مصحفه فاتحة الكتاب والمعوذتين و: اللّهمّ إنّنا نستعينك واللّهمّ إيّاك نعبد، وتركهنّ ابن مسعود، وكتب عثمان منهنّ فاتحة الكتاب والمعوذتين.

وأخرج الطبرانى فى الدّعاء من طريق عباد بن يعقوب الأسدى عن يحيى بن يعلى الأسلمى عن ابن لهيعة عن أبى هبيرة عن عبد اللّه بن رزين الغافقى قال: قال لى عبد الملك بن مروان: لقد علمت ما حملك على حبّ أبى تراب إلّا أنّك أعرابى جاف، فقلت: واللّه لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبواك، ولقد علّمني منه علىّ بن أبى طالب سورتين علّمهما إيّاه رسول اللّه ما علّمتهما أنت ولا أبوك: اللّهمّ إنّنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، اللّهمّ إيّاك نعبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إنّ عذابك بالكفّار ملحق.

وأخرج البيهقى من طريق سفيان الثورى عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير أنّ عمر بن الخطّاب قنت بعد الرّكوع فقال: بسم اللّه الرحمن الرّحيم اللّهمّ إنّنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك. بسم اللّه الرحمن الرّحيم اللّهمّ إيّاك نعبد ولك نصلى ونسجد

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٢١

وإليك نستغيث ونحسد نرجو رحمتك ونخشي عذابك إنَّ عذابك بالكفَّار ملحق. قال ابن جريج: حكمه البسمله أنها سورتان في مصحف بعض الصحابة.

وأخرج محمد بن نصر المروزي في كتاب الصيلاء عن أبي بن كعب: أنه كان يقنت بالشورتين، فذكرهما، وإنه كان يكتبهما في مصحفه.

قال ابن ضريس: ثنا أحمد بن جميل المروزي عن عبدالله بن المبارك أنا الأجلح عن عبدالله بن عبدالرحمن عن أبيه قال: في مصحف ابن عباس قراءة أبي موسى: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك.

وفيه: اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحسد ونخشي عذابك ونرجو رحمتك إنَّ عذابك بالكفَّار ملحق» (١).

وفي (الدر المنثور):

«قال ابن الضريس في فضائله: أخبرني موسى بن إسماعيل، أنبأنا حماد قال: قرأنا في مصحف أبي بن كعب: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك الخير كله ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك...»

وفيه أيضاً: وأخرج ابن الضريس عن عبيدالله بن عبدالرحمن عن أبيه قال: صليت خلف عمر بن الخطاب، فلما فرغ من السورة الثانية قال: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي وإليك نسعى ونحسد نرجو رحمتك ونخشي عذابك إنَّ عذابك بالكفَّار ملحق.

(١) الإتقان في علوم القرآن ١: ٢٢٦-٢٢٧ مع بعض الاختلاف.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٢٢

وفي مصحف ابن عباس قراءة أبي وأبي موسى: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك.

وفي مصحف حجر: اللهم إنا نستعينك.

وأخرج محمد بن نصر عن ابن إسحاق قال: قرأت في مصحف أبي بن كعب بالكتاب الأول العتيق: بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد إلى آخرها، بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الفلق إلى آخرها، بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس إلى آخرها، بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحسد، نرجو رحمتك ونخشي عذابك إنَّ عذابك بالكفَّار ملحق...»

وأخرج محمد بن نصر عن الشعبي قال: قرأت- أو حدثني من قرأ- في بعض مصاحف أبي بن كعب هاتين السورتين: اللهم إنا نستعينك والآخرى بينهما بسم الله الرحمن الرحيم، قبلهما سورتان من المفصل وبعدهما سور من المفصل» (١).

آيتان لم تكتبنا ... ص: ١٢٢

إشارة

وفي (الإتقان):

«وقال أبو عبيد: حدثنا ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن عمرو المعافري، عن أبي سفيان الكلاعي أن مسلماً بن مخلد

الأنصاري قال لهم ذات يوم: أخبروني بآيتين من القرآن لم تكتبنا في المصحف؟ فلم يخبروه

(١) الدر المنثور ٨: ٦٩٥-٦٩٧، وفيه بعض الاختلاف.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٢٣

وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك، فقال لي مسلمة: «إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلقون، والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» (١).

آية اخرى ... ص: ١٢٣

وفي (الإتقان) أيضاً:

«قال- أي أبو عبيد-: حدثنا عبد الله بن صالح، عن هشام بن سعيد [سعد] عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي واقد الليثي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أتيناه فعلّمنا ممّا أوحى إليه، قال: فجئت ذات يوم فقال: إن الله يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون إليه الثاني، ولو كان له الثاني لأحب أن يكون إليهما الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب» (٢).

وفي (الدر المنثور):

«أخرج أبو عبيد وأحمد والطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي واقد الليثي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أتيناه فعلّمنا ممّا أوحى إليه، قال: فجئت ذات يوم فقال: إن الله يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو أن لابن آدم وادياً لأحب أن يكون إليه الثاني، ولو كان له ثان لأحب أن يكون إليهما ثالث، ولا يملأ جوف ابن

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣: ٨٤.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٣: ٨٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٢٤

آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.

وأخرج أبو عبيد وأحمد وأبو يعلى والطبراني عن زيد بن أرقم قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو كان لابن آدم واديان من ذهب وفضة لابتغى الثالث، ولا يملأ بطن ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.

وأخرج أبو عبيد عن جابر عن عبد الله قال: كنا نقرأ: لو أن لابن آدم ملاً واد ملاً لأحب إليه مثله، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.

وأخرج البزار وابن الصّريس عن بريرة قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ: لو أن لابن آدم وادياً من ذهب لابتغى إليه ثانياً، ولو أعطى ثانياً لابتغى إليه ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.

وأخرج ابن الأنباري عن أبي ذر قال: في قرائة إبي بن كعب: ابن آدم لو أعطى وادياً من مال لالتمس ثانياً، ولو أعطى واديين من مال لالتمس ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب» (١).

وفي (الإتقان):

«أخرج الحاكم في المستدرک عن ابى بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن، فقراً: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين - ومن بقيتها - لو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيته سأل ثانياً فأعطيته سأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا

(١) الدر المنثور ١: ٢٥٧-٢٥٨ مع اختلاف قليل.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٢٥

التراب، ويتوب الله على من تاب. وإن ذات الدين عند الله الحنفية غير اليهودية ولا النصرانية، ومن يعمل خيراً فلن يكفره» (١).
وفى (جامع الاصول):

«عن ابى بن كعب: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن، وقرأ عليه: لم يكن الذين كفروا، وقرأ فيها: إن الدين عند الله الحنفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية ومن يعمل خيراً فلم يكفره، وقرأ عليه: لو أن لابن آدم وادياً من مال لا يتبغى إليه ثانياً، ولو أن له ثانياً لا يتبغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب، ويتوب الله على من تاب؛ أخرجه الترمذى» (٢).

وفى (الدر المنثور):

«أخرج أحمد والترمذى والحاكم وصححه عن ابى بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله أمرنى أن أقرأ عليك، فقراً: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب، فقراً فيها: لو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيته لسأل ثانياً ولو سأل ثانياً فأعطيته لسأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب ويتوب الله على من تاب، وإن ذات الدين عند الله الحنفية غير المشركه ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل ذلك فلن يكفره.

وأخرج [أحمد] عن ابى بن كعب قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله أمرنى أن أقرأ عليك، فقراً: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفاً

(١) الإتيقان ٣: ٨٣.

(٢) جامع الاصول ٢: ٩٧٢ / ٥٠٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٢٦

مطهرة، وما تفرق الذين اتوا الكتاب إلّا من بعد ما جاءتهم البينة، إن الدين عند الله الحنفية غير المشركه ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل ذلك فلن يكفره.

قال شعبة رضى الله عنه: ثم قرأ آيات بعدها، ثم قرأ: لو أن لابن آدم وادياً من مال لسأل وادياً ثانياً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب، ثم ختم بما بقى من السورة» (١).

وفى (الدر المنثور) أيضاً عن أحمد:

«عن ابن عباس قال: رجل أتى عمر يسأله، فجعل عمر ينظر إلى رأسه مرّة وإلى رجله اخرى هل يرى عليه من البؤس، ثم قال له عمر: كم مالك؟

قال: أربعون من الإبل. قال ابن عباس: قلت: صدق الله ورسوله: لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يتبغى الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب ويتوب الله على من تاب. فقال عمر رضى الله عنه: ما هذا؟ فقلت: هكذا أقرأنى ابى.

قال: فمر بنا إليه ف جاء إلى ابى فقال: ما يقول هذا؟ قال ابى: هكذا أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأثبتها فى المصحف؟

قال: نعم» (٢).

وفى (الدر المنثور) أيضاً:

«أخرج ابن الصّدر عن ابن عتيّاس قال: قلت: يا أمير المؤمنين! إنّ ابنيّ يزعم أنّك تركت من كتاب الله آية لم تكتبها، قال: والله لأسألنّ ابنيّ فإنّ أنكر لتكذبنّ، فلما صلّى صلاة الغداة غدا على ابنيّ رضي الله عنه فأذن له، فطرح له وسادة وقال: يزعم هذا إنك تزعم أنّي تركت آية من كتاب الله لم أكتبها؟!

(١) الدر المنثور ٨: ٥٨٦.

(٢) الدر المنثور ٨: ٥٨٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٢٧

فقال: إنّني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: لو أنّ لابن آدم واديين من مال لا يتغنى إليهما وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب ويتوب الله على من تاب، فقال: أو أكتبها؟ قال: لا أنهاك» (١).

آية الرجم ... ص: ١٢٧

وفى (صحيح البخارى):

«إنّ الله بعث محمداً صلّى الله عليه وسلّم بالحقّ وأنزل عليه الكتاب، فكان ممّا أنزل الله آية الرّجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، ورجم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ورجمنا بعده، فأخشي إن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرّجم في كتاب فيضلّوا بترك فريضه أنزلها الله، فالرّجم في كتاب الله حقّ على من زنا» (٢).

وقال الراغب في (المحاضرات) في ذكر «ما ادّعى أنّه من القرآن ممّا ليس في المصحف»:

«وروى أنّ عمر رضي الله عنه قال: لولا- أن يقال زاد عمر في كتاب الله لأثبت في المصحف، فقد نزلت: الشّيخ والشّيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة نكالا من الله والله شديد العقاب» (٣).

وفى (الإتقان):

«وقال- أي أبو عبيد- ثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن غزوان بن عثمان، عن أبي امامة بن سهل

(١) الدر المنثور ٨: ٥٨٧.

(٢) صحيح البخارى ٨: ٢٠٩.

(٣) محاضرات الادباء ٢: ٤٣٣-٤٣٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٢٨

أنّ خالته قالت: لقد قرأنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم آية الرّجم: الشّيخ والشّيخة فارجموهما البتّة بما قضيا من اللّذة» (١).

وفى (الموطأ):

«مالك عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيّب قال: لما صدر عمر ابن الخطّاب من منى أناخ بالأبطح ثمّ كوّم كومه من بطحاء ثمّ طرح عليها رداءه فاستلقى ثمّ مدّ يديه إلى السّماء فقال: اللهمّ كبرت سنّي وضعفت قوّتى وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع

ولا مفزط، ثم قدم المدينة فخطب الناس ثم قال: أيها الناس قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالا، وضرب يا حدى يديه على الاخرى ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم أن يقول قائل: إنا لا نجد حدين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا، والذي نفسى بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، فإننا قد قرأناها» (٢).

وفى (مسند) أحمد بن حنبل:

«حدّثنا عبدالله قال: حدّثنى أبى قال: حدّثنا هشيم قال: أخبرنا الزهرى، عن عبدالله بن عبيدالله بن عتبة بن مسعود قال: أخبرنى عبدالله بن عباس قال:

حدّثنى عبدالرحمان بن عوف أنّ عمر بن الخطّاب خطب الناس فسمعه يقول:

الأ- وإنّ اناساً يقولون ما بال الرجم وفى كتاب الله الجلد، وقد رجم رسول الله ورجمنا بعده، ولولا- أن يقول قائلون أو يتكلم المتكلمون أنّ عمر زاد فى

(١) الإتقان فى علوم القرآن ٣: ٨٢.

(٢) الموطأ ٢: ٨٢٤ كتاب الحدود / ١٠ مع اختلاف.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٢٩

كتاب الله ما ليس فيه لأثبتها كما نزلت» (١).

وفيه أيضاً:

«حدّثنا عبدالله قال: حدّثنى أبى قال: حدّثنا عبدالرحمان قال: حدّثنا مالك عن الزهرى عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس قال: قال عمر: إنّ الله عزّوجلّ بعث محمّداً صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها، فأخشى أن يطول بالناس عهد فيقولون إنا لا نجد آية الرجم فترك الفريضة أنزلها الله، وإنّ الرجم فى كتاب الله حقّ على من زنا إذا احصن من الرجال والنساء إذا قامت البيّنة أو كان الحبل أو الإعراف» (٢).

وفيه:

«حدّثنا عبدالله قال: حدّثنى أبى قال: حدّثنا محمّد بن جعفر وحجاج قالوا: حدّثنا شعبه، عن سعد بن إبراهيم قال: سمعت عبيدالله بن عبدالله بن عتبة يحدث عن ابن عباس عن عبدالرحمن بن عوف قال: حجّ عمر بن الخطّاب فأراد أن يخطب الناس خطبة فقال عبدالرحمان بن عوف: إنّ الله قد اجتمع عندك رعاى الناس فأخّر ذلك حتى تأتى المدينة، فلما قدم المدينة دنوت قريباً من المنبر فسمعته يقول: إنّ ناساً يقولون ما بال الرجم وإنّما فى كتاب الله الجلد، وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده، لولا أن يقولوا أثبت فى كتاب الله ما ليس فيه لأثبتها كما انزلت» (٣).

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٩٨ / ٤٩ مع اختلاف.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١: ٢٧٨ / ٦٦.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١: ٣٥٤ / ٨١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٣٠

وفى (صحيح البخارى):

«قال عكرمة: قال عمر لعبدالرحمان بن عوف: لو رأيت رجلاً على حدّ زنى أو سرقة وأنت أمير؟ فقال: شهادتك شهادة رجل من

المسلمين. قال:

صدقت. قال عمر: لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي» (١).

وفي (فتح الباري) في شرح قوله: قال عمر الخ:

«قال المهلب: إستشهد البخارى لقول عبدالرحمان بن عوف المذكور قبله بقول عمر هذا: إنه كانت عنده شهادة في آية الرجم أنها من القرآن فلم يلحقها بنص المصحف بشهادته وحده وأفصح بالعلّة في ذلك بقوله: لولا أن يقال زاد عمر في كتاب الله، فأشار إلى أن ذلك من قطع الذرائع لئلا يجد حكام سوء سبيلاً إلى أن يدعوا العلم لمن أحبوا له الحكم بشي» (٢).

آية الرضاع ... ص: ١٣٠

وفي (المحاضرات):

«قالت عائشة رضی الله عنها: لقد نزلت آية الرجم ورضاع الكبير وكانت في رقعة تحت سريري وشغلنا بشكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت داجن للحی فأكلته» (٣).

وفي (تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق) في حكم الرضاع:

«قال الشافعي: لا يحرم إلّا بخمس رضعات يعنى مشبعات، لما روى

(١) صحيح البخارى ٩: ٨٦.

(٢) فتح الباري- شرح صحيح البخارى ١٣: ١٣٥.

(٣) محاضرات الادباء ٢: ٤٣٤ مع اختلاف قليل.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٣١

عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت: كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فيما يقرأ من القرآن؛ رواه مسلم.

فأجاب عن استدلال الشافعي بقوله:

«ولا حجّة له في خمس رضعات أيضاً، لأنّ عائشة رضی الله عنها أحالتها على أنّها قرآن وقالت: ولقد كان في صحيفه تحت سريري فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشاغلنا بموته دخلت دواجن فأكلتها» (١).

آية الجهاد ... ص: ١٣١

وفي (الإتقان):

«قال- أي أبو عبيد:- حدّثنا ابن أبي مريم، عن نافع بن عمر الجُمحي، حدّثني ابن أبي مُليكة، عن المشور بن مخرمه قال: قال عمر لعبدالرحمان بن عوف: ألم تجد فيما انزل علينا: أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرّة، فإننا لا نجدها. قال: اسقطت فيما اسقط من القرآن» (٢).

ورواه في (الدر المنثور) حيث قال:

«أخرج أبو عبيد عن المشور بن مخرمه قال: قال عمر لعبدالرحمان بن عوف: ألم تجد فيما انزل علينا: أن جاهدوا كما جاهدتم أول

مرّة، فإنّا لا نجدها. قال: اسقطت فيما اسقط من القرآن» (٣).

وفي (كنز العمال):

(١) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ٢: ٦٣٠ - ٦٣١.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٣: ٨٤.

(٣) الدر المنثور ١: ٢٥٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٣٢

«عن المشور بن مخرمة قال: قال عمر لعبدالرحمان بن عوف: ألم تجد فيما انزل علينا: أنجاهدوا كما جاهدتم أول مرّة، فإنّا لم نجدها. قال:

اسقطت فيما اسقط من القرآن؛ أبو عبيد» (١).

آية: لا ترغبوا عن آبائكم ... ص: ١٣٢

وفي (الدر المنثور):

«أخرج ابن الصّريس عن ابن عباس قال: كنّا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم وإنّ كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم. وأخرج عبدالرزاق وأحمد وابن حبان عن عمر بن الخطّاب قال: إنّ الله بعث محمّداً بالحقّ وأنزل معه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرّجم ورجمنا بعده، ثمّ قال: قد كنّا نقرأ: ولا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم إن ترغبوا عن آبائكم. وأخرج الطيالسيّ وأبو عبيد والطبراني عن عمر بن الخطّاب: كنّا نقرأ فيما نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم، ثمّ قال لزيد بن ثابت: أكذلك يا زيد؟ قال: نعم» (٢).

آية حمية الجاهلية ... ص: ١٣٢

وفي (المستدرک):

«عن ابن إدريس عن ابى بن كعب أنّه كان يقرأ: إذ جعل الذين في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهليّة كما حموا لفسد المسجد الحرام فأنزل الله

(١) كنز العمال ٢: ٥٦٧ / ٤٧٤١.

(٢) الدر المنثور ١: ٢٥٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٣٣

سكينة على رسوله» (١ ... ١).

وفي (الدر المنثور):

«أخرج النسائي والحاكم وصححه من طريق ابن أبي إدريس عن ابى بن كعب رضى الله عنه أنّه كان يقرأ: إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهليّة ولو حميتهم كما حموا لفسد المسجد الحرام فأنزل الله سكينة على رسوله، فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه

فاشتمد عليه، فبعث إليه فدعا ناساً من أصحابه فيهم زيد بن ثابت فقال: من يقرأ فيكم سورة الفتح، فقرأ زيد على قرائتنا اليوم فغظ له عمر فقال: إني أتكلم؟ قال: تكلم. قال: لقد علمت أني كنت أدخل على النبي صلى الله عليه وسلم ويقرئني وأنت بالباب، فإن أحببت أن أقرئ الناس على ما أقرئني وإلا لم أقرأ حرفاً ما حييت. قال: بل أقرئ الناس» (٢).

آية الصلاة على النبي ... ص: ١٣٣

وفى (الإتقان):

«قال- أي أبو عبيد-: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني ابن أبي عبيدة عن حميدة بنت أبي يونس قالت: قرأ عليّ أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً وعلى الذين يصلون الصفوف الأولى، قالت: قبل أن يُعَبرَ عثمان المصاحف» (٣).

(١) المستدرک علی الصحیحین ٢: ٢٢٥ وفيه: أبي إدريس.

(٢) الدر المنثور ٧: ٥٣٥ وفيه: من طريق أبي إدريس، بدل: ابن أبي إدريس.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٣: ٨٢ وفيه: ابن أبي حميد عن حميدة قالت. بدل: ابن أبي عبيدة عن حميدة...

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٣٤

آية: وهو أب لهم ... ص: ١٣٤

وفى (الدر المنثور):

«أخرج الفريابي والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس رضى الله عنه إنه كان يقرأ هذه الآية: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم.

وأخرج عبدالرزاق وسعيد بن منصور وإسحاق بن راهويه وابن المنذر والبيهقي عن بجاله قال: مرّ عمر بن الخطاب بسلام وهو يقرأ في المصحف:

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم، فقال: يا غلام حُكِّمها، فقال: هذا مصحف أبي، فذهب إليه فسأله، فقال: إنه كان يلهيني القرآن ويلهيك الصفق بالأسواق» (١).

آية الصلاة الوسطى ... ص: ١٣٤

وأخرج مسلم في (الصحیح):

«حدثنا يحيى بن يحيى التميمي قال: قرأت على مالك عن زيد بن أسلم عن القعقاع بن حكيم عن أبي يونس مولى عائشة أنه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فأذني: «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى» قال: فلما بلغت أذنتها، فأملت عليّ: حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى و صلاة العصر وقوموا لله قانتين. قالت عائشة:

سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٢).

وفى (الدر المنثور):

(١) الدر المنثور ٦: ٥٦٧ بتقديم وتأخير والمعنى واحد.

(٢) صحيح مسلم ١: ٤٣٧ / ٦٢٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٣٥

«أخرج عبدالرزاق والبخارى فى تاريخه وابن جرير وابن أبى داود فى المصاحف عن أبى رافع مولى حفصة قال: إستكتبتنى حفصة مصحفاً فقالت:

إذا أتيت على هذه الآية فتعال حتى املئها عليك كما أقرأتها، لما أتيت على هذه الآية «حافظوا على الصلوات» قالت: اكتب: حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر. فلقيت ابى بن كعب فقلت: أبا المنذر! إن حفصة قالت كذا وكذا. فقال: هو كما قالت، أوليست أشغل ما نكون عند صلاة الظهر فى عملنا لو أصبحنا.

وأخرج مالك وأبو عبيد وعبد بن حميد وأبو يعلى وابن جرير وابن الأنبارى فى المصاحف والبيهقى فى سننه عن عمرو بن نافع قال: كنت أكتب مصحفاً لحفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم، فقالت: إذا بلغت هذه الآية فأذنى «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى» فلما بلغت آذنتها، فأملت على: حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين، وقالت: أشهد أنى سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأخرج عبدالرزاق عن نافع: إن حفصة دفعت مصحفاً إلى مولى لها يكتب وقالت: إذا بلغت هذه الآية «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى» فأذنى، فلما بلغها جاءها فكتبت بيدها: حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر.

وأخرج مالك وأحمد وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن جرير وابن أبى داود وابن الأنبارى فى المصاحف والبيهقى فى سننه عن يونس مولى عائشة قال: أمرتنى عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت:

إذا بلغت هذه الآية فأذنى: حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٣٦

العصر وقوموا لله قانتين. قالت عائشة: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأخرج عبدالرزاق وابن جرير وابن أبى داود فى المصاحف وابن المنذر عن ام حميد بنت عبدالرحمان أنها سألت عائشة عن الصلوة الوسطى فقالت:

كنا نقرأها فى الحرف الأول على عهد النبى صلى الله عليه وسلم: حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين «١».

وروى ابن حجر فى (فتح البارى):

«روى مسلم وأحمد من طريق أبى يونس عن عائشة أنها أمرته أن يكتب لها مصحفاً، فلما بلغت «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى» قال: فأملت على: وصلاة العصر. قالت: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى مالك عن عمرو بن رافع قال: كتبت مصحفاً لحفصة، فقالت: إذا أتيت هذه الآية فأذنى، فأملت على: حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر.

أخرجه ابن جرير - من وجه آخر حسن - عن عمرو بن رافع.

وروى ابن المنذر من طريق عبيد الله بن رافع: أمرتنى ام سلمة أن أكتب لها مصحفاً. نحوه.

ومن طريق نافع: إن حفصة أمرت مولى لها أن يكتب لها مصحفاً، فذكر مثله وزاد: كما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقولها» (٢).

(١) الدر المنثور ١: ٧٢١-٧٢٢ وفيه ...: في عملنا ونواضحنا، بدل: في عملنا لو أصبحنا.

(٢) فتح الباري- شرح صحيح البخارى ٨: ١٥٨-١٥٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٣٧

وفي (الموطأ):

«مالك عن زيد بن أسلم، عن القعقاع بن حكيم بن أبي يونس مولى عائشة أم المؤمنين إنه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً ثم قالت: إذا بلغت هذه الآية فأذني «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين» فلما بلغت أذنتها، فأملت علي: حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين، ثم قالت: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم» (١).

وفيه:

«مالك عن زيد بن أسلم عن عمرو بن نافع أنه قال: كنت أكتب مصحفاً لحفصة أم المؤمنين، فقالت: إذا بلغت هذه الآية فأذني «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين» فلما بلغت أذنتها، فأملت علي: حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين» (٢).

آية صلاة الجمعة ... ص: ١٣٧

وفيه:

«مالك إنه سأل ابن شهاب عن قول الله تبارك وتعالى: «إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله» (٣) فقال ابن شهاب: كان عمر بن الخطاب يقرأها: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله» (٤).

(١). الموطأ ١: ١٣٨-١٣٩.

(٢). الموطأ ١: ١٣٩.

(٣). سورة الجمعة ٦٢: ٩.

(٤). الموطأ ١: ١٢٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٣٨

وقال في (الدر المنثور):

«أخرج أبو عبيد في فضائله وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف عن خزيمة بن الحارث بن عمرو بن أبي عبيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف عن خزيمة بن الحارث بن عمرو بن أبي عبيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم عنه قال:

رأى معي عمر بن الخطاب رضي الله عنه لوحاً مكتوباً فيه: «إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله» (١)

فقال: من أملى عليك هذا؟ قلت: ابني ابن كعب. قال: إن ابني أقرؤنا للمنسوخ، إقرأها: فامضوا إلى ذكر الله.

وأخرج عبد بن حميد عن إبراهيم رضي الله عنه قال: قيل لعمر رضي الله عنه: إن ابني يقرأ فاسعوا إلى ذكر الله. قال عمر رضي الله عنه: ابني أعلمني بالمنسوخ وكان يقرأها: فامضوا إلى ذكر الله.

وأخرج الشافعي في الامم وعبدالرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم

وابن الأنبارى فى المصاحف والبيهقى فى سننه عن ابن عمر قال: ما سمعت عمر يقرأ قطّ إلّا: فامضوا إلى ذكر الله. وأخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد عن ابن عمر رضى الله عنه قال: لقد توفى عمر رضى الله عنه وما يقرأ هذه الآية التى فى سورة الجمعة إلّا: فامضوا إلى ذكر الله. وأخرج عبدالرزاق والفريابى وأبو عبيد وسعيد بن منصور وابن أبى شيبه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن الأنبارى والطبرانى من طرق عن ابن مسعود رضى الله عنه إنّه كان يقرأ: فامضوا إلى ذكر الله. قال: ولو كان

(١) سورة الجمعة ٦٢: ٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٣٩
فاسعوا لَسَعَيْتُ حَتَّى يسقط ردائى» (١).

آية اخرى ... ص: ١٣٩

وفى (صحيح الترمذى):
«حدّثنا عبد بن حميد، نا عبيدالله، عن إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن عبدالرحمان بن يزيد، عن عبدالله بن مسعود قال: أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى أنا الرزاق ذوالقوة المتين؛ هذا حديث حسن صحيح» (٢).
وفى (مسند) أحمد بن حنبل:
«حدّثنا عبدالله، حدّثنى أبى، ثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبى بكر قالوا:
حدّثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن عبدالرحمان بن يزيد، عن عبدالله بن مسعود قال: أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى أنا الرزاق ذوالقوة المتين» (٣).

آية الطلاق ... ص: ١٣٩

وفى (الدر المنثور):
«أخرج مالك والشافعى وعبدالرزاق فى المصنّف وأحمد وعبد بن حميد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقى فى سننه عن ابن عمر رضى الله عنه أنه: طلق امرأته وهى حائض، فذكر ذلك عمر رضى الله عنه لرسول الله،

(١) الدر المنثور ١: ١٦١.

(٢) صحيح الترمذى ٥: ١٩١ / ٢٩٤٠.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١: ٦٥١ / ٣٧٣٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٤٠

فتعيّظ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسكها، فتلك العدة التى أمر الله تعالى أن يطلق بها النساء، وقرأ صلى الله عليه وسلم:

يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن.

وأخرج عبدالرزاق في المصنف وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ: فطلقوهن في قبل عدتهن.

وأخرج عبدالرزاق وأبو عبيد في فضائله وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان يقرأ:

وطلقوهن لقبل عدتهن.

وأخرج ابن الأنباري عن ابن عمر رضى الله عنه أنه قرأ: فطلقوهن لقبل عدتهن.

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي عن مجاهد رضى الله عنه أنه كان يقرأ: فطلقوهن لقبل عدتهن» (١).

آية التبليغ ... ص: ١٤٠

وفيه:

«أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك أن علياً مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» (٢).
وقال محمد بن معتمد خان البدخشاني:

(١) الدر المنثور ٨: ١٨٩-١٩٠. مع اختلاف.

(٢) الدر المنثور ٣: ١١٧.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ١٤١

«وأخرج - أي ابن مردويه - عن زر عن عبد الله قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك أن علياً مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» (١).

آية كفى الله المؤمنين ... ص: ١٤١

وفى (الدر المنثور):

«أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ هذا الحرف: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب» (٢).

وفى (مفتاح النجا):

«وأخرج - أي ابن مردويه - عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يقرأ هذا الحرف: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب وكان الله قوياً عزيزاً» (٣).

وفى (تفسير الثعلبي):

«أخبرني أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله القايي، نا أبو الحسين محمد بن عثمان بن الحسين النصيبي، نا أبو بكر محمد بن

الحسين بن صالح السبيعي، نا أحمد بن محمد بن سعيد، نا أحمد بن ميثم بن أبي نعيم، نا أبو جنادة السلولي، عن الأعمش، عن أبي وائل قال: قرأت في مصحف عبدالله ابن مسعود: إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد

(١) مفتاح النجا في مناقب آل العبا- مخطوط.

(٢) الدر المنثور ٦: ٥٩٠.

(٣) مفتاح النجا في مناقب آل العبا- مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٤٢
على العالمين» (١).

عثمان: إن في القرآن لحناً...! ص: ١٤٢

وقال ابن قتيبة:

«إن عثمان قال في قوله تعالى: «إن هذان لساحران» إن في القرآن لحناً. فقال رجل: صحح ذلك الغلط. فقال: دعوه فإنه لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً» (٢).

وفي بعض الروايات:

«قال عثمان: إن في المصحف لحناً وسيقيمه العرب بألسنتهم، ف قيل له:

ألا- تغيّره؟ فقال: دعوه، فلا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً» فقد جاء في (معالم التنزيل) للبغوي بتفسير الآية: «لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل إليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة» ما نصّه:

«واختلفوا في وجه انتصابه فحكى عن عائشة وأبان بن عثمان أنه غلط من الكاتب ينبغي أن يصلح ويكتب: والمقيمون الصلاة، وكذلك قوله في سورة المائدة «إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون» وقوله: «إن هذان لساحران» قالوا: ذلك خطأ من الكتاب، وقال عثمان رضى الله عنه: إن في المصحف لحناً وسيقيمه العرب بألسنتها، ف قيل له: ألا تغيّره؟ فقال: دعوه فإنه لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً» (٣).

وقد ذكر ابن تيمية في (منهاجه) تفسير البغوي، فقال بالنسبة إلى

(١) تفسير الثعلبي ٣: ٥٣.

(٢) تأويل مشكل القرآن: ٥٠-٥١.

(٣) تفسير البغوي/ معالم التنزيل ٢: ١٨٧-١٨٨.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٤٣
الأحاديث المروية فيه:

«وأما الأحاديث، فلم يذكر في تفسيره شيئاً من الموضوعات التي رواها الثعلبي، بل يذكر منها الصحيح ... ولم يذكر الأحاديث التي يظهر لعلماء الحديث أنها موضوعة كما يفعله غيره من المفسرين كالأحاديث» (١).

وفي (الدر المنثور):

«أخرج ابن أبي داود، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر القرشي قال:

لما فرغ من المصحف اتى به عثمان فنظر فيه فقال: قد أحسنتم وأجملتم، أرى شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها. قال ابن أبي داود:

وهذا عندي يعني بلغتها فينا وإلا فلو كان فيه لحن لا يجوز في كلام العرب جميعاً لما استجاز أن يبعث إلى قوم يقرؤونه. وأخرج ابن أبي داود عن عكرمة قال: لما أتى عثمان بالمصحف رأى فيه شيئاً من لحن، فقال: لو كان المملى من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا.

وأخرج ابن أبي داود عن قتادة: إن عثمان لما رفع إليه المصحف فقال: إن فيه لحنًا وستقيمه العرب بألسنتها.

وأخرج ابن أبي داود عن يحيى بن يعمر قال: قال عثمان: إن في القرآن لحنًا وستقيمه العرب بألسنتها» (٢). وفي (الاتقان):

«حدَّثنا حجاج، عن هارون بن موسى، أخبرني الزبير بن الخزيت، عن

(١) منهاج السنّة ٤: ٣٩.

(٢) الدر المنثور ٢: ٧٤٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٤٤

عكرمة قال: لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد فيها حروفاً من اللحن، فقال: لا تغيروها فإن العرب ستغيروها - أو قال: ستعربها - بألسنتها، لو كان الكاتب من ثقيف والمملى من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف؛ أخرجه من هذه الطريق ابن الأنباري في كتاب الردّ على من خالف مصحف عثمان وابن أشتة في كتاب المصاحف.

ثم أخرج ابن الأنباري نحوه من طريق عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر وابن أشتة نحوه من طريق يحيى بن يعمر» (١). وفي (تفسير) أبي الليث:

«قال - أي أبو عبيد -: وروى عن عثمان رضي الله عنه أنه عرض عليه المصحف فوجد فيه حروفاً من اللحن، فقال: لو كان الكاتب من ثقيف والمملى من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف» (٢).

وقال ابن روزبهان بجواب العلامة الحلّي:

«وأما عدم تصحيح لفظ القرآن، لأنه كان يجب عليه متابعة صورة الخط وهكذا كان مكتوباً في المصاحف، ولم يكن التغيير له جائزاً فتركه، لأنه لغة بعض العرب».

ولنعم ما أفاده العلامة التستري في جوابه حيث قال:

«وأما ما ذكره في إصلاح إطلاق عثمان اللحن على القرآن فلا يصدر إلا عن محجوج مبهوت، فإن المصنّف اعترض على عثمان بأنه أطلق على القرآن اشتماله على اللحن المذموم المخلّ بالفصاحة، وهذا الناصب يغمض العين

(١) الاتقان في علوم القرآن ٢: ٣٢٠.

(٢) تفسير أبي الليث السمرقندي ١: ٤٠٤ و ٤٥٠ و ٢: ٣٤٧ - ٣٤٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٤٥

عن جواب هذا الذي هو محطّ الطعن ويتعرض بوجه ترك عثمان لتغييره وإصلاحه بقوله: دعوه ...

وما أشبه جوابه هذا بما أجاب به أجاب أهل خراسان عمداً عن سؤال أهل ماوراء النهر، بأنّ التبال إذا أراد استعلام استقامة النبل واعوجاجه لم يغمض أحد عينيه. وبأنّ الطير المسمّى بالقلق إذا قام لم يرفع إحدى رجله.

فأجاب أهل خراسان بأنّ التبال إنّما يغمض إحدى عينيه لأنه لو أغمض العين الاخرى لا يرى شيئاً، والطير المذكور إنّما يرفع إحدى

رجليه لأنه لو رفع الرجل الآخر لسقط على الأرض، فليضحك أولياؤه كثيراً.

ومن العجب: أن عثمان صرح بأن تلك العبارة من القرآن لا تقبل الإصلاح وأنه لا حاجة إلى إصلاحه، لعدم تحليله حراماً وتحريمه حلالاً، وهذا الناصب المرواني - الذي غلب عليه هوى عثمان - لما علم أن ما قاله عثمان طعن لا مدفع له، عيّدل عن دفعه عنه وقال: تركه لأنه كان لغه بعض العرب، فإن كونه لغه بعض العرب هو الوجه الذي ذكره العلماء لدفع وهم عثمان لا لدفع الطعن عنه، وأنى يندفع الطعن عنه بذلك، ولو كان عثمان عالماً بموافقته ذلك للغه بعض العرب كيف صح له مع كثرة حياءه عند القوم أن لا يستحيى من الله ويطلق على بعض كلماته التامات أنه لحن وخطأ في القول؟ مع ظهور أن بعض ألفاظ القرآن وارد على لغه قريش وبعضها على لغه بنى تميم وبعضها على لغه غيرهم».

نقد القول بوقوع اللحن في القرآن ... ص: ١٤٥

هذا، وقد قال صاحب (الكشاف): «لا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٤٦

لحناً في [خط] المصحف» (١).

ونصّ النيسابوري صاحب (التفسير) على ركاكة القول المذكور حيث قال: «ولا يخفى ركاكة هذا القول، لأنّ هذا المصحف منقول بالتقل المتواتر» (٢).

وهكذا الفخر الرازي ... فإنه بعد حكاية القول بذلك عن عثمان وعائشه قال: «واعلم أن هذا بعيد» (٣) ولا استبعاد في استبعاده بل في كفر قائله بإجماع أهل العلم على ما في (الشفاء) للقاضي عياض (٤).

والسيوطي تحيّر بعد نقل تلك الآثار في حلها، فإنه قال:

«وهذه الآثار مشكله جداً، وكيف يظنّ بالصحابه أولاً: إنهم يلحنون في الكلام فضلاً عن القرآن وهم الفصحاء اللد، ثم كيف يظنّ بهم ثانياً: في القرآن الذي تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم كما انزل وحفظوه وضبطوه وأتقنوه، ثم كيف يظنّ بهم ثالثاً: اجتماعهم كلّهم على الخطأ وكتابته، ثم كيف يظنّ بهم رابعاً: عدم تتبهم ورجوعهم عنه. ثم كيف يظنّ بعثمان إنه ينهى عن تغييره؟ ثم كيف يظنّ أن القرآن استمرّ على مقتضى ذلك الخطأ وهو مروى بالتواتر خلفاً عن سلف، هذا ممّا يستحيل شرعاً وعقلاً وعادة» (٥). ثم إن السيوطي حاول الإجابة عن الإشكالات فقال:

«وقد أجاب العلماء عن ذلك بثلاثة أوجه:

(١) الكشاف في تفسير القرآن ١: ٥٨٢.

(٢) تفسير النيسابوري / غرائب القرآن ٦: ٥٢٩.

(٣) تفسير الفخر الرازي ١١: ١٠٦.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٦٤٦ - ٦٤٧.

(٥) الإتقان في علوم القرآن ٢: ٣٢١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٤٧

أحدها: أن ذلك لا يصح عن عثمان، فإنّ إسناده ضعيف مضطرب منقطع، ولأنّ عثمان جعل للناس إماماً يقتدون به، فكيف يرى فيه لحناً ويتركه ليقيمه العرب بألسنتها؟ فإذا كان الذين تولّوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك وهم الخيار، فكيف يقيمه غيرهم؟ وأيضاً، فإنه لم يكتب مصحفاً واحداً بل كتب عدّة مصاحف، فإن قيل: إن اللحن وقع في جميعها فبعيد اتفاقها على ذلك، أو في بعضها فهو

اعتراف بصحة البعض، ولم يذكر أحد من الناس إن اللحن كان في مصحف دون مصحف، ولم تأت المصاحف قط مختلفة إلا فيما هو من وجوه القرائة وليس ذلك بلحن.

الوجه الثاني: على تقدير صحة الرواية، إن ذلك مأول على الزم والإشارة ومواضع الحذف نحو الكتب والصبرين وما أشبه ذلك. الثالث: إنه مأول على أشياء خالف لفظها رسمها كما كتبوا «الأوضاع» و «الأذبحته» بألف بعد لا «لا اوضاعوا» و «لا اذبحته» و «جزاؤ الظالمين» بواو وألف، و «بأيد» بيائين، فلو قرىء ذلك بظاهر الخط لكان لحنًا. وبهذا الجواب وما قبله جزم ابن أشته في كتاب المصاحف «١».

هذا، ولا يجدى شىء من هذه الوجوه نفعًا، فالروايات تلقاها العلماء بالقبول ونسبوا إلى قائلها عن جزم، كما فى (معالم التنزيل): «قال عثمان: إن فى المصحف لحنًا وستقيمه العرب بألسنتها» «... ٢».

وأما الجواب بالحمل على التأويل، فواضح ما فيه، وقد ذكره السيوطى فقال:

(١) الإتقان فى علوم القرآن ٢: ٣٢١-٣٢٢. وفيه اختلاف.

(٢) تفسير البغوى/ معالم التنزيل ٢: ١٨٨.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ١٤٨

«ومن زعم أن عثمان أراد بقوله: أرى فيه لحنًا: أرى فى خطّه لحنًا إذا أقمناه بألسنتنا كان لحن الخط غير مفسد ولا محزف من جهة تحريف الألفاظ وإفساد الإعراب، فقد أبطل ولم يصب؛ لأن الخط منبىء عن النطق؛ فمن لحن فى كتبه فهو لحن فى نطقه، ولم يكن عثمان ليؤخر فساداً فى هجاء ألفاظ القرآن من جهة كتب ولا نطق، ومعلوم أنه كان مواصلاً لدرس القرآن متقناً لألفاظه موافقاً على ما رسم فى المصاحف المنفذة إلى الأمصار والنواحي» «١».

وقال:

«أخرج- أى ابن أشته- عن إبراهيم النخعى أنه قال: آية و «إن هذين ساحران» سواء، لعلهم كتبوا الألف مكان الياء، والواو فى قوله: «والصابئون» و «الزاسخون» مكان الياء. قال ابن أشته: يعنى إنه من إبدال حرف فى الكتابة بحرف، مثل الصلاة والزكاة والحياء. وأقول: هذا الجواب إنما يحسن لو كانت القرائة بالياء فيها والكتابة بخلافها، وأما والقرائة على مقتضى الرسم فلا» «٢».

ثم ذكر السيوطى جواباً آخر جعله أقوى ما يجاب به، قال:

«ثم قال ابن أشته: أنبأنا محمد بن يعقوب، حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، ثنا حميد بن مسعدة، ثنا إسماعيل أخبرنى الحارث بن عبد الرحمن، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر قال: لما فرغ من هذا المصحف اتى به عثمان فنظر فيه، فقال: أحسنتم وأجملتم، أرى شيئاً سنقيمه بألسنتنا.

فهذا الأثر لا إشكال فيه وبه يتضح معنى ما تقدم، فكأنه عرض عليه

(١) الإتقان فى علوم القرآن ٢: ٣٢٢.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن ٢: ٣٢٤-٣٢٥.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ١٤٩

عقب الفراغ من كتابته، فرأى فيه شيئاً كتب على غير لسان قريش، كما وقع لهم فى التابوت والتابوة، فوعد بأنه سيقومه على لسان قريش، ثم وفى بذلك عند العرض والتقويم ولم يترك شيئاً.

ولعل من روى الآثار السابقة عنه حرفها ولم يتقن اللفظ الذى صدر من عثمان، فلزم منه ما لزم من الإشكال، فهذا أقوى ما يجاب به

عن ذلك، ولله الحمد» (١).

وأما أبو القاسم الراغب الإصفهاني فلم يرتض شيئاً من هذه الوجوه فقال:

«كأن القوم الذين كتبوا المصحف لم يكونوا قد حذقوا الكتابة، فلذلك وضعت أحرف على غير ما يجب أن تكون عليه. وقيل: لما كتبت المصاحف وعرضت على عثمان فوجد فيها حروفاً من اللحن في الكتابة قال: لا تغيروها، فإنّ العرب ستغيرها- أو ستعربها- بألسنتها ولو كان الكاتب من ثقيف والممل من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف» (٢).

عائشة: أخطأوا في الكتب!

وقال السيوطي في (الإتقان):

«قال أبو عبيد في فضائل القرآن: ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن جدّه قال: سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله «إن هذان لساحران» وعن قوله: «والمقيمين الصّلاة والمؤتون الزّكاه» وعن قوله «إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصّابئون والنّصارى» قالت: يا ابن أخي هذا عمل

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢: ٣٢٣-٣٢٤.

(٢) محاضرات الادباء ٢: ٤٣٤.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ١٥٠

الكتاب أخطأوا في الكتاب؛ هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين» (١).

وقال في (الدر المنثور):

«أخرج أبو عبيد في فضائله وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي داود وابن المنذر عن عروة قال: سألت عائشة عن لحن القرآن «إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصّابئون» «والمقيمين الصّلاة والمؤتون الزّكاه» و «إن هذان لساحران» فقالت: يا ابن اختي! هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب» (٢).

وقال أبو عمرو الداني في (المقنع):

«نا الخاقاني قال: نا أحمد بن محمّد قال: نا علي بن عبدالعزيز قال: نا أبو عبيد قال: نا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: سألت عائشة رضی الله عنها عن لحن القرآن عن قول الله عزّ وجلّ: «إن هذان لساحران» وعن قوله: «والمقيمين الصّلاة والمؤتون الزّكاه» وعن قوله تعالى: «إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصّابئون» فقالت: يا ابن اختي! هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب» (٣).

والحق: أن الحديث الصحيح المتقدّم ونحوه لا يمكن الجواب عنه بما ذكره، وهذا ما اعترف به الحافظ السيوطي بالتالي حيث قال بعد ذكر الأجوبة التي تقدّمت وما استحسنته من جوابه:

«وبعد؛ فهذه الأجوبة لا يصح شيء منها عن حديث عائشة؛ أمّا الجواب

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢: ٣٢٠.

(٢) الدر المنثور ٢: ٧٤٤-٧٤٥.

(٣) المقنع لأبي عمرو الداني: ١١٩.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ١٥١

بالتضعيف، فلأنّ إسناده صحيح كما ترى، وأمّا الجواب بالرمز وما بعده، فلأنّ سؤال عروة عن الأحرف المذكورة لا يطابقه» (١).

ولقد أنصف القاضي ثناء الله الهندي- وهو أكبر تلامذة شاه ولي الله- إذ خطأ عائشة وجعل قولها خرقاً للإجماع، حيث قال في

(تفسيره) في تفسير قوله تعالى: «إن هذان لساحران»:

«واختلفوا في توجيهه، فروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنه خطأ من الكاتب. وهذا القول خطأ خارق للإجماع».

وكذا ابن السمين في تفسيره (الدر المصون) حيث قال:

«ذهب جماعة - منهم عائشة رضي الله عنها وأبو عمرو - إلى أن هذا مما لحن فيه الكاتب وقيم بالصواب، يعنون أنه كان من حقّه أن يكتب بالياء فلم يفعل ولم يقرأه الناس إلّ بالياء على الصواب» (٢).

وقال السيوطي في (الإتقان):

«تذنيب: يقرب مما تقدّم عن عائشة ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده وابن أشتة في المصاحف، من طريق إسماعيل المكي عن أبي خلف مولى بني جمح: أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة فقال: جئت أسألك عن آية من كتاب الله كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها. قالت: أيتها آية؟

قال: الذين يؤتون ما أتوا أو الذين يأتون ما أتوا. فقالت: أيهما أحب إليك؟

قلت: والذي نفسى بيده لإحدهما أحب إليّ من الدنيا جميعاً. قالت: أيهما؟

قلت: الذين يأتون ما أتوا. فقالت: أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢: ٣٢٤.

(٢) الدر المصون/ تفسير ابن السمين ٥: ٣٤ - ٣٥.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٥٢

كذلك كان يقرأها وكذلك انزلت ولكن الهجاء حُرّف» (١).

وقال في (الدر المنثور):

«أخرج سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابن المنذر وابن أبي شيبة وابن الأنباري معاً في المصاحف والدارقطني في الأفراد والحاكم وصححه وابن مردويه عن عبيد بن عمير رضي الله عنه: إنّه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: والذين يؤتون ما أتوا والذين يأتون ما أتوا، فقالت: أيتهما أحب إليك؟

قلت: والذي نفسى بيده لإحدهما أحب إليّ من الدنيا جميعاً. قالت: أيهما؟

قلت: الذين يأتون ما أتوا. فقالت: أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يقرأها، وكذلك انزلت ولكن الهجاء حُرّف» (٢).

ابن عباس: أخطأ الكاتب

وقال في (الإتقان) عاطفاً على ما تقدم:

«وما أخرجه ابن جرير وسعيد بن منصور في سننه من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله «حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا» قال: إنّما هي خطأ من الكاتب: حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا؛ أخرجه ابن أبي حاتم بلفظ هو فيما أحسب مما أخطأ به الكتاب» (٣).

وأخرج الحاكم:

«عن مجاهد عن ابن عباس في قوله: «لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى

(١) الاتقان في علوم القرآن ٢: ٣٢٧.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦: ١٠٦ وفيه: ابن اشته بدل ابن أبي شيبة.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٢: ٣٢٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٥٣

تستأنسوا قال: أخطأ الكاتب، تستأذنوا. ثم قال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين» (١).
وفي (الدر المنثور):

«أخرج الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مندة في غرائب شعبة والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان والضياء في المختارة من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها» قال: أخطأ الكاتب، إنما هي: حتى تستأذنوا» (٢).

والعجب: أن الحكيم الترمذي يجعل هذا الحديث وأمثاله - مما أخرجه كبار الأئمة كما عرفت وصححوه - من مكائد الزنادقة، وفي ذلك فضيحة لثقات المحدثين بل لأعلام الصحابة وغيرهم من أركان الدين ... إنه يقول:

«والعجب من هؤلاء الرواة، أحدهم يروي عن ابن عباس إنه قال في قوله «حتى تستأنسوا وتسلموا» هو خطأ من الكاتب إنما هو تستأذنوا وتسلموا، وما أرى مثل هذه الروايات إلا من كيد الزنادقة في هذه الأحاديث، إنما يريدون أن يكيدوا الإسلام بمثل هذه الروايات، فيا سبحان الله، كان كتاب الله بين ظهرائي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مَضَيْعِهِ حتى كتب الكتاب فيها ما شأوا وزادوا ونقصوا!!

وروى عنه أيضاً أنه قال: خطأ من الكتاب قوله: «أفلم ييأس الذين

(١) المستدرک علی الصحيحین ٢: ٣٩٦.

(٢) الدر المنثور: ٦: ١٧١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٥٤

آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً» إنما هو: أفلم يتبين، فهذه اللغات إنما يتغير معانيها بزيادة حرف ونقصان حرف، أفحسب ذو عقل إن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أهملوا أمر دينهم حتى فوضوا عهد ربهم إلى كاتب يخطيء فيه، ثم يقره أبو بكر وعمر وإبي بن كعب رضي الله عنهم أجمعين، حيث جمعه في خلافة أبي بكر ثم من بعده مرة أخرى في زمن عثمان رضي الله عنه ...
وقد أشار الحكيم إلى ما رواه السيوطي في (الإتقان) إذ قال:

«وما أخرجه ابن الأنباري من طريق عكرمة عن ابن عباس إنه قرأ: أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً، فقليل له: إنها في المصحف: أفلم ييأس الذين آمنوا، قال: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس» (١).

وهو في (الدر المنثور):

«أخرج ابن جرير وابن الأنباري في المصاحف عن ابن عباس رضي الله عنهما إنه قرأ: أفلم يتبين الذين آمنوا، فقليل له: إنها في المصحف: أفلم ييأس الذين آمنوا، فقال: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس» (٢).

ونص الحافظ ابن حجر على صحته في (فتح الباري):

«روى الطبري وعبد بن حميد بإسناد صحيح كلهم من رجال البخاري عن ابن عباس إنه كان يقرأها: أفلم يتبين، ويقول: كتبها الكاتب وهو ناعس» (٣).

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢: ٣٢٧.

(٢) الدر المنثور ٤: ٦٥٣.

(٣) فتح الباري في شرح البخارى ٨: ٣٠٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٥٥

ثم تعرّض ابن حجر لإنكار من أنكر هذه الأحاديث وردّ عليهم بشدّة فقال:

«وأما ما أسنده الطبري عن ابن عباس، فقد اشتدّ إنكار جماعة ممّن لا علم له بالرجال صحّته، وبالغ الزمخشري في ذلك كعادته - إلى أن قال - وهى والله فريئة بلا مريء، وتبعه جماعة بعده والله المستعان. وقد جاء عن ابن عباس نحو ذلك في قوله تعالى: «وقضى ربك أَلَّا تعبدوا إلَّا إِيَّاه» أخرجه سعيد بن منصور بإسناد جيّد عنه، وهذه الأشياء وإن كان غيرها المعتمد، لكن تكذيب المنقول بعد صحّته ليس من دأب أهل التحصيل، فلينظر في تأويله بما يليق [به] «١».

وقد روى السيوطى ما ذكره ابن حجر:

«أخرج الفريابى وسعيد بن منصور و ابن جرير و ابن المنذر و ابن الأنبارى فى المصاحف من طريق سعيد بن جبیر عن ابن عبّاس رضى الله عنه فى قوله: «وقضى ربك أن لا تعبدوا إلّا إِيَّاه» قال: التزقت الواو بالصاد وأنتم تقرؤونها: وقضى ربك.

وأخرج ابن أبى حاتم من طريق الضحّاك عن ابن عبّاس رضى الله عنه مثله.

وأخرج أبو عبيد و ابن منيع و ابن المنذر و ابن مردويه من طريق ميمون ابن مهران عن ابن عبّاس قال: أنزل الله هذا الحرف على لسان نبيكم: ووصى ربك أَلَّا تعبدوا إلّا إِيَّاه، فلصقت إحدى الواوين بالصاد فقرأ الناس: وقضى

(١) فتح الباري في شرح البخارى ٨: ٣٠٠ - ٣٠١ مع بعض الاختلاف.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٥٦

ربك، ولو نزلت على القضاء ما أشرك به أحداً «١».

وفى (الإتقان):

«أخرج سعيد بن منصور من طريق سعيد بن جبیر عن ابن عبّاس أنه كان يقول فى قوله: «وقضى ربك» إنّما هى: ووصى ربك، التزقت الواو بالصاد.

وأخرجه ابن أشتة بلفظ: استمدّ الكاتب مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد.

وأخرج هو من طريق الضحّاك عن ابن عبّاس أنه كان يقرأ: ووصى ربك، ويقول: أمر ربك، إنّهما واوان التصقت إحداهما بالصاد.

وأخرج من طريق اخرى عن الضحّاك أنّه قال: كيف تقرأ هذا الحرف؟

قال: وقضى ربك، قال: ليس كذلك نقرؤها نحن ولا ابن عبّاس، إنّما هى:

ووصى ربك، كذلك كانت تقرأ وتكتب، فاستمدّ كاتبكم فاحتمل القلم مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد، ثم قرأ: «ووصينا الذين

أوتوا الكتاب» ولو كانت قضاء من الرب لم يستطع أحد ردّ قضاء الرب، ولكنّه وصية أوصى بها العباد «٢».

وروى السيوطى فى (الإتقان):

«وما أخرجه سعيد بن منصور وغيره من طريق عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عبّاس أنّه كان يقرأ: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء،

(١) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٥: ٢٥٧.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن ٢: ٣٢٧ - ٣٢٨ مع اختلاف.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٥٧

ويقول: خذوا هذه الواو واجعلوها هاهنا: «الذين قال لهم النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قد جمعوا لكم» الآية.

وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق الزبير بن خزيب عن عكرمة عن ابن عباس قال: إنزعوا هذه الواو فاجعلوها في: «الذين يحملون العرش ومن حوله» (١).

وفي (الدر المنثور):

«أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن ابن عباس رضى الله عنهما إنه كان يقرأ: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء، ويقول: خذوا هذه الواو واجعلوها هاهنا في: «الذين يحملون العرش ومن حوله» (٢).

وروى في (الإتقان):

«وما أخرجه ابن أشته وابن أبي حاتم من طريق عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى: «مثل نوره كمشكاة» قال: هي خطأ من الكاتب، هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة، إنما هي: مثل نور المؤمن كمشكاة» (٣).

وفي (الدر المنثور):

«أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: «مثل نوره» قال:

هي خطأ من الكاتب، هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة، قال: مثل نور المؤمن كمشكاة» (٤).

ثم حاول السيوطي تأويل هذه الروايات والدفاع عن روايتها:

«وقد أجاب ابن أشته عن هذه الآثار كلها: بأن المراد أخطأوا في الإختيار

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢: ٣٢٨.

(٢) الدر المنثور ٥: ٦٣٤.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٢: ٣٢٨.

(٤) الدر المنثور ٦: ١٩٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٥٨

وما هو الأولى بجمع الناس عليه من الأحرف السبعة، لا أن الذي كُتب خطأ خارج عن القرآن.

قال: فمعنى قول عائشة «حرف الهجاء» القى إلى الكاتب هجاء غير ما كان بالأولى أن يلقى إليه من الأحرف السبعة.

قال: وكذا معنى قول ابن عباس: كتبها وهو ناعس، يعنى فلم يتدبر الوجه الذي هو أولى من الآخر، وكذا سائرهما» (١).

وذكر مثل ذلك في رسالته (جزيل المواهب):

«ونظير ما قلناه من أن المذاهب كلها صواب وأنها من باب جائز وأفضل لا من باب صواب وخطأ: ما ورد عن جماعة من الصحابة في

قراءات مشهورة أنهم أنكروها على عثمان وقرؤوا غيرها. وأجاب العلماء عن إنكارهم بأنهم أرادوا أن الأولى اختيار غيرها ولم يريدوا

إنكار القراءة بها البتة، وقد عقدت لذلك فصلاً في الإتقان».

وقال في (الإتقان) بعد العبارة السابقة:

«وأما قول ابن الأنباري، فإنه جنح إلى تضعيف الروايات ومعارضتها بروايات اخر عن ابن عباس وغيره بثبوت هذه الأحرف في القرآن،

والجواب الأول أولى وأقعد» (٢).

هذا، وقد كان الأولى بالسيوطي أن يترك التعرض لمثل هذه الخرافات كما تركها ابن حجر...

ثم جاء في (الإتقان) ما هو الأعجب من ذلك، حيث قال:

(١) الإتيان في علوم القرآن ٢: ٣٢٨-٣٢٩.

(٢) الإتيان في علوم القرآن ٢: ٣٢٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٥٩

«قد حكى أبو عمر الزاهد في كتاب اليواقيت عن ثعلب إنه قال: إذا اختلف الإعرابان في القرآن لم افضّل إعراباً على إعراب، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى.

وقال أبو جعفر النحاس: السلامة عند أهل الدين إذا صحّت القرائتان أن لا يقال لإحدهما أجود، لأنهما جميعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة رضوان الله عليهم ينكرون مثل هذا.

وقال أبو شامة: أكثر المصنّفون من الترجيح بين قراءة مالك وملك، حتّى أن بعضهم بالغ إلى حدّ يكاد يسقط وجه القراءة الاخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القرائتين» (١).

فإذا كان الترجيح إثماً فكيف بالتخطئة، وقد عرفنا أن ابن عباس وعائشة وغيرهما قد خطأوا آيات عديدة؟

بل جاء في بعض الآثار الصحيحة أن ترجيح قراءة على قراءة يكاد يكون كفراً! قال ابن حجر في كلام له في جمع المصاحف:

«وقد جاء عن عثمان أنه إنّما فعل ذلك بعد أن استشار الصحابة، فأخرج ابن أبي داود بإسناد صحيح من طريق سويد بن غفلة قال: قال عليّ: لا تقولوا في عثمان إلّا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلّا عن ملأ منّا.

قال: ما تقولون في هذه القراءة فقد بلغني أن بعضهم يقول إنّ قرائتي خير من قرائتك، وهذا يكاد يكون كفراً. قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا يكون فرقة ولا اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت» (٢).

(١) الإتيان في علوم القرآن ١: ٢٨١.

(٢) فتح الباري ٩: ١٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٦٠

هذا، وفي (تفسير الثعلبي) في قوله تعالى: «والمقيمين الصلاة»:

«اختلفوا في وجه انتصابه؛ فقالت عائشة وأبان بن عثمان: هو غلط من الكاتب، ونظيره قوله: «الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى» وقوله: «إن هذان لساحران» (١).

مجاهد والضحاك وسعيد بن جبير...

وفي (الدر المنثور):

«أخرج عبد بن حميد والفريابي وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد في قوله تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيّين لما آتيتكم من كتاب وحكمه» قال: هي خطأ من الكتاب، وهي في قراءة ابن مسعود: ميثاق الذين اتوا الكتاب.

وأخرج ابن جرير عن الربيع إنه قرأ: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب قال: وكذلك كان يقرؤها ابني بن كعب. قال الربيع: ألا ترى إنه يقول:

«ثم جاءكم رسول مصدقاً لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه» لتؤمننّ بمحمّد ولتنصرنّه، قال: هم أهل الكتاب» (٢).

وفي (تفسير الثعلبي) بتفسير الآية المتقدمة:

«قال عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه: لم يبعث الله نبياً آدم ومن بعده إلّا أخذ عليه العهد في محمّد، وأمره بأخذ العهد على قومه ليؤمننّ به، ولئن بعث وهم أحياء لينصرنّه. وقال آخرون: إنّما أخذ الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل منهم النبيون؛ وهو قول

مجاهد والربيع. قال مجاهد: هذا غلط من الكاتب، وهي في قراءة ابن مسعود وابني بن كعب: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين

(١) تفسير الثعلبي ٣: ٤١٤.

(٢) الدر المنثور ٢: ٢٥٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٦١

قالوا، ألا ترى إلى قوله: ثم جاءكم «١».

وفي (الإتقان):

«وأخرج - أي ابن أشتة - من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير إنه كان يقرأ: والمقيم الصلاة، ويقول: هو لحن من الكاتب» (٢).

ثم نقل السيوطي عن ابن أشتة تأويلاً غريباً فقال:

«أما قول سعيد بن جبير: لحن من الكاتب، فعنى باللحن القراءة واللغة، يعنى: إنها لغة الذى كتبها وقراءته، وفيها قراءة اخرى» (٣).

وأتبع الضحاك أيضاً ابن عباس، فقد جاء فى (الدر المنثور):

«أخرج أبو عبيد وابن جرير وابن المنذر عن الضحاك بن مزاحم رضى الله عنه إنه قرأها «ووصى ربك» قال: إنهم ألقوا إحدى

الواوين بالصاد فصارت قافاً» (٤).

والأقبح الأشنع من ذلك كله: قول بعضهم بأن فى القرآن أغلاطاً لم يتتبه إليها الرسول الكريم ولا جبريل الأمين ... فاستمع لما جاء

فى كتاب (اليواقيت والجواهر):

«كان حمزة الزيات يقول: قرأت سورة يس على الحق تعالى حين رأته، فلمّا قرأت: «تنزيل العزيز الرحيم» بضم اللام فردّ على الحقّ

تعالى تنزيل بفتح اللام وقال: إنى نزلته تنزيلاً. وقال: قرأت عليه جلّ وعلا أيضاً سورة طه، فلمّا بلغت إلى قوله تعالى: «وأنا اخترتك»

فقال تعالى: وإنّا

(١) تفسير الثعلبي ٣: ١٠٥.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن ٢: ٣٢١.

(٣) الإتقان فى علوم القرآن ٢: ٣٢٤.

(٤) الدر المنثور ٥: ٢٥٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٦٢

اخترناك «١».

ونعوذ بالله من هذه الاعتقادات الفاسدة فى حق كلام الله الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه!

موقف ابن مسعود

ومن العجائب: ما يروونه عن عبد الله بن مسعود - هذا الصحابى الجليل - بالنسبة إلى هذا القرآن الموجود، فقد جاء فى (جامع

الاصول):

«وزاد الترمذى: قال الزهرى: فأخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن مسعود إنّه - أى ابن مسعود - كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف وقال: يا

معشر المسلمين أعزل عن نسخ المصاحف ويتولّأها رجل - والله - لقد أسلمت وإنه لفى صلب رجل كافر - يريد زيد بن ثابت -

ولذلك قال عبد الله بن مسعود: يا أهل العراق اكنموا المصاحف التى عندكم وغلّوها فإنّ الله يقول: «ومن يغلل يأت بما غلّ يوم

القيامة» فالقوا الله بالمصاحف» (٢).

وفى (فتح البارى):

«وفى رواية النسائي وأبي عوانة وابن أبي داود من طريق ابن شهاب عن الأعمش عن أبي وائل قال: خطبنا عبد الله بن مسعود على المنبر فقال: «ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة» غلّوا مصاحفكم، وكيف تأمروني أن أقرأ على قرائة زيد بن ثابت وقد قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفى رواية خمير بن مالك بيان السبب في قول ابن مسعود هذا، ولفظه:

لما أمر بالمصاحف أن تُغيّر ساء ذلك عبد الله بن مسعود فقال: من استطاع...

(١) اليواقيت والجواهر للشيخ عبد الوهاب الشعراني ١: ١٦٢.

(٢) جامع الاصول ٢: ٥٠٦ / ٩٧٥- وانظر الترمذى ٥: ٢٨٥ / ٣١٠٤.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٦٣

وقال في آخره: أفأترك ما أخذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي روايه له: فقال: إني غال مصحفى فمن استطاع أن يغلل مصحفه فليفعل.

وعند الحاكم من طريق أبي ميسرة قال: زحّت فإذا أنا بالأشعري وحذيفه وابن مسعود فقال ابن مسعود: والله لا أدفعه- يعنى مصحفه- أقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذكره «١».

وفى (مجمع البحار) بتفسير قول ابن مسعود: «ومن يغلل»:

«يعنى: إن مصحفه ومصحف أصحابه كان مخالفاً لمصحف الجمهور، فأنكر عليه الناس وطلبوا إحراق مصحفه كما فعلوا فامتنع وقال لأصحابه: غلّوا مصاحفكم أى اكنموها، ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة، وكفاكم به شرفاً، ثم قال إنكاراً: ومن هو الذى تأمروني أن آخذ بقرائته وأترك مصحفى الذى أخذته من في رسول الله «٢».

هذا، وقد كان فى مصحف ابن مسعود زيادة ونقصان بالنسبة إلى المصحف الموجود، جاء ذلك فى كلمات غير واحد من أئمة القوم، كالقوشجى حيث قال مدافعاً عن عثمان، فى (شرح التجريد):

«اجيب: بأن ضرب ابن مسعود إن صحّ فقد قيل: إنّه لما أراد عثمان أن يجمع الناس على مصحف واحد ويرفع الاختلاف بينهم فى كتاب الله طلب مصحفه منه فأبى ذلك، مع ما كان فيه من الزيادة والنقصان، ولم يرض أن يجعل موافقاً لما اتفق به أئمة الصحابة، فأذبه عثمان لينقاد» «٣».

(١) فتح البارى ٩: ٣٩.

(٢) مجمع البحار «غلّ».

(٣) شرح التجريد للقوشجى: ٣٧٥.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٦٤

وأبو الدرداء

وفى مصحف أبي الدرداء الصحابي أيضاً زيادة كما أخرج مسلم فى (الصحيح):

«حدّثنا أبو بكر ابن أبي شيبة وأبو كريب- واللفظ لأبى بكر- قال: حدّثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: قد منا الشام فأتانا أبو الدرداء فقال: فيكم أحد يقرأ على قرائة عبد الله؟ فقلت: نعم أنا. قال:

فكيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية: «والليل إذا يغشى»؟ قال: سمعته يقرأ: والليل إذا يغشى والذكر والانثى. قال: أنا والله هكذا سمعت رسول الله يقرأ، ولكن هؤلاء يريدون أن أقرأ «ما خلق» فلا اتابعهم» «١».

وفى (صحيح مسلم) أيضاً:

«وحدّثني علي بن حجر السعدي حدّثنا، إسماعيل بن إبراهيم، عن داود ابن أبي هند، عن الشعبي، عن علقمة قال: لقيت أبا الدرداء فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل العراق. قال: من أيّهم؟ قلت: من أهل الكوفة. قال: هل تقرأ على قرائة عبد الله بن مسعود؟ قال: قلت: نعم. قال: فقرأ «والليل إذا يغشى» فقرأت: والليل إذا يغشى والنّهار إذا تجلّى والذكر والائتي. قال: فضحك ثم قال: هكذا سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرؤها» (٢).

وفى (صحيح البخارى):

«حدّثنا قبيصة بن عقبة قال: حدّثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: دخلت في نفر من أصحاب عبد الله الشام، فسمع بنا

(١) صحيح مسلم ١: ٥٦٥-٥٦٦/٨٢٣ كتاب صلاة المسافرين الباب ٥٠.

(٢) صحيح مسلم ١: ٥٦٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٦٥

أبو الدرداء فأتانا فقال: أفيكم من يقرأ؟ فقلنا: نعم. قال: فأينكم أقرأ؟ فأشاروا إليّ. فقال: إقرأ، فقرأت: والليل إذا يغشى والنّهار إذا تجلّى والذكر والائتي، فقال: أنت سمعتها من فيّ صاحبك؟ قلت: نعم. قال: وأنا سمعتها من فيّ النبيّ وهؤلاء يابون علينا» (١).

وفى (صحيح البخارى) أيضاً:

«حدّثنا عمرو بن حفص، حدّثنا أبي قال: حدّثنا الأعمش، عن إبراهيم قال: قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم، فقال: أيكم يقرأ على قرائة عبد الله؟ قال: كلنا. قال: فأينكم أحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة. قال: كيف سمعته يقرأ: «والليل إذا يغشى»؟ قال علقمة: والذكر والائتي. قال: أشهد إنّي سمعت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدونني على أن أقرأ: ما خلق الذكر والائتي، والله لا اتابعهم» (٢).

وفى (صحيح الترمذى):

«حدّثنا هناد، نا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال:

قدمنا الشام فأتانا أبو الدرداء، فقال: أفيكم أحد يقرأ على قرائة عبد الله؟

فأشاروا إليّ، فقلت: نعم. قال: كيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية: «والليل إذا يغشى»؟ قال: قلت: سمعته يقرؤها: والليل إذا يغشى والذكر والائتي.

فقال أبو الدرداء: وأنا والله هكذا سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يقرؤها، وهؤلاء يريدونني أن أقرأها: [و] ما خلق، فلا اتابعهم.

هذا حديث حسن صحيح، وهكذا قرائة عبد الله بن مسعود: والليل إذا

(١) صحيح البخارى ٦: ٢١٠.

(٢) صحيح البخارى ٦: ٢١٠-٢١١ وفيه: عمر بن حفص.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٦٦

يغشى والنّهار إذا تجلّى والذكر والائتي» (١).

وجاء في كتاب (المحاضرات) ما يلي:

«وقيل: أحرق عثمان رضى الله عنه مصحف ابن مسعود، وإن ابن مسعود رضى الله عنه كان يقول: لو ملكت كما ملكوا لصنعت بمصحفهم مثل الذى صنعوا بمصحفى» (٢).
أقول:

قد يحمل بعض ما جاء فى هذه الأخبار والآثار على اختلاف القراءة، وبعضها الآخر على نسخ التلاوة، ولكن طرفاً كبيراً من ذلك لا يمكن حمله لا على النسخ ولا على القراءة، كما هو واضح لأهل العلم والتحقيق، فهل يلتزم القوم بما جاء فى هذه النصوص؟!

(١) صحيح الترمذى ٥: ١٩١ / ٢٩٣٩ كتاب القراءات، الباب ٧.

(٢) محاضرات الأدباء ٢: ٤٣٣ باختلاف يسير.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٦٧

رجال الحديث والعرفان و ولادة الإمام المهدي صاحب الزمان ... ص: ١٦٧

إشارة

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٦٩
وأورد السيد نصوص ما وقف عليه من عبارات أعلام أهل السنة، من عرفاء ومحدثين ومؤرخين، فى بلاد الهند وخارجها، يصرحون فيها بولادة الإمام المهدي وأنه ابن الإمام الحسن العسكرى، من ولد الإمام أبى عبدالله الحسين الشهيد عليهم الصلاة والسلام...
ونحن ننقل تلك النصوص، وترجم لأصحابها، تنويهاً بمقامهم وشأنهم بين أهل السنة:
استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٧٠

الشيخ عبدالوهاب الشعرانى ... ص: ١٧٠

إشارة

قال الشيخ عبدالوهاب الشعرانى فى كتابه (لوائح الأنوار فى طبقات الأخيار):
«ومنهم: الشيخ الصالح العابد الزاهد، ذوالكشف الصحيح والحال العظيم، الشيخ حسن العراقى المدفون فوق الكوم المطل على بركة الرطلى، كان رضى الله عنه عمّر نحو مائة سنة وثلاثين سنة، ودخلت عليه مرّة أنا وسيدى أبوالعباس الحرشى، فقال:
أحدّثكم بحديث تعرفون به أمرى من حيث كنت شاباً إلى وقتى هذا؟
فقلنا: نعم.

فقال: كنت شاباً أمرد، أنسج العباء فى الشام، وكنت مسرفاً على نفسى، فدخلت جامع بنى امية فوجدت شخصاً على الكرسي يتكلم فى أمر المهدي وخروجه، فتشرب حبه قلبى وصرت أدعو فى سجودى بأنّ الله يجمعنى عليه، فمكثت نحو سنة وأنا أدعو، فبينما أنا بعد المغرب فى الجامع إذ دخل على شخص عليه عمامة كعمائم العجم، وجبه من وبر الجمال، فجس بيده على كتفى وقال:

مالك بالإجماع بى؟

فقلت له: من أنت؟

فقال: أنا المهدي. فقبلت يده وقلت: إمض بنا إلى البيت.

فأجاب وقال: أخل لي مكاناً لا يدخل على فيه أحد غيرك، فأخليت له.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٧١

فمكث عندي سبعة أيام ولقنني الذكر، وأمرني بصوم يوم وإفطار يوم، وبصلاة خمسمائة ركعة في كل ليلة، وأن لا أضع جنبي على الأرض للنوم إلا غلبه.

ثم طلب الخروج وقال لي: يا حسن! لا تجتمع بأحد بعدي ويكفيك ما حصل لك مني، فما تم إلهادون ما وصل إليك مني فلا تتحمل من أحد بلا فائدة.

فقلت: سمعاً وطاعة.

وخرجت اودعه، فأوقفني عند عتبة باب الدار وقال: من هنا.

فأقمت على ذلك سنين عديدة- إلى أن قال الشعراني بعد ذكر حكاية سياحة حسن العراقي:-

وسألت المهدي عن عمره؟

فقال: يا ولدي! عمري الآن ستمائة سنة وعشرون سنة، ولي عنه الآن مائة سنة.

فقلت ذلك لسيدى على الخواص فوافقه على عمر المهدي رضي الله عنهما «(١)».

وقال في كتابه (اليواقيت والجواهر):

«المبحث الخامس والستون: في بيان أن جميع أشراف الساعة التي أخبر بها الشارع صلى الله عليه وسلم حتى لا بد أن يقع كلها قبل قيام الساعة، وذلك كخروج المهدي ثم الدجال ثم نزول عيسى وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ورفع القرآن وفتح سد يأجوج ومأجوج، حتى لو لم يبق من الدنيا إلا

(١) لواقع الأنوار في طبقات الأخبار ٢: ١٣٩ ترجمة الشيخ حسن العراقي.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٧٢

مقدار يوم واحد لوقع ذلك كله.

قال الشيخ تقي الدين بن أبي منصور في عقيدته: وكل هذه الآيات تقع في المائة الأخيرة من اليوم الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بقوله: إن صلحت امتي فلها يوم وإن فسدت فلها نصف يوم، يعني من أيام الرب المشار إليها بقوله: «وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون».

وقال بعض العارفين: وأول الألف محسوب من وفاة علي بن أبي طالب رضي الله عنه آخر الخلفاء، فإن تلك المدّة كانت من جملة أيام نبوة رسول الله ورسالته، فمهد الله تعالى بالخلفاء الأربعة البلاد، ومراده صلى الله عليه وسلم إن شاء الله بالألف قوة سلطان شريعته إلى انتهاء الألف، ثم تأخذ في الاضمحلال إلى أن يصير الدين غريباً كما بدأ، وذلك الاضمحلال يكون بدايته من مضي ثلاثين سنة من القرن الحادي عشر، فهناك يترقّب خروج المهدي، وهو من أولاد الإمام حسن العسكري، ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام، فيكون إلى وقتنا هذا- وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة- سبعمائة سنة وست سنين؛ هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطلي بمصر المحروسة، عن الإمام المهدي حين اجتمع به ووافقه على ذلك شيخنا سيدى على الخواص رحمهما الله.

وعبارة الشيخ محي الدين في الباب السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات هكذا: واعلموا أنه لا بد من خروج المهدي رضي الله عنه، لكن لا يخرج حتى تمتليء الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً، ولو لم يبق من

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٧٣

الدنيا إلا يوم واحد طول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة.

وهو من عتره رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضى الله عنها، جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده حسن العسكري ابن الإمام عليّ النقي بالنون ابن محمّد التقى بالناء ابن الإمام عليّ الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمّد الباقر ابن الإمام زين العابدين عليّ بن الإمام الحسين ابن الإمام عليّ بن أبي طالب.

يواطىء اسمه اسم رسول الله.

يبايعه المسلمون ما بين الركن والمقام.

يشبه رسول الله في الخلق - بفتح الخاء -.

وينزل عنه في الخلق - بضمها - إذ لا يكون أحد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه والله تعالى يقول: «إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ».

هو أجلى الجبهة، أقنى الأنف.

أسعد الناس به أهل الكوفة.

يقسم المال بالسوية، ويعدل في الرعيّة، يأتيه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني، وبين يديه المال، فيحسب له ما استطاع أن يحمله.

يخرج على فترة من الدين، يزعم الله به ما لا يزعم بالقرآن.

يمسى الرجل جاهلاً وجباناً وبخيلاً فيصبح عالماً شجاعاً كريماً.

يمشى النصر بين يديه.

يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً.

يقفو أثر رسول الله ولا يخطى، له ملك يسدده من حيث لا يراه، يحمل الكل ويعين الضعيف ويساعد على نوائب الحق، يفعل ما

يقول، ويقول ما

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٧٤

يفعل، ويعلم ما يشهد، يصلحه الله في ليلة، يفتح المدينة الروميّة بالتكبير مع سبعين ألف من المسلمين من ولد إسحاق، يشهد الملحمة العظمى مآدبة الله بمرج عكاء، يبئد الظلم وأهله، وقيم الدين، وينفخ الروح في الإسلام، يُعزّ الله به الإسلام بعد ذلك، ويحييه بعد موته، يضع الجزية، ويدعو إلى الله بالسيف، فمن أبى قتل ومن نازعه حُذِل، يظهر من الدين ما هو عليه في نفسه حتى لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيّاً لحكم به.

فلا يبقى في زمانه إلّا الذين الخالص عن الرأى، يخالف في غالب أحكامه مذاهب العلماء فيقبضون منه لذلك، لظنهم أن الله تعالى لا يحدث بعد أئمتهم مجتهداً.

وأطال في ذلك وفي ذكر وقائعه معهم، ثم قال:

واعلم أن المهدي إذا خرج يفرح جميع المسلمين خاصّة بهم وعامتهم، وله رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه، وهم الوزراء له، يتحمّلون أثقال المملكة ويعينونه على ما قلّد الله له.

ينزل عليه عيسى بن مريم عليه السلام بالمنارة البيضاء شرقي دمشق متّكياً على ملكين: ملك عن يمينه وملك عن شماله والناس في صلاة العصر، فيتنحى له الإمام من مكانه فيتقدّم ويصلى بالناس يوم البأس بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، يكسر الصليب ويقتل الخنزير.

ويقبض المهدي طاهراً مطهراً.

وفي زمانه يقتل السفيناني عند شجرة بغوطة دمشق، ويخسف بجيشه في البيداء، فمن كان مجبوراً من ذلك الجيش مكرهاً يحشر على نيته، وقد جاء كم زمانه وأظلكم أوانه.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٧٥

وقد ظهر في القرن الرابع اللّاحق بالقرون الثلاثة الماضية قرن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وهو قرن الصحابة، ثمّ الذي يليه، ثمّ الذي يلي الثاني، ثمّ جاء بينها فترات وحدثت امور، وانتشرت أهواء، وسفكت دماء، فاختمت إلى أن يجيء الوقت المعلوم، فشهداؤه خير الشهداء، وامناه أفضل الامناء.

قال الشيخ محي الدين: وقد استوزر الله تعالى له طائفة خبأهم الحقّ له في مكنون غيبه، أطلعهم كشفاً وشهوداً على الحقائق وما هو أمر الله عليه في عباده وهم على أقدام رجال من الصحابة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهم من الأعاجم ليس فيهم عربيّ لكن لا يتكلمون إلا بالعربيّة، لهم حافظ من غير جنسهم، ما عصى الله قطّ هو أخصّ الوزراء وأعلم» (١).

ثمّ قال الشعراني بعد كلام له:

«فإن قلت: فما صورة ما يحكم به المهدي إذا خرج؟ هل يحكم بالنصوص أو بالإجتهد أو بهما؟

فالجواب كما قاله الشيخ محي الدين: إنّه يحكم بما ألقى إليه ملك الإلهام من الشريعة، وذلك أن يلهمه الله الشرع المحمديّ فيحكم به كما أشار إليه حديث المهدي: إنّه يقفو أثرى. فعرفنا صَلَّى الله عليه وسلّم أنّه متّبع لا مبتدع، وأنّه معصوم في حكمه، إذ لا معنى للمعصوم في الحكم إلاّ أنّه لا يخطئ، وحكم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لا يخطئ، فإنّه لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى، وقد أخبر عن المهدي أنّه لا يخطئ وجعله ملحقاً بالأنبياء في ذلك الحكم.

قال الشيخ: فعلم أنّه يحرم على المهدي القياس مع وجود النصوص

(١) اليواقيت والجواهر ٢: ٤٢٢-٤٢٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٧٦

التي منحه الله إياها على لسان ملك الإلهام.

بل حرّم بعض المحقّقين على جميع أهل الله القياس، لكون رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم مشهوداً لهم، فإذا شكّوا في صحّة حديث أو حكم رجعوا إليه في ذلك فأخبرهم بالأمر الحقّ يقظاً ومشافهة، وصاحب هذا المشهد لا يحتاج إلى تقليد أحد من الأئمّة غير رسول الله، قال الله تعالى: «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني» وأطال في ذلك» (١).

أقول:

وفي النصوص المتقدّمة إقرار جماعة من الأعلام بوجود المهدي عليه السلام، ولربّما يوجد فيها ما لا تساعد عليه الأدلّة.

ترجمة الشعراني ... ص: ١٧٦

هو: الشيخ أبو المواهب عبد الوهّاب بن علي الشعراني المتوفّي سنة ٩٧٣:

قال ابن العماد- في وفيات السنّة المذكورة-: وفيها: الشيخ عبد الوهّاب ابن أحمد الشعراوي الشافعي. قال الشيخ عبد الرؤف المناوي في طبقاته: هو شيخنا الإمام العامل، العابد، الزاهد، الفقيه، المحدث، الاصولي، الصوفي المرّي، المسلك، من ذريّة محمّد بن الحنفية... جدّ واجتهد، فحفظ عدّة متون... وعرض ما حفظ على علماء عصره.

ثمّ شرع في القراءة... وحبّب إليه الحديث، فلزم الإشتغال به والأخذ عن أهله، ومع ذلك، لم يكن عنده جمود المحدثين ولا لدونه النقلة، بل هو

(١) اليواقيت والجواهر ٢: ٤٢٤-٤٢٥.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ١٧٧

فقيه النظر صوفى الخبر ...

ثم أقبل على الإشتغال بالطريق فجاهد نفسه مدّة وقطع العلائق الدنيويّة، ومكث سنين لا يضطجع على الأرض ليلاً ولانهاراً، بل اتخذ له جبلاً بسقف خلوته يجعله فى عنقه ليلاً حتى لا يسقط، وكان يطوى الأيام المتواليّة ويديم الصوم ... حتى قويت روحانيته، فصار يطير من صحن الجامع الغمرى إلى سطحه ...

ثم تصدّى للتصنيف، فألف كتباً ...

وحسده طوائف، فدسوا عليه كلمات يخالف ظاهرها الشرع وعقائد زائفة ومساائل تخالف الإجماع، وأقاموا عليه القيامة وشتّعوا وسبّوا ورموه بكلّ عظيمه، فخذلهم الله وأظهره عليهم.

وكان مواظباً على السنّة، مبالغاً فى الورع، مؤثراً ذوى الفاقة على نفسه ...

ومن كلامه: دوروا مع الشرع كيف كان لا مع الكشف فإنّه قد يخطئ « ... » (١).

الشيخ المودودى ... ص: ١٧٧

وتبعهم الشيخ على أكبر بن أسد الله المودودى وهو من علمائهم المتأخرين، فإنّه قال فى (المكاشفات - حاشية النفحات) بترجمه على بن سهل بن الأزهر الإصفهاني:

«ولقد قالوا: إنّ عدم الخطأ فى الحكم مخصوص بالأنبياء أكد الخصوصيّة، والشيخ رضى الله عنه يخالفهم فى ذلك، لحديث ورد فى شأن

(١) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ٨: ٣٧٢-٣٧٤.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ١٧٨

الإمام المهدي الموعود على جدّه وعليه الصلاة والسلام كما ذكر ذلك صاحب اليواقيت عنه حيث قال: صرح الشيخ رضى الله عنه فى الفتوحات بأنّ الإمام المهدي يحكم بما ألقى إليه ملك الإلهام من الشريعة، وذلك أنّه يلهمه الشرع المحمّدى فيحكم به كما أشار إليه حديث المهدي. إنّه يقفو اثرى لا- يخطئ، فعزّنا صلى الله عليه وسلّم أنّه متّبّع لا- مبتدع، وأنّه معصوم فى حكمه، إذ لا- معنى للمعصوم فى أمر إلّا أنّه لا يخطئ، وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلّم لا يخطئ فإنّه لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحى يوحى، وقد أخبر عن المهدي أنّه لا يخطئ وجعله ملحقاً بالأنبياء فى ذلك الحكم، وأطال صاحب اليواقيت فى ذلك نقلاً عن الشيخ رضى الله عنه وعن غيره من العلماء والفضلاء من أهل السنّة والجماعة.

وقال رحمه الله عليه فى المبحث الحادى والثلاثين، فى بيان عصمة الأنبياء من كلّ حركة وسكون وقول وفعل ينقص مقامهم الأكمل، وذلك لدوام عكوفهم فى حضرة الله تعالى الخاصّة؛ فتارة يشهدونه سبحانه وتارة يشهدون أنّه يراهم ولا يرونه، ولا يخرجون أبداً عن شهود هذين الأمرين، ومن كان مقامه كذلك لا يتصوّر فى حقّه مخالفة قطّ صورية كما سيأتى بيانه، وتسمّى هذه حضرة الإحسان، ومنها عصم الأنبياء وحفظ الأولياء؛ فالأولياء يخرجون ويدخلون، والأنبياء مقيمون، ومن أقام فيها من الأولياء كسهل بن عبد الله التستري وسيدى إبراهيم المتبولى، فإنّما ذلك بحكم الإرث والتبعية للأنبياء، استمداداً من مقامهم لا بحكم الاستقلال. فافهم.

ثم قال فى المبحث الخامس والأربعين: قد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه: إنّ للقطب خمسة عشر علامة: أن يمدّد بمدد العصمة

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ١٧٩

والرحمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش، ويكشف له عن حقيقة الذات، وإحاطة الصفات إلى آخره؛ فبهذا صحّ مذهب من ذهب إلى كون غير النبي معصوماً، ومن قتيّد العصمة في زمرة معدودة ونفاها عن غير تلك الزمرة فقد سلك مسلكاً آخر، وله أيضاً وجه يعلمه من علمه، فإنّ الحكم بكون المهدي الموعود رضى الله عنه موجوداً وهو كان قطباً بعد أبيه الحسن العسكري عليهما السلام، كما كان هو قطباً بعد أبيه إلى الإمام عليّ بن أبي طالب كرمنا الله بوجوههم، يشير إلى صحّة حصر تلك الرتبة في وجوداتهم من حين كان القطبيّة في وجود جدّه عليّ بن أبي طالب إلى أن تتمّ فيه لا- قبل ذلك، فكلّ قطب فرد يكون على تلك الرتبة نيابة عنه لغيوبته عن أعين العوام والخواصّ لا عن أعين أخصّ الخواص، وقد ذكر ذلك عن الشيخ صاحب اليواقيت وعن غيره أيضاً رضى الله عنه وعنهم، فلا بدّ أن يكون لكلّ إمام من الأئمة الإثني عشر عصمة؛ خذ هذه الفائدة.

قال الشيخ عبدالوهاب الشعراوي في المبحث الخامس والستين: قال الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور في عقيدته، بعد ذكر تعيين السنين للقيامة:

فهناك يترقّب خروج المهدي عليه السلام، وهو من أولاد الإمام الحسن العسكري، ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليهما السلام، فيكون عمره إلى وقتنا هذا- وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة- سبعمائة سنة وست سنين؛ هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي عن الإمام المهدي حين اجتمع به، ووافقه على ذلك شيخنا سيّد علي الخواص رحمه الله تعالى.

وعبارة الشيخ محي الدين في الباب السادس والسبعين وثلاثمائة من

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٨٠

الفتوحات: واعلموا أنّه لا بدّ من خروج المهدي عليه السلام، ثمّ قال: وهو من عتره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، من ولد فاطمة رضى الله عنها، جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه، ووالده الحسن العسكري ابن الإمام عليّ النقي بالنون ابن الإمام محمّد التقى بالتاء ابن الإمام عليّ الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمّد الباقر ابن الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام عليّ بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين، يواطىء اسمه اسم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

ثمّ عدّ رضى الله عنه نبذة من شيم المهدي وأخلاقه النبويّة التي تكون فيه على جدّه وعليه الصلاة والسلام، ونحن نذكرها في أحوال العارف الجندی قدّس سرّه إن شاء الله تعالى «١».

الخواجه محمد پارسا ... ص: ١٨٠

إشارة

وقال الخواجا السيد محمد پارسا في كتاب (فصل الخطاب):
«ولمّا زعم أبو عبدالله جعفر بن أبي الحسن علي الهادي رضى الله عنه أنّه لا ولد لأخيه أبي محمّد الحسن العسكري رضى الله عنه، وادّعى أنّ أخاه الحسن العسكري رضى الله عنه جعل الإمامة فيه سمّي: الكذاب، وهو معروف بذلك، والعقب من ولد جعفر بن علي هذا في علي بن جعفر، وعقب علي هذا في ثلاثة: عبدالله وجعفر وإسماعيل.
وأبو محمّد الحسن العسكري ولده محمّد رضى الله عنهما معلوم عند خاصّة أصحابه وثقات أهله.

(١) المكاشفات في الحاشية على نفحات الانس - ترجمة علي بن سهل الإصبهاني.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٨١

ويروى أن حكيمة بنت أبي جعفر محمد الجواد رضى الله عنه عمّة أبي محمد الحسن العسكري رضى الله عنه كانت تحبّه وتدعو له وتتضرّع أن ترى له ولداً، وكان أبو محمد الحسن العسكري اصطفى جارية يقال لها نرجس، فلما كان ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، دخلت حكيمة فدعت لأبي محمد الحسن العسكري، فقال لها: يا عمّة! كوني الليلة عندنا لأمر، فأقامت كما رسم، فلما كان وقت الفجر اضطربت نرجس، فقامت إليها حكيمة، فلما رأت المولود أتت به بأبامحمد الحسن العسكري رضى الله عنه وهو مختون مفروغ منه، فأخذه وأمّر يده على ظهره وعينيه وأدخل لسانه في فمه وأذن في اذنه اليمنى وأقام في الاخرى، ثم قال: يا عمّة! اذهبي به إلى امه، فذهبت به وردّته إلى امه.

قالت حكيمة: فجئت إلى أبي محمد الحسن العسكري رضى الله عنه، فإذا المولود بين يديه في ثياب صفر وعليه من البهاء والنور ما أخذ بمجامع قلبي، فقلت: سيدي! هل عندك من علم في هذا المولود المبارك فتلقيه إلي؟ فقال: أي عمّة! هذا المنتظر، هذا الذي بُشّرنا به. فقالت حكيمة: فخررت لله تعالى ساجدة شكراً على ذلك. قالت: ثم كنت أتردد إلى أبي محمد الحسن العسكري رضى الله عنه، فلما لم أراه فقلت له يوماً: يا مولاي! ما فعلت سيدنا ومنتظرنا؟ قال: استودعناه الذي استودعته أم موسى ابنها «١».

(١) انظر: ينابيع المودة ٣: ١٧١ عن كتاب فصل الخطاب.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٨٢

ترجمة خواجه پارسا ... ص: ١٨٢

هو: الحافظ محمد بن محمد بن محمود البخارى المعروف بخواجه پارسا، المتوفى سنة ٨٢٢: قال الكفوى فى كتابه فى تراجم فقهاء الحنفية: «محمد بن محمد بن محمود الحافظى البخارى المعروف بخواجه محمد پارسا، أعز خلفاء الشيخ الكبير خواجه بهاء الدين نقشبند... ولد سنة ٧٥٦، وقرأ العلوم على علماء عصره، وكان قد بهر على أقرانه فى دهره، وحصل الفروع والاصول، وبرع فى المعقول والمنقول وكان شاباً.

أخذ الفقه عن قدوة وبقية أعلام الهدى الشيخ الإمام العارف الولي أبى الطاهر محمد بن الحسن بن على الطاهر... وأخذ الفروع والاصول عن المولى العالم الكامل إلیاس بن يحيى بن حمزة الرومى... وقال صاحب حبيب السير: «كان من أولاد عبد الله بن جعفر الطيار، توجه فى المحرم سنة ٨٢٢ لأداء فريضة الحج وزيارة قبر خير الأنام عليه الصلاة والسلام...

وبعد أن وصل إلى مكة وفرغ من المناسك، مرض مرضاً شديداً...

فتوجه إلى المدينة المنورة ودخلها فى يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شهر ذى الحجة، وتوفى فى يوم الخميس، فصلّى عليه مولانا شمس الدين الفنارى ودفن بجوار العباس عليه السلام.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٨٣

الشيخ عبدالرحمن الجامى ... ص: ١٨٣

والشيخ عبدالرحمن بن أحمد الجامي في كتابه (شواهد النبوة):

ذكر المهدي خلف الإمام الحسن العسكري عليه السلام، بعنوان الإمام الثاني عشر، فأورد جملةً من غرائب حالاته عند ولادته، من قبيل عدم ظهور آثار الحمل على والدته الكريمة، وأنه عندما ولد خرَّ ساجداً لله عزَّوجلَّ، وقرأ قوله تعالى: «ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين» في حال السجدة ... إلى غير ذلك.

وقد نصَّ الشيخ الجامي على أنه هو الإمام والخليفة بعد والده الإمام الحسن العسكري، وذكر أن خليفة الوقت قد أرسل رجالاً إلى بيت الإمام للقبض عليه، وقد أمرهم بقتل كلِّ من يجدونه هناك، وأنه قد ظهرت المعجزة من الإمام صاحب الزمان في غرق اثنين منهم، وقد رأوه عليه السلام واقفاً على الماء يصلِّي لله عزَّوجلَّ.

وبعد هذا كله، حكى خبر حكيمة عمَّة الإمام عليه السلام، وما رأته من الكرامات قبل ولادته وبعدها بالتفصيل ...

ثم أورد النصوص على إمامته عن والده الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

ترجمة الجامي ... ص: ١٨٣

هو: عبدالرحمن بن أحمد الجامي المتوفى سنة ٨٩٨، ترجم له ابن العماد في شذراته ٨ / ٣٦٠ والشوكاني في البدر الطالع ١ / ٣٢٧ واللكهنوي في

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٨٤

الفوائد البهية في طبقات الحنفية: ٨٦. قال ابن العماد:

«وفيهما: الإمام العارف بالله تعالى عبدالرحمن بن أحمد الجامي، ولد ب (جام) من قصبات خراسان، واشتغل بالعلوم العقلية والشرعية فأقننها، ثم صحب مشايخ الصوفية وتلقى الذكر من الشيخ سعد الدين كاشغري، وصحب خواجه عبيدالله السمرقندي وانتسب إليه أتم الانتساب ... وكان مشتهراً بالفضائل، وبلغ صيت فضله الآفاق وسارت بعلمه الركبان ...

وكان رحمه الله تعالى اعجوبة دهره علماً وعملاً وأدباً وشعراً.

وله مؤلفات جمَّة ... وله كتاب شواهد النبوة - بالفارسية - وكتاب:

نفحات الانس، بالفارسية أيضاً، وكتاب سلسلة الذهب، حطَّ فيه على الرافضة ... وكلَّ تصانيفه مقبولة ...»

الشيخ عبدالحق الدهلوي ... ص: ١٨٤

إشارة

وكذلك ذكر الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي، في رسالته في (مناقب الأئمة الأطهار) حيث ذكره بعنوان الإمام الثاني عشر، وأنه معروف عند خواص أصحابه وثقات أهله.

ثم أورد خبر ولادته عن السيدة حكيمة عمته ...

ترجمة عبدالحق الدهلوي ... ص: ١٨٤

هو: الشيخ أبو المجد عبدالحق بن سيف الدين الدهلوي، المتوفى سنة ١٠٥٢:

قال الصديق حسن خان بترجمته من كتاب (أبجد العلوم): «هو المتصلع

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٨٥

في الكمال الصوري والمعنوي، رزق من الشهرة قسطاً جزيلاً، وأثبت المؤرخون ذكره إجمالاً وتفصيلاً، حفظ القرآن، وجلس على مسند الإفادة وهو ابن ٢٢ سنة، ورحل إلى الحرمين الشريفين وصحب الشيخ عبدالوهاب المتقى خليفة الشيخ علي المتقى، واكتسب علم الحديث، وعاد إلى الوطن واستقر به ٥٢ سنة بجمعيّة الظاهر والباطن، ونشر العلوم، وترجم كتاب المشكاة بالفارسي وكتب شرحاً على سفر السعادة، وبلغت تصانيفه مائة مجلد.

ولد في محرّم سنة ٩٥٨ وتوفّي سنة ١٠٥٢.

وأخذ الخرقة القادرية من الشيخ موسى القادري من نسل الشيخ عبدالقادر الجيلاني.

وكان له اليد الطولي في الفقه الحنفي.

السيد جمال الدين المحدث ... ص: ١٨٥

إشارة

وقال السيد جمال الدين المحدث الشيرازي في كتاب (روضه الأحاب):

«الكلام في بيان الإمام الثاني عشر المؤمن محمّد بن الحسن» ... فذكر ولادته واسم والدته وأسمائه وألقابه، فاسمه إسم جدّه رسول الله وكنيته كنيته، وألقابه: المهدي المنتظر، والخلف الصالح، وصاحب الزمان.

قال: «وكان عمره عند وفاة والده- في أحد القولين وهو الأقرب- خمس سنوات، وعلى القول الآخر سنتين، وقد آتاه الله الحكمة في حال الطفولة كيحيى وزكريا، وبلغ مرتبة الإمامة في حال الصبا».

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٨٦

قال: «وقد غاب عن الأنظار، في زمن المعتمد، سنة خمس وستين أو ست وستين ومائتين، على اختلاف القولين، في سرداب في سرّ من رأى».

أقول:

وبهذه التصريحات يسقط قول المنكر أو المشكك في ولادة الإمام المهدي وأنه الإمام الثاني عشر من الأئمة الاثني عشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم أورد طائفة من الأحاديث الواردة في المهدي، وجعل الإمام عليه السلام هو المصدق لتلك الأحاديث ... كالحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري في نزول قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» قال سألته: قد عرفنا الله والرسول، فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟

فقال صلى الله عليه وسلم:

هم خلفائي من بعدي أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمّد بن علي المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر، فإذا لقيتاه فاقراه مني السلام.

ثم الصادق ثم جعفر بن محمّد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمّد بن علي بن علي بن محمّد ثم الحسن بن علي ثم حجّة الله في أرضه وبقية في عباده محمّد بن الحسن بن علي.

ذلك الذي يفتح الله عزّ وجلّ على يديه مشارق الأرض ومغاربها.

وذلك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يبيت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٨٧

فقال: إي والذي بعثني بالنبوة، إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن علاها سحاب». ثم ذكر عقيدته في الإمام المهدي بكل صراحة، فنص على ما تقول به الطائفة الإمامية بلا فرق. ثم إنه جعل يدعو الله عز وجل في أن يعجل الفرج للإمام ويظهره لسط العدل وتطبيق أحكام الإسلام.

ترجمة جمال المحدث الشيرازي ... ص: ١٨٧

هو: السيد جمال الدين عطاء الله ابن السيد غياث الدين فضل الله ابن السيد عبدالرحمن المعروف بالمحدث الشيرازي، المتوفى سنة ٩٢٦ كما في معجم المؤلفين ٦/ ٢٨٥، قال: «عطاء الله بن محمود بن فضل الله بن عبدالرحمن الشيرازي، الحسيني، الدشتكي، نزيل هراة، جمال الدين. فاضل. من آثاره: تكميل الصناعة في القوافي».

وفي كشف الظنون ١/ ٩٢٢: «روضة الأحياب في سير النبي والآل والأصحاب، فارسي، لجمال الدين عطاء الله بن فضل الله الشيرازي النيسابوري المتوفى سنة ١٠٠٠-٩٢٦، ألفه في مجلدين بالتماس الوزير أمير علي شير بعد الإستشارة مع استاذه وابن عمه السيد أصيل الدين عبدالله»....

الشيخ أبو عبدالله الكنجي ... ص: ١٨٧

إشارة

وقال الشيخ أبو عبدالله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في كتاب (البيان في أخبار صاحب الزمان):

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٨٨

«من الدلالة على كون المهدي باقياً منذ غيبته إلى الآن: أنه لا امتناع في بقاءه كبقاء عيسى بن مريم والخضر وإلياس من أولياء الله، وبقاء الأعرور الدجال وإبليس اللعين من أعداء الله، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة» (١).

ترجمة الكنجي الشافعي ... ص: ١٨٨

هو: أبو عبدالله محمد بن يوسف القرشي الكنجي الشافعي المقتول سنة ٦٥٨، بسبب روايته أخبار مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وسط جامع دمشق، وكان حافظاً للحديث، راويةً للأخبار، مطلعاً في العلوم، وقد اعترف بمقامه العلمي مترجموه ذاكرين السبب في مقتله متبجحين بذلك، انظر حوادث السنة المذكورة من تاريخ ابن كثير والنجوم الزاهرة وغيرهما من المصادر.

سبط ابن الجوزي ... ص: ١٨٨

إشارة

وقال الحافظ سبط ابن الجوزي الحنفي في كتاب (تذكرة خواص الائمة):

«هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكنته أبو عبدالله وأبو القاسم، وهو الخلف الحجة صاحب الزمان القائم والمنتظر الباقي، وهو آخر الأئمة» (٢)....

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان ط مع كفاية الطالب: ٥٢١. مع اختلاف.

(٢) تذكرة خواص الامة في معرفة الأئمة: ٣٢٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٨٩

ترجمة سبط ابن الجوزي ... ص: ١٨٩

هو: شمس الدين يوسف سبط أبي الفرج ابن الجوزي، توفي سنة ٦٥٤ أو ٦٥٦، وصفوه بالإمام، الحافظ، الواعظ، المؤرخ، الفقيه، الحنفي، كما في جامع مسانيد أبي حنيفة ٧٠ / ١، وفيات الأعيان ٣ / ١٤٢، العبر ومرآة الجنان وتاريخ أبي الفداء وغيرها في حوادث سنة ٦٥٤.

ابن الصبّاح المالكي ... ص: ١٨٩

إشارة

وقال نور الدين علي بن محمد المعروف بابن الصبّاح المالكي في كتاب (الفصول المهمة):

«الفصل الثاني عشر: في ذكر أبي القاسم محمد الحجة الخلف الصالح ابن أبي محمد الحسن الخالص - وهو الإمام الثاني عشر - وتاريخ ولادته، ودلائل إمامته، وذكر طرف من أخباره وغيبته، ومدّة قيام دولته، وذكر نسبه وكنيته ولقبه وغير ذلك» (١).

ثم قال بعد كلام له:

«وروى ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت يرفعه بسنده إلى عليّ ابن موسى الرضا عليه السلام أنّه قال: الخلف الصالح من ولد أبي محمد الحسن بن علي، وهو صاحب الزمان والقائم المهدي.

وأما النصّ على إمامته من جهة أبيه، فروى محمد بن عليّ بن بلال قال:

خرج إليّ أمر أبي محمد الحسن بن عليّ العسكري قبل مضيه بستين،

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢٩١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٩٠

يخبرني بالخلف من بعده، ثم خرج إليّ قبل مضيه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف بأنّه ابنه من بعده.

وعن أبي هاشم الجعفرى قال: قلت لأبي محمد الحسن بن علي:

جلالتك تمنعني من مسألتك، أفتأذن لي أن أسألك؟ فقال: سل. فقلت: يا سيدي! هل لك ولد؟ قال: نعم. قلت: فإن حدث حادث فأين أسأل عنه؟

قال: بالمدينة.

ولد أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن الخالص بسرّ من رأى، ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة» (١).

قال:

«وهذا طرف يسير ممّا جاء من النصوص الدالّة على الإمام الثاني عشر عن الأئمة الثقات، والروايات في ذلك كثيرة، والأخبار شهيرة، أضربنا عن ذكرها، وقد دونها أصحاب الحديث في كتبهم واعتنوا بجمعها» (٢).

ثم أورد نصوصاً كثيرة من الأحاديث فقال:

«قال الشيخ أبو سعيد محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي في كتابه البيان في أخبار صاحب الزمان: من الدلالة على كون المهدي حياً باقياً منذ غيبته إلى الآن أنه لا امتناع في بقاءه كبقاء عيسى» «... ٣».

ثم قال في آخر المبحث:

«قال بعض علماء أهل الأثر: المهدي هو القائم المنتظر، وقد تعاضدت

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢٩٢.

(٢) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢٩٣.

(٣) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢٩٩.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٩١

الأخبار على ظهوره وتظاهرت الروايات على إشراق نوره، وسيستسفر ظلمة الأيام والليالي بسفوره، وتنجلي برؤيته الظلم انجلاء الصباح عن ديجوره، ويخرج من أسرار الغيبة فيملاً القلوب بسوره» «... ١».

وقال بترجمة الإمام العسكري عليه السلام:

«وخلف أبو محمد الحسن رضى الله عنه من الولد: ابنه الحجّة القائم المنتظر لدولة الحق، وكان قد اخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت وخوف السلطان وتطلبه للشيعة وحبسهم والقبض عليهم» «٢».

ترجمة ابن الصباغ المالكي ... ص: ١٩١

هو: الشيخ على بن محمد المالكي المكي المتوفى سنة ٨٥٥، ترجم له الحافظ السخاوي في الضوء اللامع ٥/ ٢٨٣ وذكر له كتاب (الفصول المهمة لمعرفة الأئمة). وترجم له في معجم المؤلفين ٧/ ١٧٨ قال: فقيه مالكي، وذكر له الكتاب.

الشيخ كمال الدين ابن طلحة الشافعي ... ص: ١٩١

إشارة

وقال الشيخ كمال الدين ابن طلحة الشافعي في كتاب (مطالب السؤل):

«الباب الثاني عشر، في أبي القاسم محمد الحجّة ابن الحسن الخالص ابن علي المتوكل ابن محمد القانع ابن علي الرضا عليهم السلام

...

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٣٠٣.

(٢) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٣٩٠.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ١٩٢

فهذا الخلف الحجّة قد أيده الله هداه منهج الحق وآتاه سجاياه

وأعلى في ذرى العليا بالتأييد مرقاه وآتاه حلى فضل عظيم فتحلّاه

وقد قال رسول الله قولاً قد روينا وذو العلم بما قال إذا أدرك معناه

يرى الآثار في المهدي جئت مسماه وقد أبداه بالنسبة والوصف وسماه

ويكفي قوله منى لإشراق محياه ومن بضعته الزهراء مرساه ومسراه

ولن يبلغ ما اوتيه أمثال وأشباه فإن قالوا هو المهدي فما مانوا ولا فاهوا

قد أرتع من النبوة في أكناف عناصرها، ورضع من الرسالة أخلاف أواصرها، ونزع من القرابة بسجال معاصرها، وبرع في صفات

الشرف فعقدت عليه بخصايرها، فاقتنى من الأنساب شرف نصابها، واعتلا عند الإنتساب على شرف أحسابها، واجتني جنا الهداية من

معادنها وأسبابها، فهو من ولد الطهر البتول المجزوم بكونها بضعه من الرسول، فالرسالة أصلها، وإنها لأشرف العناصر والاصول.

فأما مولده فبسر من رأى في ثالث وعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين للهجرة.

وأما نسبه أباً وأماً، فأبوه أبو محمد الحسن الخالص بن علي المتوكل بن

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٩٣

محمد القانع بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين بن الحسين الزكي بن علي

المرتضى أمير المؤمنين، وقد تقدم ذكر ذلك مفصلاً، وأمه أم ولد تسمى صقيل، وقيل حكيمه، وقيل غير ذلك.

وأما اسمه فمحمد، وكنيته أبو القاسم، ولقبه الحجّة، والخلف الصالح، وقيل: المنتظر.

وأما ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في المهدي عليه السلام من الأحاديث الصحيحة.

فمنها: ما نقله الإمامان أبو داود والترمذي رضي الله عنهما، كل واحد منهما بسنده في صحيحه يرفعه إلى أبي سعيد الخدري قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: المهدي منى أجلى الجبهة، وأقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً

وظلماً، ويملك سبع سنين.

ومنها: ما أخرجه أبو داود رحمه الله بسنده في صحيحه يرفعه إلى علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو لم يبق من الدهر

إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً.

ومنها: ما رواه أيضاً أبو داود رضي الله عنه في صحيحه يرفعه بسنده إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول: المهدي من عترتي من ولد فاطمة.

ومنها: ما رواه القاضي أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي رضي الله عنه في كتابه المسمى بشرح السنّة، وأخرجه الإمامان البخاري

ومسلم كل واحد منهما بسنده في صحيحه يرفعه إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٩٤

الله عليه وسلم: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم.

ومنها: ما أخرجه أبو داود والترمذي بسندهما في صحيحهما، يرفعه كل واحد منهما بسنده إلى عبد الله بن مسعود أنه قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً منى ومن أهل بيتي، يواطىء

اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وفي روايه اخرى: لا تنقضى الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي.

وفي روايه اخرى: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يلي رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي.

هذه الروايات عن أبي داود والترمذي.

ومنها: ما نقله الإمام أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي في تفسيره يرفعه بإسناده إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم:

نحن ولد عبدالمطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمزة وجعفر وعلي والحسن والحسين والمهدي.

قال المعترض: هذه الأحاديث النبوية الكثيرة بتعدادها المصرحة بجملتها وإفرادها، متفق على صحة إسناده ومجمع على نقلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيرادها، وهي صحيحة صريحة في إثبات كون المهدي من ولد فاطمة عليها السلام، وأنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه من عترته، وأنه من أهل بيته، وأن اسمه يواطىء اسمه، وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وأنه من ولد عبدالمطلب، وأنه من سادات الجنة، وذلك مما لا نزاع

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٩٥

فيه، غير أن ذلك لا يدل على أن المهدي الموصوف بما ذكره صلى الله عليه وسلم من الصفات والعلامات هو هذا أبو القاسم محمد بن الحسن الحجة الخلف الصالح؛ فإن ولد فاطمة عليها السلام كثيرون، وكل من يولد من ذريتها إلى يوم القيامة يصدق عليه أنه من ولد فاطمة وأنه من العتره الطاهرة وأنه من أهل البيت عليهم السلام، فتحتاجون مع هذه الأحاديث المذكورة إلى زيادة دليل على أن المهدي المراد هو الحجة المذكور، ليتيم مرامكم.

فجوابه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وصف المهدي عليه السلام بصفات متعددة، من ذكر اسمه ونسبه ومرجه إلى فاطمة عليها السلام وإلى عبدالمطلب، وأنه أجلى الجبهة أفتى الأنف، وعدد الأوصاف الكثيرة التي جمعتها الأحاديث الصريحة المذكورة آنفاً، وجعلها علامة ودلالة على أن الشخص الذي يسمى بالمهدي ويثبت له الأحكام المذكورة هو الشخص الذي اجتمعت تلك الصفات فيه، ثم وجدنا تلك الصفات المجعولة علامة ودلالة مجتمعة في أبي القاسم محمد الخلف الصالح دون غيره، فيلزم القول بثبوت تلك الأحكام له وأنه صاحبها، وإلا فلو جاز وجود ما هو علامة ودليل ولا يثبت ما هو مدلوله، قدح ذلك في نصبها علامة ودلالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك ممتنع.

فإن قال المعترض: لا يتم العمل بالعلامة والدلالة إلا بعد العلم باختصاص من وجدت فيه بها دون غيره وتعيينه لها، فأما إذا لم يعلم تخصيصه وانفراده بها فلا يحكم له بالدلالة، ونحن نسلم أن من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ولادة الخلف الصالح الحجة محمد عليه السلام، ما وجد من ولد فاطمة عليها السلام شخص جمع تلك الصفات التي هي العلامة والدلالة،

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٩٦

غيره، لكن وقت بعثه المهدي وظهوره وولايته هو في آخر أوقات الدنيا، عند ظهور الدجال ونزول عيسى بن مريم، وذلك سيأتي بعد مدة مديدة، ومن الآن إلى ذلك الوقت المتراخي الممتد أزمان متجددة، وفي العتره الطاهرة من سلالة فاطمة عليها السلام كثرة يتعاقبون ويتوالدون إلى ذلك الآن، فيجوز أن يولد من السلسلة الطاهرة والعتره النبوية من يجمع تلك الصفات فيكون هو المهدي المشار إليه في الأحاديث المذكورة، ومع هذا الإحتمال والإمكان كيف يبقى دليلكم مختصاً بالحجة المذكور؟

فالجواب: إنكم إذا عرفتم أنه إلى وقت ولادة الخلف الصالح وإلى زماننا، لم يوجد من جمع تلك الصفات والعلامات بأسرها سواه، فيكفي ذلك في ثبوت تلك الأحكام له عملاً بالدلالة الموجودة في حقه، وما ذكرتموه من احتمال أن يتجدد مستقبلاً في العتره الطاهرة من أن يكون بتلك الصفات، لا يكون قادراً في أعمال الدلالة وما مانعاً من ترتيب حكمها عليها؛ فإن دلالة الدليل راجحة لظهورها، واحتمال تجدد ما يعارضها مرجوح، ولا يجوز ترك الراجح بالمرجوح؛ فإنه لو جوزنا ذلك لامتنع العمل بأكثر الأدلة المثبتة للأحكام، إذ ما من دليل إلا واحتمال تجدد ما يعارضه متطرق إليه، ولم يمنع ذلك من العمل به وفاقاً.

والذي يوضح ذلك ويؤكد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أورد به الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه يرفعه بسنده قال لعمر بن الخطاب: يأتي عليك مع إمداد أهل اليمن أويس بن عامر من مراد ثم قرن، كان به برص فبرأ منه إلى موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل، فالتبى صلى الله عليه وسلم ذكر

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ١٩٧

اسمه ونسبه وصفته، وجعل ذلك علامة ودلالة على أن المسمى بذلك الاسم المتصف بتلك الصفات لو أقسم على الله لأبره، وأنه

أهل لطلب الإستغفار منه، وهذه منزلة عالية ومقام عند الله تعالى عظيم.

فلم يزل عمر رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاة أبى بكر رضى الله عنه يسأل إمداد اليمن من الموصوف بذلك حتى قدم وفد من اليمن، فسألهم، فأخبر بشخص متّصف بذلك، فلم يتوقف عمر رضى الله عنه فى العمل بتلك العلامة والدلالة التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل بادر إلى العمل بها واجتمع به وسأله الإستغفار وجزم أنه المشار إليه فى الحديث النبوى لما علم تلك الصفات فيه، مع وجود احتمال أن يتجدد فى وفود اليمن مستقبلاً من يكون بتلك الصفات، فإن قبيلة مراد كثيرة والتوالد فيها كثير، وعين ما ذكرتموه من الإحتمال موجود.

وكذلك قضية الخوارج لما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفات ورّتب عليها حكمهم، ثم بعد ذلك لما وجدها على رضى الله عنه موجودة فى أولئك فى واقعة حرورا والنهروان، جزم بأنهم هم المرادون بالحديث النبوى وقتلهم وقتلهم، فعمل بالدلالة عند وجود الصيغة مع احتمال أن يكون المرادون غيرهم، وأمثال هذه الدلالة والعمل بها مع قيام الإحتمال كثيرة، فعلم أن الدلالة الرّاجحة لا تترك لاحتمال المرجوح.

ونزيده بياناً وتقريباً فنقول: لزوم ثبوت الحكم عند وجود العلامة والدلالة لمن وجدت فيه، أمر يتعين العمل به والمصير إليه، فمن تركه وقال بأن صاحب الصفات المراد بإثبات الحكم له ليس هو هذا بل شخص غيره سيأتى، فقد عدل عن النهج القويم ووقف نفسه موقف اللّثيم.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج 1، ص: 198

ويدل على ذلك: أن الله عزّ وعلا لما أنزل فى التوراه على موسى أنه يبعث النبى العربى فى آخر الزمان خاتم الأنبياء، ونعته بأوصافه وجعلها علامة ودلالة على إثبات حكم النبوة له، وصار قوم موسى عليه السلام يذكرونه بصفاته ويعلمون أنه يبعث، فلما قرب زمان ظهوره وبعثه صاروا يهددون المشركين به ويقولون: سيظهر الآن نبى نعته كذا وصفته كذا ونستعين به على قتالكم، فلما بعث صلى الله عليه وسلم ووجدوا العلامات والصفّات بأسرها التى جعلت دلالة على نبوته أنكروه وقالوا: ليس هو هذا بل هو غيره وسيأتى، فلما جنحوا إلى الاحتمال وأعرضوا عن العمل بالدلالة الموجودة فى الحال، أنكر الله تعالى عليهم كونهم تركوا العمل بالدلالة التى ذكرها لهم فى التوراه، وجنحوا إلى الإحتمال، وهذه القصة من أكبر الأدلة وأقوى الحجج على أنه يتعين العمل بالدلالة بعد وجودها، وإثبات الحكم لمن وجدت تلك الدلالة فيه.

فإذا كانت الصفات التى هى علامة ودلالة لثبوت الأحكام المذكورة موجودة فى الحجّة الخلف الصالح محمّد، تعين إثبات كونه المهدي المشار إليه من غير جنوح إلى احتمال تجدد غيره فى الإستقبال.

فإن قال المعترض: نسلم أن الصفات المجعولة علامة ودلالة إذا وجدت تعين العمل بها ولزوم إثبات مدلولها لمن وجدت فيه، لكن نمنع وجود تلك العلامة والدلالة فى الخلف الصالح محمّد، فإن من جملة الصفات المجعولة علامة ودلالة: أن يكون اسم أبيه مواطناً لاسم أب النبي صلى الله عليه وسلم، هكذا صرح به الحديث النبوى على ما أوردتموه، وهذه الصفة لم توجد فيه، فإن اسم أبيه الحسن واسم أب النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله، وأين

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج 1، ص: 199

الحسن من عبدالله؟ فلم توجد هذه الصفة التى هى جزء من العلامة والدلالة، وإذا لم يوجد جزء العلة لا يثبت حكمها؛ فإن الصفات الباقية لا تكفى فى إثبات تلك الأحكام، إذ النبى صلى الله عليه وسلم لم يجعل تلك الأحكام ثابتة إلا لمن اجتمعت تلك الصفات فيه كلّها التى جزءها مواطاة اسمى الأبوين فى حقّه، وهذه لم تجتمع فى الحجّة الخلف، فلا يثبت تلك الأحكام له، وهذا إشكال قوى. فالجواب: لا بدّ قبل الشروع فى تفصيل الجواب، من بيان أمرين يبنى عليهما الغرض:

الأول: إنّه شائع فى لسان العرب إطلاق لفظه الأب على الجد الأعلى، وقد نطق القرآن الكريم بذلك فقال تعالى: «مَلَأْ أَيْكُمُ إِبْرَاهِيمَ»

وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: «وَاتَّبَعَتْ مَلَّةُ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ» ونطق بذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الإسراء إنَّه قال:

قلت: من هذا؟ قال: أبوك إبراهيم؛ فعلم أن لفظة الأب تطلق على الجدِّ وإن علا؛ فهذا أحد الأمرين.

الثاني: إن لفظة الإسم تطلق على الكنية وعلى الصفة، وقد استعملها الفصحاء ودارت بها ألسنتهم ووردت في الأحاديث، حتى ذكر الإمامان البخاري ومسلم رضي الله عنهما، كل منهما يرفعه إلى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال عن علي رضي الله عنه: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمَّاه بأبي تراب ولم يكن له اسم أحب إليه منه، فأطلق لفظة الإسم على الكنية، ومثل ذلك قول الشاعر:

إنِّي اجلّ قدرك أن اسمي مؤنته ومن كناك فقد سماك للعرب

ويروى: ومن يصفك، فأطلق التسمية على الكناية أو الصفة، وهذا شائع ذائع في لسان العرب.

فإذا وضع ما ذكرناه من الأمرين، فاعلم أيديك الله بتوفيقه: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان له سبطان: أبو محمّد الحسن وأبو عبد الله الحسين، ولما كان الحجّة الخلف الصالح محمّد عليه السلام ومن ولد أبي عبد الله الحسين ولم يكن من ولد أبي محمّد الحسن، وكانت كنية الحسين أبا عبد الله، فأطلق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الكنية لفظ الإسم لأجل المقابلة بالإسم في حق أبيه، وأطلق على الجدّ لفظة الأب، فكانه قال: يواطىء اسمه اسمي فهو محمّد، وأنا محمّد، وكنية جدّه اسم أبي، إذ هو أبو عبد الله وأبي عبد الله، لتكون تلك الألفاظ المختصرة جامعة لتعريف صفاته وإعلام أنه من ولد أبي عبد الله الحسين بطريق جامع موجز، وحينئذٍ تنتظم الصفات وتوجد بأسرها مجتمعة للحجّة الخلف الصالح محمّد عليه السلام، وهذا بيان شاف كافٍ في إزالة ذلك الإشكال، فافهمه.

وأما ولده، فلم يكن له ولد ليذكر، لا انثى ولا ذكر.

وأما عمره، فإنه في أيام المعتمد على الله خاف فاخفتي وإلى الآن فلم يمكن ذكر ذلك، إذ من غاب وإن انقطع خبره لا توجب غيبته وانقطاع خبره الحكم بمقدار عمره ولا بانقضاء حياته، وقدرة الله تعالى واسعة وحكمه وألطفه بعباده عظيمة عامّة، ولو رام عظماء العلم أن يدرکوا حقائق مقدوراته وكنه قدرته لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، ولانقلب طرف تطلّعهم إليه حسيراً وحدّه كليلاً، ولتلا عليهم لسان عجزهم عن الإحاطة به «وما اوتيتم من العلم

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٠١

إلّا قليلاً» (١)، وليس بيدع ولا مستغرب تعمير بعض عباد الله المخلصين ولا امتداد عمره إلى حين، فقد مدّ الله سبحانه وتعالى أعمار جمع كثير من خلقه من أصفياه وأوليائه ومن مطروديه وأعدائه.

فمن الأصفياء عيسى عليه السلام، ومنهم الخضر عليه السلام، وخلق آخرون من الأنبياء عليهم السلام طالت أعمارهم حتى جاز كل واحد منهم ألف سنة أو قاربها كنوح عليه السلام وغيره.

وأما من الأعداء المطرودين فإبليس، وكذلك الدجال، ومن غيرهم كعاد الأولى كان فيهم من عمره ما يقارب الألف، وكذلك لقمان صاحب البلاء، وكل هذا لبيان اتساع القدرة الربانية في تعمير بعض خلقه، فأى مانع يمنع من امتداد عمر الخلف الصالح إلى أن يظهر فيعمل ما حكم الله تعالى له به.

وحيث وصل الكلام إلى هذا المقام وانتهى جريان القلم بما خطّه من هذه الأقسام الوسام، فلنختمه بالحمد لله رب العالمين، فإنها كلمة مباركة جعلها الله سبحانه وتعالى آخر دعوى أهل جنانه وخصّصها بمن اجتباه من خلقه وكساه ملابس رضوانه «٢».

هو: أبو سالم محمد بن طلحة بن محمد القرشي العدوي الشافعي

(١) سورة الإسراء ١٧: ٨٥.

(٢) مطالب السؤل في مناقب آل الرسول: ٣١١ - ٣٢٠.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٠٢

المتوفى سنة ٦٥٢هـ، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٩٣ ووصفه بالعلامة الأوحده، برع في المذهب واصوله وشارك في فنون، ولكنه دخل في هذيان علم الحروف، وتزهد، وقد ترسل عن الملوك، وولى وزارة دمشق يومين وتركها، وكان ذا جلاله وحشمة... وتوجد ترجمته كذلك في كثير من كتب التاريخ والرجال، كالبداية والنهاية، والعبر، والنجوم الزاهرة، وشذرات الذهب، في وقائع السنة المذكورة. وفي طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٦٣ الترجمة رقم ١٠٧٦ والوفى بالوفيات ٣/ ١٧٦.

الشيخ ولي الله الدهلوي ... ص: ٢٠٢

إشارة

وقال شاه ولي الله الدهلوي - وهو والد الشيخ عبدالعزيز الدهلوي، صاحب التحفة الاثني عشرية - في (مسلسلاته) الموسومة ب (الفضل المبين):

«قلت: شافهني ابن عقله بإجازة جميع ما يجوز له روايته، ووجدت في مسلسلاته حديثاً مسلسلاً بانفراد كل راو من رواته بصفه عظيمه تفرّد بها، قال رحمه الله: أخبرني فريد عصره الشيخ حسن بن علي العجيمي، أنا حافظ عصره جمال الدين البابلي، أنا مسند وقته محمد الحجازي الواعظ، أنا صوفي زمانه الشيخ عبد الوهاب الشعراوي، أنا مجتهد عصره الجلال السيوطي، أنا حافظ عصره أبو نعيم رضوان العقبي، أنا مقرئ زمانه الشمس محمد ابن الجوزي، أنا الإمام جمال الدين محمد بن محمد الجمال زاهد عصره، أنا الإمام محمد بن مسعود محدث بلاد فارس في زمانه، أنا شيخنا إسماعيل بن مظفر الشيرازي عالم وقته، أنا عبدالسلام بن أبي الربيع الحنفي محدث زمانه، أنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن شابور القلانسي شيخ عصره، أنا عبدالعزيز، ثنا محمد الآدمي إمام أوانه، أنا سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان نادرة عصره، ثنا أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري حافظ زمانه، ثنا محمد بن

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٠٣

الحسن بن علي المحجوب إمام عصره، ثنا الحسن بن علي، عن أبيه، عن جدّه، عن أبي جدّه علي بن موسى الرضا، ثنا موسى الكاظم قال: ثنا أبي جعفر الصادق، ثنا أبي محمد الباقر بن علي، ثنا أبي علي بن الحسين زين العابدين السجّاد، ثنا أبي الحسين سيد الشهداء، ثنا أبي علي بن أبي طالب سيد الأولياء قال: أخبرنا سيد الأنبياء محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلّم قال: أخبرني جبرئيل سيد الملائكة قال: قال الله تعالى سيد السادات: إني أنا الله لا إله إلا أنا، من أقر لي بالتوحيد دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي.

قال الشمس ابن الجزري: كذا وقع هذا الحديث من المسلسلات السعيدة والعهد في علي البلاذري».

ترجمه ولي الله الدهلوي ... ص: ٢٠٣

هو: ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي المتوفى سنة ١١٨٠، قال في معجم المؤلفين ٤/ ٢٩٢: فقيه، اصولي، محدث، مفسر.

مع الأعرور الواسطى ... ص: ٢٠٣

وبما ذكرنا يظهر عداء الأعرور الواسطى لأهل البيت عليهم السلام، فإنه مضافاً إلى إنكاره وجود الإمام المهدي بن الحسن العسكري وإمامته، يرُدُّ على تسميته بصاحب الزمان ويجعلها من الفسوق، حيث يقول في (رسالته):

«أكبر الفسوق تسمية هذا المفقود بصاحب الزمان، ولا صاحب للزمان غير الله تعالى، ما أجرأهم على الله!!»

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٠٤

مع ابن حجر المكي ... ص: ٢٠٤

وابن حجر المكي أيضاً عاند الحق وتكلم في أهله حيث قال في (الصواعق):

«ثم المقر في الشريعة المطهرة أن الصغير لا- تصح ولا-يته، فكيف ساع لهؤلاء الحمقى المغفلين أن يزعموا إمامة من عمره خمس سنين، وأنه أوتي الحكم صبياً، مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يخبر به، ما ذلك إلامجازفة وجرأه على الشريعة العراء.

قال بعض أهل البيت: وليت شعري من المخبر لهم بهذا؟ وما طريقه؟

ولقد صاروا بذلك وبوقوفهم بالخيل على ذلك السرداب وصياحهم بأن يخرج إليهم ضحكته لأولى الألباب.

ولقد أحسن القائل:

ما آن للسرداب أن يلد الذي كَلَّمتموه بجهلكم ما آنا

فعلى عقولكم العفا فإنكم تلتثم العنقاء والغيلانا»

وقد قال ابن حجر بترجمة الإمام الحسن العسكري:

«ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة، ويسمى القائم المنتظر، قيل: لأنه ستر بالمدينة وغاب فلم يعلم أين ذهب» «... ١».

أقول:

لقد أرسل بعض الناصبة من أهل بغداد هذا الشعر إلى النجف الأشرف،

(١) الصواعق المحرقة ٢/ ٤٨٣.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٠٥

فانبرى للجواب عنه الشيخ ميرزا حسين النورى الطبرسى بكتاب (كشف الأستار عن الإمام الغائب عن الأبصار) ثم نظم غير واحد من العلماء الأعلام مطالب هذا الكتاب فى أشعار لهم جواباً عن الشعر المذكور، منهم: الشيخ محمدجواد البلاغى، والسيد محسن الأمين العاملى، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء...

ثم إن العلماء الذين ذكرهم السيد هم عدده من وقف على كتبهم، ولكن من يقول بمقالة الشيعة الإمامية فى موضوع الإمام الثانى عشر من أكابر أهل السنة فى مختلف العلوم والفنون كثيرون، ومنهم الذين أضافهم حفيد السيد فى كتابه (الإمام الثانى عشر) وهم:

١- الشيخ محى الدين ابن عربى، المتوفى سنة ٦٣٨.

٢- رشيدالدين الدهلوى الهندى، المتوفى سنة ١٢٤٣.

٣- صلاح الدين الصفدى، المتوفى سنة ٧٦٤.

٤- الشيخ العطار النيسابورى، المتوفى سنة ٦١٨.

٥- الشيخ صدرالدين أبو المجامع الحموينى، المتوفى سنة ٧٢٣.

- ثم إننا قد استدر كنا عليه في طبعته النجفية عام ١٣٩٣ بأعلام آخرين من أهل السنة في مختلف القرون، وهم:
- ١- الحافظ أحمد بن محمد البلاذري البغدادي، المتوفى سنة ٢٧٩.
 - ٢- الحافظ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى سنة ٥١٦.
 - ٣- الحافظ شمس الدين ابن الجزري، المتوفى سنة ٨٣٣.
 - ٤- الحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.
 - ٥- أبو عبد الله ابن الخشاب، المتوفى سنة ٥٦٧.
 - ٦- المؤرخ ابن الأزرقي، المتوفى سنة ٥٩٠.
 - استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٠٦.
 - ٧- المؤرخ ابن خلكان، المتوفى سنة ٦٨١.
 - ٨- المؤرخ الشيخ ابن الوردي، المتوفى سنة ٧٤٩.
 - ٩- الحافظ أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨.
 - ١٠- الحافظ أبو الفتح ابن أبي الفوارس، المتوفى سنة ٤١٢.
 - ١١- الشيخ علي القاري الهروي ١٠١٤.
 - ١٢- الحسين بن معين الدين المييدي، شارح ديوان الإمام علي، المتوفى سنة ٨٧٠.
 - ١٣- الشيخ عبد الله المطيري صاحب كتاب (الرياض الزاهرة).
 - ١٤- الشيخ سعد الدين الحموي ٦٥٠.
 - ١٥- جلال الدين محمد الرومي العارف المشهور بالمولوي ٦٢٨.
 - ١٦- شمس الدين التبريزي المتوفى في منتصف القرن السابع الهجري.
 - ١٧- الشيخ عبدالرحمن البسطامي ٨٥٨.
 - ١٨- السيد النسيمي ٩٠١.
 - ١٩- الشيخ صدر الدين القونوي ٦٧٢.
 - ٢٠- الشيخ حسن العراقي أوائل القرن الحادي عشر.
 - ٢١- الشيخ علي الخواص.
 - ٢٢- السيد مؤمن بن حسن الشبلنجي ١٢٩٠.
 - ٢٣- الشيخ حسن العدوي الحمزاوي صاحب (مشارك الأنوار) المتوفى سنة ١٣٠٣.
 - ٢٤- المولى محمد الشهير بابن بدر الدين الرومي شيخ الحرم المدني، المتوفى سنة ١٠٠١.
 - ٢٥- الشيخ سليمان بن أحمد القندوزي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٩٤.
 - استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٠٧.

التجسيم والمجسمة ... ص: ٢٠٧

إشارة

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٠٩

قد ينسب في بعض الكتب إلى الفرقة المحقة القول بالتجسيم، وإلى خصوص هشام بن الحكم، والقول بأنه سبعة أشبار بشبر نفسه... وهذا افتراء محض عليه وعلى الطائفة، وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

تبرئة الشهرستاني هشام بن الحكم ... ص: ٢٠٩

ولقد أحسن الشهرستاني، وهو من أعلام علماء أهل السنة، حيث ردّ على الكعبي نسبة القول بذلك إلى هشام، فقد جاء في (الملل والنحل) ما نصّه:

«حكى الكعبي عن هشام بن الحكم أنه قال: هو جسم ذو أبعاد، له قدر من الأقدار ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا تشبهه. ونقل عنه أنه قال: هو سبعة أشبار بشبر نفسه» (١).

ثم قال بعد كلام له:

«وهذا هشام بن الحكم صاحب غور في الأصول لا يجوز أن يغفل عن إزاماته على المعتزلة، فإنّ الرجل وراء ما يلزمه على الخصم ودون ما يظهره من التشبيه، وذلك أنه أزم العلاف فقال: إنك تقول إنّ الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته، فيشارك المحدثات في أنّه عالم بعلم ويباينها في أنّه علمه ذاته، فيكون عالماً لا كالعالمين، فلم لا تقول هو جسم لا كأجسام، وصورة لا

(١) الملل والنحل ١: ١٨٤.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢١٠
كالصّور، وله قدر لا كأقدار، إلى غير ذلك» (١).

ترجمة الشهرستاني ... ص: ٢١٠

وأبو الفتح عبد الكريم الشهرستاني الفقيه، المتكلم، صاحب التصانيف، من أعلام العلماء المحققين عند القوم:
قال الياقعي في (مرآة الجنان):

«أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، المتكلم على مذهب الأشعري، كان إماماً مبرزاً فقيهاً متكلماً، تفقه على أبي نصر القشيري وأحمد الخوافي وغيرهما، وبرع في الفقه، وقرأ الكلام على أبي القاسم الأنصاري وتفرد فيه، وصنّف كتاباً منها: نهاية الإقدام في علم الكلام، وكتاب الملل والنحل، وتلخيص الأقسام لمذاهب الأنام، وكان كثير المحفوظ، حسن المحاوره» (٢).

وعلى الجملة، فإنّ نسبة هذا القول الباطل إلى الفرقة المحقة أو خصوص هشام باطله، والناسب كاذب ولا حاجة إلى إطالة الكلام في ذلك، وقد بحث عنه بالتفصيل في محلّه.

(١) الملل والنحل ١: ١٨٥.

(٢) مرآة الجنان ٣: ٢٢١-٢٢٢. السنة: ٥٤٨.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢١١

المجسمون من أهل السنة ... ص: ٢١١

ولكن العجب من هؤلاء، كيف يغفلون أو يتغافلون عن القائلين بهذه المقالة في صفوف علمائهم وهم كثيرون:

ابن تيمية وابن القيم ... ص: ٢١١

فابن تيمية، قد ثبت عنه القول بذلك:

قال ابن حجر المكي في (أشرف الوسائل في شرح الشمائل) في ذكر إرخاء العمامة على الكتفين:

«قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية إنه ذكر شيئاً بديعاً وهو: أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى ربّه واضعاً يده بين كتفيه أكرم ذلك الموضوع بالعذبة.»

قال العراقي: ولم نجد لذلك أصلاً، بل هذا من قبيل رأيهما وضلالهما، إذ هو مبنى على ما ذهب إليه وأطالاً في الاستدلال له والخطأ على أهل السنة في نفيهم له، وهو إثبات الجهة والجسمية لله، تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، ولهما في هذا المقام من القبائح وسوء الاعتقاد ما يصم عنه الآذان ويقضى عليه بالزور والكذب والضلال والبهتان، قبحهما الله وقبح من قال بقولهما، والإمام أحمد وأجلاء مذهبه مبرؤون عن هذه الوصمة القبيحة، كيف وهى كفر عند كثيرين.»

وقال الجلال الدواني في (شرح عقائد العوضى):

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢١٢

«ولابن تيمية أبي العباس أحمد وأصحابه ميل عظيم إلى إثبات الجهة ومبالغة في القدح في نفيها، ورأيت في بعض تصانيفه أنه لا فرق عند بديهة العقل بين أن يقال هو معدوم أو يقال طلبته في جميع الأمكنة فلم أجده، ونسب النافين إلى التصليل، هذا مع علو كعبه في العلوم النقلية والعقلية كما يشهد به من تتبع تصانيفه.»

وقال المفتي صدر الدين، وهو من أكابر فضلاء السنة في الهند في رسالته (منتهى المقال) التي قرظها علماؤهم بتقریظات عديدة:

«قال شيخ الأئمة الهمام، سند المحدثين الشيخ محمد البريسي، في كتابه إتحاف أهل العرفان برؤية الأنبياء والملائكة والجان: قد تجاسر ابن تيمية الحنبلي - عامله الله تعالى بعدله - وادّعى أن السفر لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم حرام، وإن الصلاة لا تقصر فيه لعصيان المسافر به، وأطال في ذلك بما تمجّه الأسماع وتنفر منه الطباع، وقد عاد شؤم كلامه عليه حتى تجاوز الجناب الأقدس المستحق لكلّ كمال أنفوس وخرق سياج الكبرياء والجلال، وحاول إثبات منافي العظمة والكمال، بادعائه الجهة والتجسيم ونسبه من لم يعتقدهما إلى الضلالة والتأثير، وأظهر هذا الأمر على المنابر وشاع وذاع ذكره بين الأكابر والأصاغر، وخالف الأئمة المجتهدين في مسائل كثيرة، استدرك على الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيصة حقيرة، فسقط من أعين علماء الأئمة وصار مثله بين العوام فضلاً عن الأئمة، وتعقب العلماء كلماته الفاسدة وزيفوا حججه الداحضة الكاسدة، وأظهروا عور سقطاته وبيّنوا قبائح أوهامه وغلطاته.»

وهذه بعض الجمل الواردة في المنشور السلطاني في ابن تيمية:

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢١٣

«وكان الشقي ابن تيمية في هذه المدّة قد بسط لسان قلمه ومدّ عنان كلمه وتحذّث في مسائل القرآن والصفات، ونصّ في كلامه على امور منكرات، وتكلّم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون، وفاه بما يمجّه السلف الصالحون، وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام، وانعقد على خلافه إجماع العلماء الأعلام، واشتهر من فتاواه في البلاد ما استخفّ به عقول العوام، وخالف في ذلك علماء عصره وفقهاء شامه ومصره، وبعث رسائله إلى كلّ مكان، وسمّى كتبه أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، ولما اتّصل بنا ذلك من سلّكه من هذه المسالك وأظهره من هذه الأحوال وأشاعوه، وعلمنا أنه استخفّ قومه فأطاعوه، حتى اتّصل بنا أنهم صرّحوا في حقّ الله بالحرف والصوت والتجسيم، فقمنا في حقّ الله تعالى مشفقين من هذا النبا العظيم.»

إلى آخر المنشور الطويل، المثير لأوليائه العويل، الهادم لأساس فخرهم الجزيل ومجدهم الأثيل.

بل قال ابن تيمية بقدوم العرش، فأثبت للباري شريكاً في الأزلية، كما ذكر الدواني في (شرح العقائد) بذكر القدم الجنسي للعالم: «وقد قال به بعض المحدّثين المتأخرين، وقد رأيت في بعض تصانيف ابن تيمية القول به في العرش».

وقال المولوي عبدالحليم - من علماء الهند - في حاشية شرح العقائد المسماة (حلّ المعاهد):

«كان تقى الدين ابن تيمية حنبلياً، لكنّه تجاوز عن الحدّ وحاول إثبات ما ينافي عظمته الحقّ تعالى وجلاله، فأثبت له الجهة والجسم، وله هفوات اخر كما يقول: إنّ أمير المؤمنين سيّدنا عثمان رضی الله عنه كان يحبّ المال، وإنّ

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢١٤

أمير المؤمنين سيّدنا علي رضی الله عنه ما صحّ إيمانه فإنّه آمن في حال صباه، وتفوّه في حقّ أهل بيت النبي صلّى الله عليه وعليهم ما لا يتفوّه به المؤمن المحقّق، وقد ورد الأحاديث الصحاح في مناقبهم في الصحاح.

وانعقد مجلس في قلعة جبل، حضر العلماء الأعلام والفقهاء العظام، ورئيسهم كان قاضي القضاة زين الدين المالكي، وحضر ابن تيمية، فبعد القيل والقال، بهت ابن تيمية وحكم قاضي القضاة بحبسه، وكان ذلك سنة سبع مائة وخمس من الهجرة، ثمّ نودي بدمشق وغيره: من كان على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه؛ كذا في مرآة الجنان للإمام أبي محمّد عبد الله اليافعي، ثمّ تاب وتخلّص من السجن سنة سبع مائة وسبع من الهجرة وقال: إنّي أشعريّ، ثمّ نكث عهده وأظهر مكنونه ومرموزه، فحبس حبساً شديداً مرّة ثانية، ثمّ تاب وتخلّص من السجن وأقام في الشام، وله هناك واقعات كتبت في كتب التواريخ.

وردّ أقاويله وبين أحواله الشيخ ابن حجر في المجلد الأوّل من الدرر الكامنة، والذهبي في تاريخه، وغيرهما من المحقّقين.

هذا كلام وقع في البين. والمرام أنّ ابن تيمية لما كان قائلاً بكونه تعالى جسماً قال بأنّه ذو مكان، فإنّ كلّ جسم لا بدّ له من مكان على ما ثبت، ولما ورد في الفرقان الحميد «الرحمن على العرش استوى» قال: إنّ العرش مكانه، ولما كان الواجب أزلماً عنده وأجزاء العالم حوادث عنده، فاضطرّ إلى القول بأزليّة جنس العرش وقدمه وتعاقب أشخاصه الغير المتناهية، فمطلق التمكّن له تعالى أزلّي، والتمكّنات المخصوصة حوادث عنده، كما ذهب المتكلّمون إلى حدوث التعلّقات».

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢١٥

وهذا نصّ كلام الحافظ ابن حجر بترجمة ابن تيمية من (الدرر الكامنة):

«وافترق الناس فيه شيعاً:

فمنهم: من نسبه إلى التجسيم، لما ذكر في العقيدة الحموية والواسطيّة وغيرهما من ذلك بقوله: إنّ اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقيّة لله، وإنّه مستوٍ على العرش بذاته، فقليل له: يلزم من ذلك التحيز والإنقسام، فقال:

أنا لا أسلم إنّ التحيز والإنقسام من خواصّ الأجسام، فالزم بأنّه يقول بالتحيز في ذات الله.

ومنهم: من ينسبه إلى الزندقة، لقوله إنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم لا يستغاث به، وإنّ في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان أشدّ الناس عليه في ذلك النور البكري، فإنّه لما عُقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين: يعزّر، فقال البكري: لا معنى لهذا القول، فإنّه إن كان تنقيصاً يقتل، وإن لم يكن تنقيصاً لا يعزّر.

ومنهم: من ينسبه إلى النفاق، لقوله في عليّ ما تقدّم، ولقوله إنّه كان مخذولاً حيث ما توجه، وإنّه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وإنّما قاتل للرياسة لا للديانة، ولقوله: إنّه كان يحبّ الرياسة، وإنّ عثمان كان يحبّ المال، ولقوله:

أبو بكر أسلم شيخاً يدرى ما يقول، وعليّ أسلم صبيّاً والصبي لا يصحّ إسلامه على قول، ولكلامه في قصّة خطبة بنت أبي جهل وما نسبه من الشاء على قصيّة أبي العاص بن الربيع وما يؤخذ من مفهومها، فإنّه شنع في ذلك فألزموه بالنفاق لقوله صلّى الله عليه وسلّم: لا يبغضك إلّا منافق.

ونسبه قوم إلى أنّه يسعى في الإمامة الكبرى، فإنّه كان يلهج بذكر ابن تومرت ويطريه، فكان ذلك مولداً لطول سجنه وله وقائع شهيرة،

وكان إذا

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢١٦
حقوق والزم يقول لم أرد هذا إنما أردت كذا، فيذكر احتمالاً بعيداً «١».

بعض شيوخ الحديث ... ص: ٢١٦

وبعض شيوخ أهل الحديث أيضاً ذهب إلى هذا القول الفاسد، فقد قال البيهقي في كتاب (الأسماء والصفات):
«وقد زلّ بعض شيوخ أهل الحديث ممن يرجع إلى معرفته بالحديث والرجال، فحاد عن هذه الطريقة حين روى حديث النزول، ثم أقبل على نفسه فقال: إن قال قائل كيف ينزل ربنا إلى السماء؟ قيل له: ينزل كيف يشاء. فإن قال: هل يتحرك إذا نزل؟ فقال: إن شاء تحرك وإن شاء لم يتحرك.
وهذا خطأ فاحش عظيم، والله تعالى لا يوصف بالحركة؛ لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون، وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين، والله تبارك وتعالى متعال عنهما ليس كمثلته شيء» (٢).

الذهبي ... ص: ٢١٦

والذهبي، الذي يعدّ من أكابر حفاظهم المحققين، هذا مذهبه، كما نصّ على ذلك علماءهم الأعلام، كالسبكي في (طبقات الشافعية) حيث قال:

«وأما تاريخ شيخنا الذهبي غفر الله له، فإنه على جمعه وحسنه مشحون بالتعصب المفرط لا واخذه الله، فلقد أكثر الوقعة في أهل الدين أعنى الفقراء الذين هم صفوة الخلق، واستطال بلسانه على كثير من الأئمة الشافعيين

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١: ١٥٥-١٥٦.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ٣: ٦١٥-٦١٦.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢١٧

والحنفيين ومال فأفرط على الأشاعرة، ومدح فزاد في المجسمه، هذا وهو الحافظ المدّره والإمام المبجل» (١).
وقال السبكي أيضاً:

«ونقلت من خطّ الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلي العلاتي رحمه الله ما نصّه: الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي لا شك في دينه وورعه وتحريه فيما يقوله في الناس، ولكنّه غلب عليه مذهب الإثبات ومنافرة التأويل والغفلة عن التنزيه، حتى أثر ذلك في طبعه انحرافاً شديداً عن أهل التنزيه وميلاً قوياً إلى أهل الإثبات، فإذا ترجم واحداً منهم يظن في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن ويبالغ في وصفه ويتغافل عن غلطاته ويتأول له ما أمكن، وإذا ذكر أحداً من الطرف الآخر كإمام الحرمين والغزالي ونحوهما لا يبالغ في وصفه ويكثر من قول من طعن فيه ويعيد ذلك ويبيده ويعتقده ديناً وهو لا يشعر، ويُعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها، وإذا ظفر لأحدٍ منهم بغلطة ذكرها، وكذلك فعله في أهل عصرنا إذا لم يقدر على أحد منهم بتصريح يقول في ترجمته والله يصلحه، ونحو ذلك، وسببه المخالفة في العقائد، إنتهى.

والحال في حقّ شيخنا الذهبي أزيد ممّا وصف، وهو شيخنا ومعلمنا، غير أنّ الحقّ أحقّ أن يتبع» (٢).

وقال السبكي في (طبقاته):

«إعلم أنّ أبا إسماعيل عبدالله بن محمد الهروي، الذي يسمّيه المجسمه

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٢: ٢٢.

(٢) طبقات الشافعية للسبكي ٢: ١٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢١٨

شيخ الإسلام قال: سألت يحيى بن عمّار عن ابن حبان قلت: رأيتك؟ قال:
وكيف لم أراه «... ١».

ولا يخفى أنّ مراده من «المجسمه» هو «الذهبي»، فهو الذي وصفه ب «شيخ الاسلام» كما في (ميزان الاعتدال) حيث قال:
«قال أبو إسماعيل الأنصاري شيخ الإسلام سألت يحيى بن عمّار عن أبي حاتم «... ٢».

أبو القاسم ابن منده ... ص: ٢١٨

وابن منده أيضاً من القائلين بثبوت الجهه للباري عزّ وجل، فقد قال الياضي في (مرآة الجنان):

«الحافظ أبو القاسم عبدالرحمن بن منده الأصبهاني صاحب التصانيف، كان ذا هيبه ووقار، وله أصحاب وأتباع. قال الذهبي: وفيه تسنن مفرط، أوقع بعض العلماء في الكلام في معتقده وتوهّموا فيه التجسيم، قال: وهو برىء منه فيما علمت، ولكن لو قصّر من شأنه لكان أولى به.

قلت: وكلام الذهبي هذا يحتاج إلى إيضاح، فقله: فيه تسنن مفرط، أي يبالغ في الأخذ بظواهر السنّه والاستدلال بها وجحد حملها فيه التجسيم، لأنّ الجري على اعتقاد الظواهر ومنع التأويل فيها يدلّ على ذلك، والكلام فيه يطول، وقد أوضحت ذلك في الاصول. وقله: لو قصّر من شأنه لكان أولى به، أي لو ترك المبالغه في التظاهر بذلك والاستشهار به لكان أولى. وأمّا قوله:

وهو برىء منه، فشهاده على أمر باطل والله أعلم بحقيقته، وغايه ما ثمّ أنّه ما

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٣: ١٣٢.

(٢) ميزان الاعتدال ٦: ٧٣٥٢ / ٩٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢١٩

يصرّح بالتجسيم بلسانه لكنّه يقول بالجهه، وأسلم ما في ذلك أنّه يلزم منه القول بالتجسيم، وفي ملزوم المذهب خلاف مشهور عند العلماء، هل هو مذهب أم لا؟ هذا إذا اقتصر على اعتقاد الجهه، فأما إذا اعتقد الحركة والنزول والجارحه فصريح في التجسيم «١». ولا تتوهّم أن هذه المقالات الفاسده إنما قال بها المتأخرون من تلقاء أنفسهم، فإنّهم قد تبعوا فيها أسلافهم ...

جماعه من القدماء ... ص: ٢١٩

فإنّ ذلك مذهب جماعه من القدماء ... فقد قال في (الملل والنحل) بعد ذكر مذهب أحمد بن حنبل وأمثاله من منع تأويل الآيات الدالّه على التشبيه:

«وليس - أي هذا المذهب - من التشبيه في شيء، غير أنّ جماعه من الشيعة الغالية وجماعه من أصحاب الحديث الحشويّه صرّحوا

بالتشبيه، مثل الهشامين من الشيعة، ومثل مضر وكهمس وأحمد الهجيمي وغيرهم من أهل السنة قالوا: معبودهم صورة ذات أعضاء وأعضاء روحانية وجسمانية، ويجوز عليه الانتقال والصعود والنزول والاستقرار والتمكّن.

فأما مشبهه الشيعة، فسيأتى مقالاتهم فى باب الغلاة.

وأما مشبهه الحشوية، فقد حكى الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن مضر وكهمس وأحمد الهجيمي إنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وإن المخلصين من المسلمين يعانقونه فى الدنيا والآخرة إذا بلغوا فى الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والإتقاد المحض، وحكى الكعبى عن بعضهم إنه كان يُجوز الرؤية فى الدنيا وأن يزوره ويزورهم. ويحكى عن

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٣: ٧٦-٧٧ ترجمة الحافظ أبى القاسم عبدالرحمن بن منده.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٢٠

داود الجواربى إنه قال: إغفونى عن اللحية والفرج وسلونى عما وراء ذلك، وقال: إن معبوده جسم ولحم ودم، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس ولسان وعينين واذنين، وهو مع ذلك جسم لا كالأجسام، ولحم لا كاللحم، ودم لا كالدماء، وكذلك سائر الصفات، وهو لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شىء. وحكى أنه قال: هو أجوف من أعلاه إلى صدره ومصمت ما سوى ذلك، وأن له وفرة سوداء، وله شعر قطط.

وأما ما ورد فى التنزيل من الإستواء واليدين والوجه والرجلين والجنب والمجىء والإتيان والفقوية وغير ذلك، فأجروها على ظاهرها، يعنى ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام، وكذلك ما ورد فى الأخبار من الصورة فى قوله:

خلق آدم على صورة الرحمان، وقوله: يضع الجيتار قدمه فى النار، وقوله: قلب المؤمنين بين إصبعين من أصابع الرحمان، وقوله: خمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً، وقوله: فوضع يده أو كفّه على كتفى فوجدت برد أنامله فى صدرى، إلى غير ذلك، أجروها على ما يتعارف فى صفات الأجسام» (١).

أكثر المحدثين ... ص: ٢٢٠

وهو قول أكثر المحدثين، فيما نسب إليهم جلال الدين الدوانى فى (شرح العقائد) حيث قال:

«وأكثر المجسمة هم الظاهريون المتبعون بظواهر الكتاب والسنة، وأكثرهم المحدثون».

ونسب ابن الجوزى فى (تلييس ابليس) ذلك إلى عموم المحدثين:

«واعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما نقلوا من صفات البارى

(١) الملل والنحل ١: ١٠٥-١٠٦.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٢١

سبحانه وتعالى على مقتضى الحس فشبّهوا، لأنهم لم يخالطوا الفقهاء، فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى المحكم».

مقاتل بن سليمان ... ص: ٢٢١

ومقاتل بن سليمان من القائلين بالتشبيه والتجسيم، وهو - كما فى (الملل والنحل) - من أئمة السلف، وفى عداد أحمد بن حنبل وأمثاله،

قال الشهرستاني:

«فأمرًا أحمد بن حنبل وداود بن علي الأصبهاني وجماعة من أئمة السلف فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث كمالك بن أنس ومقاتل بن سليمان سلخوا طريق السلامة وقالوا: نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل» (١).
وقد ورد قوله بالتجسيم في (المواقف) حيث قال:
«والمجسمه قالوا هو جسم حقيقة. فليل: مركب من لحم ودم، كمقاتل ابن سليمان» (٢).
وفي (منهاج السنة):

«قال الأشعري في المقالات: وقال داود الجواربي ومقاتل بن سليمان:
إن الله جسم، وإنه جثة وأعضاء وعلى صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم، له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين، ومع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه» (٣).

(١) الملل والنحل ١: ١٠٤.

(٢) شرح الواقف في علم الكلام ٣: ٣٨.

(٣) منهاج السنة ١: ٣٧٢.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٢٢

وإذا كان الأشعري ينسب ذلك إلى مقاتل، فلا يصغى إلى تشكيكات بعض الناس.
وأيضاً، فقد جاء بترجمة مقاتل من (الأنساب) ما نصه:

«أبو الحسن مقاتل بن سليمان الخراساني مولى الأزدي، أصله من بلخ، وانتقل إلى البصرة، وبها مات بعد قدوم الهاشمية، وكان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان مشبهاً يشبهه الرب بالمخلوقين، وكان يكذب مع ذلك في الحديث، وكان أبو يوسف القاضي يقول: قال أبو حنيفة رحمه الله: يا أبا يوسف إحذر صنفين من خراسان: الجهمية والمقاتلية» (١).
وهكذا في (ميزان الاعتدال):

«قال أبو حنيفة: أفرط جهم في نفى التشبيه حتى قال إنه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل - يعني في الإثبات - حتى جعله مثل خلقه» (٢).

وفيه:

«قال ابن حبان: كان يأخذ عن اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يشبه الرب بالمخلوق، وكان يكذب في الحديث» (٣).

نعيم بن حماد ... ص: ٢٢٢

ومنهم نعيم بن حماد ... قال السمعاني في (الأنساب) بترجمته:

«يقال له: الفارض، لأنه يعرف الفرائض وقسمه المواريث معرفة حسنة،

(١) الأنساب للسمعاني ٢: ٣٣٧.

(٢) ميزان الاعتدال ٦: ٥٠٥ / ٨٧٤٧.

(٣) ميزان الاعتدال ٦: ٥٠٧.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٢٣

واشتهر بهذه النسبة حتى كان يقال له نعيم الفارض - إلى أن قال - وكان من العلماء ولكنه ربما يهّم ويخطى ومن ينجو من ذلك؟ ثبت في المحنة حتى مات في الحبس، وسمع منه حمزة الكاتب في الحبس، وكان قد امتنع عن القول بخلق القرآن، وكان يقول: أنا كنت جهميّاً فلذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث علمت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل» (١).
وقال الذهبي بترجمته في (ميزان الاعتدال):

«نعيم بن حمّاد الخزاعي المروزي، أحد الأئمة الأعلام، عليّ لين في حديثه. قال الخطيب: يقال: إن نعيم بن حمّاد أول من جمع المسند.

وقال الحسين بن حبان: سمعت يحيى بن معين يقول: نعيم بن حمّاد صدوق وأنا أعرف الناس به، وكان رفيقي في البصرة، كتب عن روح بن عباد خمسين ألف حديث.
وكذا وثقه أحمد.

وروى إبراهيم بن الجنيد عن ابن معين: ثقة.

وقال أحمد العجلي: ثقة صدوق.

وقال العباس بن مصعب في تاريخه: نعيم بن حمّاد وضع كتباً في الردّ على الجهميّة، وكان من أعلم الناس بالفرائض.
وقال الحافظ أبو عليّ النيسابوري: سمعت النسائي يذكر فضل نعيم بن حمّاد وتقدمه في العلم ومعرفة السنن» (٢).
وأما قوله بالتجسيم، فقد حكاه ابن الجوزي في (تلبيس ابليس) فإنه قال:

(١) الأنساب ٤: ٣٣٣.

(٢) ميزان الإعتدال ٧: ٤١ - ٤٢ / ٩١٠٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٢٤

«قال أبو يحيى: وقد حكى كثير من المتكلمين إن مقاتل بن سليمان ونعيم بن حمّاد وداود الجواربي يقولون إن الله صورة وأعضاء، أفترى هؤلاء كيف يشبتون له القدم دون الآدميين، ولم لا يجوز عليه عندهم ما يجوز على الآدميين، من مرض وتلف» إلى آخر ما أفاد وأجاد» (١).

وقال الخطيب:

«نعيم بن حمّاد بن معاوية بن الحارث، أبو عبدالله الخزاعي، الأعور المروزي، كان قد سكن مصر، ولم يزل مقيماً حتى اشخص للمحنة في القرآن إلى سرّ من رأى في أيام المعتصم، فسئل عن القرآن فأبى أن يجيبهم إلى أن القرآن مخلوق، فسجن إلى أن مات في السجن سنة ثمان وعشرين ومائتين، والقي في حفرة، ولم يكفن ولم يُصلّ عليه.

وروى مسنداً إلى مروان بن عثمان، عن عمارة بن عامر، عن أمّ الطفيل قالت: سمعت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يذكر إنّه رأى ربّه تعالى في المنام في أحسن صورة، شاباً موقراً، رجلاه في خصر عليه نعلان من ذهب، على وجهه فراش من ذهب.

وروى الخطيب عقيب هذا الخبر عن نعيم بإسناده يرفعه قال: سمعت أبا عبد الرحمن النسوي يقول: ومن مروان بن عثمان حتى يصدّق على الله عزّ وجلّ؟

وقال صالح بن محمّد: إنّ نعيماً كان يحدث من حفظه، وعنده مناكير كثيرة لا يتابع عليها» (٢).

(١) تلبيس ابليس: ١٠٠.

(٢) تاريخ بغداد ١٣: ٣٠٦ - ٣١٤ ملخصاً.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٢٥

البداء ... ص: ٢٢٥

إشارة

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٢٧

إعلم:

أن علماء الطائفة المحققة قد ذكروا في كتبهم العقيدة بالبداء، وبينوا أدلتها العقلية والنقلية، لكن بعض الناس لما جهلوا بهذه الحقيقة ولم يطلعوا على أدلتها، جعلوا يشنعون علينا، وينسبون إلينا القول بعروض الندم أو الجهل على الباري، عزوجل وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً...

فأينا من المناسب التعرض لهذا المطلب بإيجاز، رفعا للشبهة ودفعاً للتهمة ... واسوةً بعلمائنا الأبرار الذين وضعوا رسائل مفردة في هذه المسألة، تبييناً للعقيدة ودفاعاً عن المذهب.

وأما من يتفوه بذلك وهو عالم بواقع الحال، ففي قلبه مرض لا يمكننا علاجه، ونكل أمره إلى الله، وكفى به حسيباً... هذا، وسيكون بحثنا في مقامات:

أحدها: في نقل كلام الشيخ المجلسي وجماعه من علمائنا.

والآخر: في نقل روايات من طرق أهل السنة متضمنة للتغيير والتبديل في المقدرات الإلهية، وهي عين مفاد أحاديث البداء.

والثالث: في ذكر موارد وقوع البداء في كتب الجمهور.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٢٨

كلام الشيخ المجلسي وسائر علمائنا الأعلام ... ص: ٢٢٨

قال العلامة الشيخ محمدباقر المجلسي صاحب (بحار الأنوار) بعد رواية نبذة من أحاديث البداء وأقوال العلماء فيه:

«ولنذكر ما ظهر لنا من الآيات والأخبار بحيث تدل عليه النصوص الصريحة ولا تأبى عنه العقول الصحيحة فنقول وبالله التوفيق:

إنهم عليهم السلام إنما بالغوا في البداء رداً على اليهود الذين يقولون: إن الله قد فرغ من الأمر والنظام، وبعض المعتزلة الذين يقولون: إن الله خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن، معادن ونباتاً وحيواناً وإنساناً، ولم يتقدم خلق آدم على خلق أولاده، والتقدم إنما يقع في ظهورها لا في حدوثها ووجودها، وإنما أخذوا هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة، وعن بعض الفلاسفة القائلين بالعقول والنفوس الفلكية، وبأن الله تعالى لم يؤثر حقيقة إلهي العقل الأول، فهم يعزلونه تعالى عن ملكه وينسبون الحوادث إلى هؤلاء.

فنفوا عليهم السلام ذلك، وأثبتوا أنه تعالى كل يوم في شأن، من إعدام شيء وإحداث آخر، وإماتة شخص وإحياء آخر إلى غير ذلك، لئلا يترك العباد التضرع إلى الله ومسألته وطاعته والتقرب إليه بما يصلح أمور دنياهم وعقباهم، وليرجوا عند التصديق على الفقراء وصله الأرحام وبز الوالدين والمعروف والإحسان ما وعدوا عليها، من طول العمر وزيادة الرزق وغير ذلك.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٢٩

ثم اعلم: أن الآيات والأخبار تدل على أن الله تعالى خلق لوحين أثبت فيهما ما يحدث من الكائنات:

أحدهما: اللوح المحفوظ الذي لا تغير فيه أصلاً، وهو مطابق لعلمه تعالى.

والآخر: لوح المحو والإثبات، فيثبت فيه شيئاً ثم يمحوه، لحكم كثيرة لا تخفى على اولى الألباب، مثلاً يكتب إن عمر زيد خمسون سنة، ومعناه: أن مقتضى الحكمة أن يكون عمره كذا إذا لم يفعل ما يقتضى طوله أو قصره، فإذا وصل الرحم مثلاً يمحي الخمسون ويكتب مكانه ستون، وإذا قطعها يكتب مكانه أربعون، وفي اللوح المحفوظ إنّه يصل عمره ستون، كما أن الطيب الحاذق إذا اطّلع على مزاج شخص يحكم بأن عمره بحسب هذا المزاج يكون ستين سنة، فإذا شرب سمّاً ومات أو قتله إنسان فنقص من ذلك أو استعمل دواءً قوى مزاجه به فزاد عليه لم يخالف قول الطيب، والتغير الواقع في هذا اللوح مسمى بالبداء؛ إمّا لأنه شبيه به، كما في سائر ما يطلق عليه سبحانه من الإبتلاء والاستهزاء والسخرية وأمثالها، أو لأنه يظهر للملائكة أو للخلق إذا اخبروا بالأول خلاف ما علموا أولاً.

وأى استبعاد في تحقّق هذين اللوحين؟ وأية استحالة في هذا المحو والإثبات حتّى يحتاج إلى التأويل والتكلف، وإن لم يظهر الحكمة فيه لنا بعجز عقولنا عن الإحاطة بها؟ مع أن الحكم فيه ظاهرة:

منها: أن يظهر للملائكة الكاتبين في اللوح والمطلعين عليه لطفه تعالى بعباده، وإيصالهم في الدنيا إلى ما يستحقّونه فيزدادوا به معرفة.

ومنها: أن يعلم العباد- بإخبار الرسل والحجج عليهم السلام- أن

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٣٠

لأعمالهم الحسنه مثل هذه التأثيرات في صلاح امورهم، ولأعمالهم السيئه تأثيراً في فسادها، فيكون داعياً لهم إلى الخيرات، صارفاً لهم عن السيئات.

فظهر أن لهذا اللوح تقدماً على اللوح المحفوظ، من جهة صيرورته سبباً لحصول بعض الأعمال، فبذلك ينقش في اللوح المحفوظ حصوله، فلا يتوهم أنه بعد ما كتب في هذا اللوح حصوله لا فائدة في المحو والإثبات.

ومنها: إنّه إذا أخبر الأوصياء أحياناً من كتاب المحو والإثبات ثم أخبروا بخلافه، يلزمهم الإذعان به ويكون في ذلك تشديد للتكليف عليهم، تسيباً لمزيد الأجر لهم، كما في سائر ما يتلى الله عباده به من التكاليف الشاقّة وإيراد الامور التي يعجز أكثر العقول عن الإحاطة بها، وبها يمتاز المسلمون الذين فازوا بدرجات اليقين عن الضعفاء الذين ليس لهم قدم راسخ في الدين.

ومنها: أن يكون هذه الأخبار تسليّة لقوم من المؤمنين المنتظرين لفرج أولياء الله وغلبة الحق وأهله، كما روى في فرج أهل البيت عليهم السلام وغلبتهم، لأنهم عليهم السلام لو كانوا أخبروا الشيعة- في أول ابتلاءهم باستيلاء المخالفين وشدة محنتهم- أنه ليس فرجهم إلا بعد ألف سنة أو ألفي سنة، ليسوا ورجعوا عن الدين، ولكنهم أخبروا شيعتهم بتعجيل الفرج، وربما أخبروهم بأنه يمكن أن يحصل الفرج في بعض الأزمنة القريبة، ليثبتوا على الدين ويثابوا بانتظار الفرج، كما مرّ في خبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

وقال- رحمه الله- بعد إيراد حديثين:

«فأخبارهم عليهم السلام بما يظهر خلافه ظاهراً، من قبيل المجملات والمتشابهات التي تصدر عنهم ثم يصدر بعد ذلك تفسيرها وبيانها، وقولهم

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٣١

يقع الأمر الفلاني في وقت كذا معناه إن كان كذا، أو إن لم يقع الأمر الفلاني الذي ينافيه، ولم يذكروا الشرط كما قالوا في النسخ قبل الفعل، وقد أوضحناه في باب ذبح إسماعيل عليه السلام.

فمعنى قولهم عليهم السلام: ما عبد الله بمثل البداء، إن الإيمان بالبداء من أعظم العبادات القلبيّة، لصعوبته ومعارضته الوسوس الشيطانيّة فيه، ولكونه إقراراً بأن له الخلق والأمر، وهذا كمال التوحيد، أو المعنى أنّه من أعظم الأسباب والدواعي إلى عبادة الربّ تعالى كما عرفت.

وكذا قولهم: ما عظم الله بمثل البداء، يحتمل الوجهين، وإن كان الأوّل فيه أظهر.

وأما قول الصادق عليه السلام: لو علم الناس ما فى القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه. فلما مرّ أيضاً، من أن أكثر مصالح العباد موقوفه على القول بالبداء، إذ لو اعتقدوا أن كل ما قدّر فى الأزل فلا بدّ من وقوعه حتماً، لَمَا دعوا الله فى شىء من مطالبهم، وما تضرّعوا إليه وما استكانوا لديه، ولا خافوا منه ولا رجوا إليه، إلى غير ذلك ممّا قد أوامنا إليه. وأما إن هذه الامور من جملة الأسباب المقدّر فى الأزل أن يقع الأمر بها لا بدونها، فممّا لا يصل إليه عقول أكثر الخلق. فظهر أن هذا اللوح وعلمهم بما يقع فيه من المحو والإثبات أصلح لهم من كل شىء «١».

(١) بحار الأنوار ٤: ١٢٩-١٣٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٣٢
أقول:

ومثله فى إثبات علم الله عزّ وجلّ بالأشياء كلّها قبل كونها، وأنّه ليس معنى أخبار البداء ظهور الأمر له تعالى، كلمات غيره من أعلام الطائفة، بل صريح بعضهم أن أخذ «البداء» بمعنى العلم بعد الجهل كفر: قال الشيخ الصدوق: «وعندنا: من زعم أن الله تعالى يبدو له اليوم فى شىء لم يعلمه أمس، فهو كافر، والبراءة منه واجبة» «١». وقال الشيخ المفيد: «وليس هو الانتقال من عزيمة إلى عزيمة، ولا من تعقّب الرأى، تعالى الله عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيراً» «٢». وقال الشيخ الطوسى: «والوجه فى هذه الأخبار: ما قدّمنا ذكره من تغيير المصلحة فيه، واقتضائها تأخير الأمر إلى وقت آخر على ما بيناه، دون ظهور الأمر له تعالى، فإننا لا نقول به ولا نجوّزه، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً». بل قال: «فأما من قال بأنّ الله تعالى لا يعلم بشىء إلا بعد كونه، فقد كفر وخرج عن التوحيد» «٣». وكذلك كلام غير هؤلاء من علمائنا المتقدّمين والمتأخّرين.

(١) كتاب التوحيد: ١٣٥ باب العلم.

(٢) تصحيح الاعتقاد: ٢٠٠.

(٣) كتاب الغيبة: ٤٣٠-٤٣١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٣٣

روايات السنّة فى البداء ... ص: ٢٣٣

والروايات والأخبار المخرّجة فى كتب أهل السنّة من طرقهم، الدالّة على عقيدة البداء عن الصحابة والتابعين كثيرة: فالرواية الأولى ما أخرجه جماعة من الأئمة عن مجاهد. قال السيوطى فى تفسيره (الدر المنثور):

«أخرج ابن أبى شيبه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم، عن مجاهد رضى الله عنه قال: قالت قريش حين انزل: «وما كان لرسول أن يأتى بأية إلا بإذن الله» ما نراك يا محمّد تملك من شىء ولقد فرغ من الأمر، فانزلت هذه الآية تخويفاً ووعداً لهم: «يمحو الله ما يشاء ويثبت» إنّا إن شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا، ويحدث الله تعالى فى كلّ رمضان، فيمحو الله ما يشاء ويثبت من أرزاق الناس ومصائبهم وما يعطيهم وما يقسم لهم» «١».

الرواية الثانية عن ابن عباس كما فى (الدر المنثور) حيث قال:

«أخرج عبدالرزاق والفريابى وابن جرير وابن نصر وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عباس رضى الله عنه

في قوله «يمحو الله ما يشاء ويثبت» قال: ينزل الله في كل شهر رمضان إلى سماء الدنيا، فيدبر أمر السنة إلى السنة في ليلة القدر، فيمحو الله ما يشاء ويثبت، إلّا الشقاوة والسعادة والحياة والممأة» (٢).

(١) الدر المنثور ٤: ٦٥٩.

(٢) الدر المنثور ٤: ٦٥٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٣٤

الرواية الثالثة عن جابر، ففي (الدر المنثور):

«أخرج ابن سعد وابن جرير وابن مردويه عن الكلبي رضي الله عنه في الآية قال: يمحو الله من الرزق ويزيد فيه، ويمحو من الأجل ويزيد فيه.

ف قيل له: من حدّثك بهذا؟

قال: أبو صالح عن جابر بن عبد الله بن رباب الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم» (١).

وقال السيوطي في رسالته (إفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه):

«أخرج ابن جرير وابن مردويه في تفسيرهما عن الكلبي في قوله «يمحو الله ما يشاء ويثبت» قال: يمحو من الرزق ويزيد فيه، ويمحو من الأجل ويزيد فيه.

ف قيل: من حدّثك بهذا؟

قال: أبو صالح عن جابر بن عبد الله بن رباب الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم».

الرواية الرابعة عن أبي الدرداء، قال عمر بن عادل في (اللباب):

«روى أبو الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات ييقين من الليل، فينظر في الساعة الاولى منهم في أم الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت» (٢).

الرواية الخامسة ما رواه ابن مردويه في تفسيره، وابن عساكر في تاريخه عن أمير المؤمنين، فقد قال السيوطي في (إفادة الخبر بنصه):

(١) الدر المنثور ٤: ٦٦٠.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١١: ٣٢٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٣٥

«أخرج ابن مردويه في تفسيره وابن عساكر في تاريخه عن علي رضي الله عنه: إنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله «يمحو الله ما يشاء ويثبت» فقال: لأقرن عينك بتفسيرها، ولأقرن عين أمّتي بعدي بتفسيرها:

الصدقة على وجهها وبرّ الوالدين واصطناع المعروف، يحوّل الشقاء سعادة ويزيد في العمر ويقى مصارع السوء».

وفي (الدر المنثور) بتفسير الآية:

«أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن علي رضي الله عنه إنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية، فقال له: لأقرن عينك بتفسيرها، ولأقرن عين أمّتي بعدي بتفسيرها:

الصدقة على وجهها وبرّ الوالدين واصطناع المعروف، يحوّل الشقاء سعادة ويزيد في العمر ويقى مصارع السوء» (١).

وقال القاضي ثناء الله في (تفسيره):

«سأل علي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية - يعني «يمحو الله» الآية - قال: لأقرن عينك بتفسيرها وأقرن عين أمّتي بتفسيرها:

الصدقة على وجهها وبِرّ الوالدين واصطناع المعروف يحوّل الشقاء سعادةً ويزيد في العمر.
مر، أى رواه ابن مردويه.
قلت: المراد بهذا القضاء المعلق».

الرواية السادسة ما أخرجه الحاكم وصحّحه، كما فى (الدر المنثور) قال:

(١) الدر المنثور ٤: ٦٦١.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٣٦

«أخرج الحاكم وصحّحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لا ينفع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر» (١).
الرواية السابعة عن قيس بن عباد، أخرجه ابن جرير.
قال فى (الدر المنثور):

«أخرج ابن جرير عن قيس بن عباد رضى الله عنه قال: العاشر من رجب يمحو الله فيه ما يشاء» (٢).

الرواية الثامنة أخرجه جماعة عن قيس بن عباد أيضاً.

قال فى (الدر المنثور):

«أخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى الشعب عن قيس بن عباد رضى الله عنه قال: لله أمر فى كلّ ليلة العاشر من الأشهر الحرم، أمّا العاشر من الأضحى فيوم النحر، وأمّا العاشر من المحرم فيوم عاشوراء، وأمّا العاشر من رجب ففيه يمحو الله ما يشاء ويثبت.
قال: ونسيت ما قال فى ذى القعدة» (٣).

الرواية التاسعة عن عمر بن الخطاب، أخرجه جماعة.

قال فى (الدر المنثور):

«أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه إنّه قال- وهو يطوف بالبيت:- اللهم إن كنت كتبت على شقاوة أو ذنباً فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أمّ الكتاب، فاجعله سعادةً ومغفرة» (٤).
الرواية العاشرة عن ابن مسعود:

(١) الدر المنثور ٤: ٦٦١.

(٢) الدر المنثور ٤: ٦٦١.

(٣) الدر المنثور ٤: ٦٦١.

(٤) الدر المنثور ٤: ٦٦١.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٣٧

«أخرج ابن أبى شيبه فى المصنّف وابن أبى الدنيا فى الدعاء عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: ما دعا عبد قط بهذه الدعوات إلّا وسّع الله عليه فى معيشته:

يا ذا المنّ ولا يمنّ عليه، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطّول، لا إله إلّا أنت، ظهر اللّاجين وجار المستجيرين، ومأمن الخائفين، إن كنت كتبتى عندك فى أمّ الكتاب شقيّاً، فامح عني اسم الشقاوة وثبّتنى عندك سعيداً، وإن كنت كتبتى عندك فى أمّ الكتاب محرّماً مقترّاً على رزقى، فامح حرمانى وبيسر رزقى وثبّتنى عندك سعيداً موقفاً للخير، فإنك تقول فى كتابك الذى أنزلت «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب».

هكذا في (الدر المنثور) «١».

ورواه عمر بن عدال الحنبلي في تفسيره (اللباب في علوم الكتاب) عن ابن مسعود وعمر فقال:

«عن ابن عمر وابن مسعود إنهما قالا: يمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والأجل ويثبت ما يشاء.

وروى عن عمر: إنه كان يطوف بالبیت وهو يبكي ويقول: اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني في

أهل الشقاوة فامحني وثبتني في أهل السعادة والمغفرة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب، ومثله عن ابن مسعود» «٢».

وقال الفخر الرازي بتفسير الآية: «يمحو الله ما يشاء»:

(١) الدر المنثور ٤: ٦٦١.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١١ / ٣٢٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٣٨

«في هذه الآية قولان:

الأول: إنها عامية في كل شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ، قالوا: إن الله يمحو من الرزق ويزيد فيه، وكذا القول في الأجل والسعادة

والشقاوة والإيمان والكفر.

وهو مذهب عمر وابن مسعود.

ورواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» «١».

أقول:

وقد ذكر مذهب ابن مسعود وعمر بن الخطاب بتفسير الآية في تفسير ابن كثير والقرطبي والواحدى وابن الجوزى والبيضاوى وغيرهم،

وقد نسب ذلك في بعضها إلى غيرهما من الصحابة أيضاً.

الرواية الحادية عشر أخرجها ابن جرير عن مجاهد.

قال السيوطى في (الدر المنثور) و (إفادة الخبر بنصه):

«أخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله «يمحو الله ما يشاء ويثبت» قال:

الله ينزل كل شيء يكون في السنة في ليلة القدر، فيمحو ما يشاء من الآجال والأرزاق والمقادير إلأ الشقاوة والسعادة».

الرواية الثانية عشر، أخرجها جماعة عن ابن عباس.

قال في (الدر المنثور):

«أخرج ابن جرير ومحمّد بن نصر وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس «يمحو الله ما يشاء ويثبت» قال: من

أحد الكتابين هما كتابان يمحو الله ما يشاء من أحدهما ويثبت وعنده أم الكتاب. أى جملة

(١) تفسير الرازي ١٩: ٦٤-٦٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٣٩

الكتاب» «١».

الرواية الثالثة عشر رواها ابن جرير عن كعب الأحبار، وهو جليل القدر عندهم، وإن كذبه ابن عباس في بعض الأحاديث كما في (حياة

الحيوان) «٢».

قال السيوطى في (الدر المنثور):

«أخرج ابن جرير عن كعب رضى الله عنه أنه قال لعمر رضى الله عنه: يا أمير المؤمنين، لولا آية في كتاب الله لأنبأتك بما هو كائن إلى يوم القيامة. قال:

وما هي؟ قال: قول الله: «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» (٣).

وهذه الرواية - بالإضافة إلى دلالتها على البداء - تدل على أفضلية كعب الأخبار من عمر بل الثلاثة، فقد ادعى العلم بجميع الأمور المستقبلية إلى يوم القيامة، والقوم لم يكذبوه في هذه الدعوى التي ليس لأحد من الثلاثة أن يدعيها.

وإذا جاز لكعب أن يدعى مثل هذه الدعوى، وأن يتلقاها القوم بالتصديق، فلماذا يستبعدون ما ورد في هذا الباب عن الأئمة الأطهار عليهم السلام؟

قال في (البحار):

«عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال: لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» (٤).

(١) الدر المنثور ٤: ٦٦٠.

(٢) حياة الحيوان ١: ٢٥٨.

(٣) الدر المنثور ٤: ٦٦٤.

(٤) بحار الأنوار ٤: ٩٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٤٠

وأيضاً في (البحار):

«عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: لولا آية في كتاب الله لحدثتكم بما يكون إلى يوم القيامة، فقلت:

آية آية؟ قال: قول الله: «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» (١).

الرواية الرابعة عشر رواها ابن جرير عن الضحاک، قال في (الدر المنثور):

«أخرج ابن جرير عن الضحاک رضى الله عنه في الآية قال: يقول: أنسخ ما شئت وأصنع في الآجال ما شئت، إن شئت زدت فيها وإن شئت نقصت، وعنده أم الكتاب. قال: جملة الكتاب وعلمه، يعنى بذلك ما ينسخ منه وما يثبت» (٢).

(١) بحار الأنوار ٤: ١١٨.

(٢) الدر المنثور ٤: ٦٦٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٤١

من موارد وقوع البداء في أخبار القوم ... ص: ٢٤٩

إشارة

فإن قيل: إن مفاد هذه الروايات تجويز وقوع التغيير في التقدير الإلهي، لكن أخبار البداء عند الامامية تدل على وقوع التغيير بعد اطلاع الأنبياء أو الملائكة أو غيرهم على الأمر الأول، وهذا ما لا تدل عليه روايات القوم.

قلنا: إنّه وإن كان ما ذكرناه كافياً لدفع هذه الشبهة، لكننا مع ذلك نأتى بأحاديثهم فى جملة من القضايا الواقعة من هذا القبيل.

قصة الأبرص والأعمى والأقرع فى بنى إسرائيل

فمنها: قصة الثلاثة فى بنى إسرائيل، وأنه «بدا لله» فيهم:

أخرج البخارى بسنده عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن ثلاثة فى بنى إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، بدا لله أن يتليهم، فبعث إليهم ملكاً.

فأتى الأبرص فقال: أى شىء أحب إليك؟

قال: لون حسن وجلد حسن، قد قدرنى الناس.

قال: فمسحه، فذهب عنه، فاعطى لونا حسناً وجلداً حسناً.

فقال: أى المال أحب إليك؟

قال: الإبل أو قال البقر - هو شك فى ذلك أن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر - فاعطى ناقه عشراء فقال: يبارك لك فيها.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٤٢

وأتى الأقرع فقال: أى شىء أحب إليك؟

قال: شعر حسن ويذهب عنى هذا، قد قدرنى الناس.

قال: فمسحه، فذهب، واعطى شعراً حسناً.

قال: فأى المال أحب إليك؟

قال: البقر.

قال: فأعطاه بقرةً حاملاً وقال: يبارك لك فيها.

وأتى الأعمى فقال: أى شىء أحب إليك؟

قال: يردّ الله إلىّ بصرى، فأبصر به الناس.

قال: فمسحه، فردّ الله إليه بصره.

قال: فأى المال أحب إليك؟

قال: الغنم. فأعطاه شاةً والدأ.

فانتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم «... ١».

قصة يونس عليه السلام ... ص: ٢٤٢

ومنها: قصة يونس كما فى (الدر المنثور) حيث قال:

«أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن يونس دعا قومه، فلما أبوا أن يجيبوه وعدهم العذاب فقال: إنّه يأتىكم يوم كذا وكذا، ثم خرج عنهم، وكانت الأنبياء عليهم السلام إذا وعدت قومها العذاب خرجت، فلما أظلمهم العذاب خرجوا، ففرّقوا بين

(١) صحيح البخارى، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل، الباب: ٩٤٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٤٣

المرأة وولدها وبين السخلة وأولادها، وخرجوا فعجوا إلى الله وعلم الله منهم الصدق، فتاب عليهم وصرف عنهم العذاب، وقعد يونس في الطريق يسأل عن الخبر، فمرّ به رجل فقال: ما فعل قوم يونس؟ فحدّثه بما صنعوا، فقال: لا أرجع إلى القوم فقد كذبْتهم، وانطلق مغاضباً يعني مراغماً» (١).

وفى (الدر المنثور) أيضاً:

«أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما دعا يونس عليه السلام على قومه، أوحى الله إليه: إن العذاب مصبحهم، فقال لهم، فقالوا: ما كذب يونس عليه السلام وليصبحنا العذاب، فتعالوا حتى نخرج سخال كل شيء فنجعلها مع أولادنا لعل الله أن يرحمنا، فأخرجوا النساء مع الولدان وأخرجوا الإبل مع فصلانها، وأخرجوا البقر مع عجاجيلها، وأخرجوا الغنم مع سخالها فجعلوها أمامهم وأقبل العذاب، فلما رأوا جأروا إلى الله ودعوا وبكى النساء والولدان ورغت الإبل وفصلانها وخارت البقر وعجاجيلها وثغت الغنم وسخالها، فرحمهم الله فصرف ذلك العذاب عنهم، وغضب يونس عليه السلام فقال: كذبت، فهو قوله «إذ ذهب مغاضباً» (٢).

وفى (تفسير) القاضى ثناء الله:

«أخرج ابن أبي حاتم عن عليّ رضى الله عنه قال: تعيب على قوم يونس يوم عاشورا، وكان يونس قد خرج ينتظر العذاب وهلاك قومه، فلم ير شيئاً، وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل، فقال يونس: كيف أرجع إلى قومي وقد كذبتهم، فانطلق عاتباً على ربّه مغاضباً لقومه».

(١) الدر المنثور ٤: ٣٩٢.

(٢) الدر المنثور ٥: ٦٦٧.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٤٤
وفيه:

«قال عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وجماعة: وذهب عن قومه مغاضباً لربّه، إذ كشف عن قومه العذاب بعدما وعدهم، وكره أن يكون بين قوم جرّبوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحى منهم، ولم يعلم السبب الذى به رفع العذاب عنهم، وكان غضب من ظهور خلف وعده وأن يسمّى كذاباً، لا كراهية لحكم الله عزّ وجلّ.

وفى بعض الأخبار: إنّه كان من عادة قومه أن يقتلوا من جرّبوا عليه الكذب، فخشى أن يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد، فغضب».

وقال السيوطى فى (الدر المنثور):

«أخرج ابن أبي حاتم واللالكائى فى السنّة عن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه قال: إنّ الحذر لا يردّ القدر، وإنّ الدعاء يردّ القدر، وذلك فى كتاب الله «إلّا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي».

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن عباس رضى الله عنه قال: إنّ الدعاء ليردّ القضاء، وقد نزل من السماء، إقرأوا إن شئتم: «إلّا قوم لما آمنوا كشفنا عنهم» دعوا، فصرف عنهم العذاب» (١).

قصة موسى عليه السلام ... ص: ٢٤٤

ومنها: ما رووه فى قصة موسى عليه السلام.

قال السيوطى فى (الدر المنثور):

«أخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد عن مجاهد: «وواعدنا موسى ثلاثين ليلة» قال: ذوالقعدة «وأتمناها بعشر» قال: إن موسى قال لقومه: إن ربى

(١) الدر المنثور ٤: ٣٩٢.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٤٥

وعدنى ثلاثين ليلة أن ألقاه وأخلف هارون فيكم، فلما أتصل موسى إلى ربه زاده الله عشراً، فكانت فتنتهم في العشر التي زادها الله... «١».

وفي حديث طويل أخرجه السيوطي عن العدني وعبد بن حميد والنسائي وجماعه غيرهم: إن قوم موسى قالوا: «فما بال موسى وعدنا ثلاثين ليلة ثم أخلفنا» «٢».

ومنها: ما جاء في قصة الرجل الذي أتى وكر طائر... قال الدميري في (حياة الحيوان):

«وفي تاريخ ابن النجار وعوالي أبي عبد الله المثني بن أنس بن مالك الأنصاري قاضي البصرة وعالمها ومسندها، وهو من كبار شيوخ البخاري، من حديث الحسن بن أبي الحسن البصري.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان فيمن قبلكم رجل يأتي وكر طائر كلما أفرخ يأخذ فرخه، فشكى ذلك الطائر إلى الله تعالى ما يفعل به، فأوحى الله إليه: إن عاد فسأهلكه، فلما أفرخ الطائر خرج ذلك الرجل كما كان يخرج، فبينما هو في بعض الطريق فسأله سائل فأعطاه رغيفاً كان معه يتغذاه ثم مضى، حتى أتى الوكر فوضع سلمه ثم صعد وأخذ الفرخين وأبواهما ينظران إليه، فقالا: ربنا إنك لا تخلف الميعاد وقد وعدتنا أن تهلك هذا إذا عاد، وقد عاد وأخذ فرخيننا ولم تهلكه؟! فأوحى الله إليهما: ألم تعلمنا أني لا اهلك أحداً تصدق في يومه بميته سوء» «٣».

(١) الدر المنثور ٣: ٥٣٥.

(٢) الدر المنثور ٥: ٥٧٧ مع فرق.

(٣) حياة الحيوان للدميري ٢: ١٥١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٤٦

قصة القصار ... ص: ٢٤٦

ومنها: ما جاء في قصة القصار الذي مر على عيسى عليه السلام، رواها الزندوبستي في (روضه العلماء) قال:

«حدثنا أبو عبد الله المطوعي بإسناد له عن وهب رحمه الله قال: كان عيسى النبي صلوات الله عليه قاعداً مع الحواريين، إذ مر قصار على ظهره حزمة ثياب، فقال عيسى عليه السلام للحواريين: إن هذا القصار ليهلك الساعة ويرد علي جنازته، فجلسوا، فلما كان عند المساء رجع القصار سالماً مع ثيابه، فتعجب الحواريون بذلك، فقال عيسى للقصار: أخبرني عن قصتك. قال:

خرجت بالغداة ومعى ثلاثة أرغفة، فاستقبلني سائل فدفعت إليه واحداً فدعا وقال: صرف الله عنك السوء، فمضيت فاستقبلني سائل آخر فسألني فدفعت إليه الرغيف الثاني، فقال: صرف الله عنك البلاء، فإذا فتحت حزمة ثيابي رأيت فيها حية سوداء تلتهب النار من عينها وفي عنقها سلسلتان، وإذا ملكان يمدان تلك الحية حتى إذا أخرجها من حزمة ثيابي. فقال عيسى: لذلك الرغيف سلمك الله تعالى وزاد في عمرك».

قصة الرجل من قوم صالح عليه السلام ... ص: ٢٤٦

ومنها: قصة الرجل من قوم صالح الذي كان يؤذى الناس، فيما روى في كتاب (حياة الحيوان) حيث قال: «روى أحمد في كتاب الزهد عن سالم بن أبي الجعد قال: كان رجل من قوم صالح عليه السلام قد آذاهم، فقالوا: يا نبي الله ادع الله عليه، فقال: اذهبوا، فقد كفيتموه. قال: وكان يخرج كل يوم يحتطب. قال: فخرج يومئذ معه رغيفان، فأكل أحدهما وتصدق بالآخر. قال: فاحتطب ثم جاء بحطبه سالمًا لم

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٤٧

يصبه شيء، فجاؤوا إلى صالح عليه السلام وقالوا: قد جاء بحطبه سالمًا لم يصبه شيء. قال: فدعاه صالح عليه السلام وقال له: أي شيء صنعت اليوم؟

قال: خرجت ومعى قرصان، فتصدقتُ بأحدهما وأكلت الآخر. فقال صالح:

حُلّ حطبك، فحلّه، فإذا فيه أسود مثل الجذع عاضّ على جذل من الحطب، فقال: بهذا دفع عنك، يعنى بالصدقة» (١).

قصة الملكين ... ص: ٢٤٧

ومنها: قصة الملكين من بنى إسرائيل ... رواها صاحب (مختار مختصر تاريخ بغداد) عن عبدالصمد بن علي قال: «حدثني أبي عن جدّي عن النبي صلى الله عليه وسلم: إنّه كان في بنى إسرائيل ملكان أخوان على مدينتين، وكان أحدهما بارًا برحمه عادلاً على رعيتيه، وكان الآخر عاقاً برحمه جائراً على رعيتيه، وكان في عصرهما نبيّ، فأوحى الله إلى ذلك النبيّ إنّه قد بقي من عمر هذا البارّ ثلاث سنين وبقي من عمر هذا العاقّ ثلاثون سنة. قال: فأخبر النبيّ رعيتيه هذا ورعيتيه هذا، فأحزن ذلك رعيتيه الجائر وأحزن ذلك رعيتيه العادل. قال: ففرّقوا بين الأطفال والامهات وتركوا الطعام والشراب، وخرجوا إلى الصحراء يدعون الله تعالى أن يمتّعهم بالعدل ويزيل عنهم أمر الجائر. فأقاموا ثلاثاً، فأوحى الله إلى ذلك النبيّ أن أخبر عبادي بأنّي قد رحمتهم وأجبت دعائهم، فجعلت ما بقي من عمر هذا البارّ لذلك الجائر وما بقي من عمر الجائر لهذا البارّ. قال: فرجعوا إلى بيوتهم، ومات العاقّ لتمام ثلاث سنين، وبقي العادل فيهم ثلاثين سنة، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلّا في كتاب

(١) حياة الحيوان ١: ٣٧ «الأسود السالخ».

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٤٨

إنّ ذلك على الله يسير».

ورواه أبو الحسن البزار في كتابه في (فضائل أهل البيت) على ما نقل عنه في كتاب (مفتاح كنز الدراية) حيث قال:

«قال الإمام الثقة أبو الحسن علي بن معروف البزار، في حديث البرّ والصّلة وهو من آخر الجزء: حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد بن موسى بن محمّد ابن إبراهيم بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عباس قال:

حدّثني محمّد بن إبراهيم الإمام، عن عبدالصمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال: حدّثني أبي عن جدّي عبد الله رضي الله عنهما عن النبيّ صلى الله عليه وسلم إنّه قال: كان في بنى إسرائيل ملكان أخوان على مدينتين، وكان أحدهما بارًا برحمه عادلاً في رعيتيه، وكان الآخر عاقاً لرحمه جائراً على رعيتيه، وكان في مصرهما نبيّ، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى ذلك النبيّ إنّه قد بقي من عمر هذا البارّ ثلاث سنين وبقي من عمر هذا العاقّ ثلاثون سنة، فأخبر ذلك النبيّ رعيتيه هذا ورعيتيه هذا، فأحزن ذلك رعيتيه العادل وأحزن ذلك رعيتيه الجائر. قال:

ففرّقوا بين الأطفال والامهات وتركوا الطعام والشراب، وخرجوا إلى الصحراء يدعون الله عزّ وجلّ أن يمتّعهم بالعدل ويزيل عنهم أمر الجائر، فأقاموا ثلاثاً، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى ذلك النبيّ أن أخبر عبادي إنّي قد رحمتهم فأجبت دعائهم، فجعلت ما بقي من عمر هذا

البارّ لذلك الجائر وما بقي من عمر الجائر لهذا البارّ. قال: فرجعوا إلى بيوتهم، ومات العاقّ لتمام ثلاث سنين وبقي العادل فيهم ثلاثين سنة، ثم تلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلّا في كتاب إنّ ذلك على الله يسير» (١).

(١) مفتاح كنز الدراية - مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٤٩

والعجب من الدهلوى صاحب (التحفة الاثني عشرية) حيث يروى هذه القصة في كتابه (بستان المحدثين) المنتحل من (مفتاح كنز دراية المسموع) ومع ذلك يرّد على أخبار أهل الحق في مسألة البداء، وهذه عبارة (بستان المحدثين) حيث ذكر بأنّ (جزء فضائل أهل البيت) صنّفه أبو الحسن علي بن معروف البزار، وفي آخره في حديث البرّ والصلة:

«حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصّمد بن موسى بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن علي بن عبد الله بن عباس قال: حدّثني محمّد بن إبراهيم الإمام عن عبد الصّمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال: حدّثني أبي عن جدّي عبد الله رضي الله عنه قال:

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنّه كان في بني إسرائيل ملكان أخوان على مدينتين، كان أحدهما باراً برحمه عادلاً في رعيتيه، وكان الآخر عاقماً لرحمه جائراً على رعيتيه، وكان في عصرهما نبيّ، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى ذلك النبيّ: قد بقي من عمر هذا البارّ ثلاث سنين، وبقي من عمر هذا العاقّ ثلاثون سنة، فأخبر ذلك النبيّ رعيتيه هذا ورعيتيه هذا، فأحزن ذلك رعيتيه العادل وأحزن ذلك رعيتيه الجائر. قال: ففرّقوا بين الأطفال والامهات، وتركوا الطعام والشراب، وخرجوا إلى الصحراء يدعون الله عزّ وجلّ أن يمّتعهم بالعادل ويزيل عنهم أمر الجائر، فأقاموا ثلاثاً، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى ذلك النبيّ أن أخبر عبادي إنّي قد رحمتهم فأجبت دعائهم، فجعلت ما بقي من عمر هذا البارّ لذلك الجائر وما بقي من عمر الجائر لهذا البارّ. قال: فرجعوا إلى بيوتهم، ومات الجائر لتمام ثلاث سنين وبقي العادل فيهم ثلاثين سنة، ثم تلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلّا في كتاب

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٥٠

إنّ ذلك على الله يسير».

قصة الملك الذي إذا ذكر ذكر عمر ... ص: ٢٥٠

ومنها: قصة الملك الذي إذا ذكر ذكر عمر، ففي (الدر المنثور):

«أخرج ابن سعد في الطبقات عن كعب قال: كان في بني إسرائيل ملك، إذا ذكرناه ذكرنا عمر، وإذا ذكرنا عمر ذكرناه، وكان إلى جنبه نبيّ يوحى إليه، فأوحى الله إلى النبيّ أن يقول له: إعهد عهدك واكتب وصيتك فإنّك ميت إلى ثلاثة أيّام، فأخبره النبيّ بذلك، فلمّا كان اليوم الثالث وقع بين الجدار والسريّر ثمّ جاء إلى ربّه، فقال: اللهمّ إن كنت تعلم إنّي كنت أعدل في الحكم وإذا اختلف الأمر اتّبعته هداك وكيّت وكيّت، فزدني في عمري حتّى يكبر طفلي وتربو أمّي، فأوحى الله ... إلى النبيّ أنّه قد قال كذا وكذا وقد صدق، وقد زدته في عمره خمس عشرة سنة، ففي ذلك ما يكبر ولده وتربو أمته، فلمّا طعن عمر قال كعب: لئن سألت عمر ربّه ليقبضني، فأخبر بذلك عمر، فقال: اللهمّ اقبضني إليك غير عاجز ولا ملوم» (١).

قصة بعض الفضلاء ... ص: ٢٥٠

ومنها: قصة تغيير الأمر الإلهي في قبض روح بعض الفضلاء من أهل السنّة، كما حكاه الشعراي في (لواقح الأنوار) بترجمة الشيخ

محمد الشريبي، إذ قال:

«وأخبرني والده الشيخ أحمد أيضاً وصدقته على ذلك الإمام العالم العلامة شهاب الدين البهوني الحنبلي قال: مرضت مرّة حتّى أشرفت على

(١) الدر المنثور ٣: ٤٤٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٥١
الموت، وحضرني عزرائيل ورأيتّه جالساً عندي لقبض روحى، فدخل علىّ والدى فقال لعزرائيل: راجع ربك فإنّ ذلك الأمر تغير، فخرج عزرائيل وأنا أعيش إلى الآن، والحكاية لها أكثر من ثلاثين سنة» (١).

تبدل حال الرجل ... ص: ٢٥١

ومنها: تبدل حال الرجل من الشقاوة إلى السعادة، كما ذكر القاضى ثناء الله فى (تفسيره) بعد ذكر مذهب ابن مسعود وعمر، قال: «ويوافق مذهب عمر وابن مسعود رضى الله عنهما ما ذكر فى المقامات المجدديّة: أنّ المجدد رضى الله عنه نظر ببصيرة الكشف مكتوباً فى ناصية ملأ طاهر اللاهورى «شقى»، وكان ملأ طاهر معلماً لابنيه الكريمين محمّد سعيد ومحمّد معصوم رضى الله عنهما، فذكر المجدد رضى الله عنه ما أبصر لولديه الشريفيين، فالتمس منه رضى الله عنهم أن يدعو الله سبحانه أن يمحو عنه الشقاوة ويثبت مكانه السعادة، فقال المجدد رضى الله عنه: نظرت فى اللوح المحفوظ، فإذا فيه إنّه قضاء مبرم لا- يمكن رده، فألجأه ولداه الكريمان فى الدعاء لئلا التمس منه، فقال المجدد رضى الله عنه: تذكّرت ما قال غوث الثقلين السيّد السند محى الدين عبدالقادر الجيلى رضى الله عنه: إنّ القضاء المبرم أيضاً يردّ بدعوتى، فدعوت الله سبحانه وقلت: اللهم رحمتك واسعة وفضلك غير مقتصر على أحد، أرجوك وأسألك من فضلك العظيم أن تجيب دعوتى فى محو كتاب الشقاء من ناصية ملأ طاهر وإثبات السعادة مكانه، كما أجت دعوة السيّد السند رضى الله عنه. قال: فكأنتى أنظر إلى ناصية ملأ طاهر

(١) لوائح الأنوار- ترجمة الشيخ محمّد الشريبي.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٥٢

إنّه مّحى منها كلمة «شقى» وكتب مكانه «سعيد» وما ذلك على الله بعزيز».

قصة أبي رومى ... ص: ٢٥٢

ومنها: قصة أبي رومى، التى رووها عن ابن عباس، كما فى (الدر المنثور) قال: «أخرج ابن مردويه والديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان أبو رومى من شرّ أهل زمانه، وكان لا يدع شيئاً من المحارم إلّا ارتكبه، وكان النبىّ صلى الله عليه وسلّم يقول: لئن رأيت أبا رومى فى بعض أزقة المدينة لأضربن عنقه. وإنّ بعض أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلّم أتاه ضيف له، فقال لامرأته: إذهبي إلى أبي رومى فخذى لنا منه بدرهم طعاماً حتّى يبسر الله تعالى. فقالت له: إنك لتبعثنى إلى أبي رومى وهو أفسق أهل المدينة؟! فقال: إذهبي فليس عليك منه بأس إن شاء الله تعالى، فانطلقت فضربت عليه الباب، فقال: من هذا؟ قالت: فلانة. قال: ما كنت لنا بزوّارة؟! ففتح لها الباب فأخذها بكلام رفته، ومدّ يده إليها فأخذتها رعدة شديدة، فقال: ما شأنك؟ قالت: إنّ هذا عمل ما عملته قط. قال أبو رومى: ثكلت أبا رومى امه، هذا عمل عمّله وهو صغير لا تأخذه رعدة ولا يبالي على أبي رومى، عهد الله إن عاد لشيء من هذا أبداً.

فلما أصبح غدا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: مرحباً يا أبا رومي وأخذ يوسّع له المكان وقال له: يا أبارومي ما عملت البارحة؟ فقال: ما عسى أن أعمل يا نبي الله، أنا شرّ أهل الأرض، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الله قد حوّل مكتبك إلى الجنة فقال: «يمحو الله ما يشاء ويثبت».

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٥٣

وأخرج يعقوب بن سفيان وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

كان أبو رومي من شرّ أهل زمانه، وكان لا يدع شيئاً من المحارم إلّا ارتكبه، فلما أصبح غدا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رآه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بعيد قال: مرحباً يا أبا رومي وأخذ يوسّع له المكان، فقال له: يا أبا رومي، ما عملت البارحة؟ قال: ما عسى أن أعمل يا نبي الله، أنا شرّ أهل الأرض. فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الله جعل مكتبك إلى الجنة فقال: «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» (١).

وبعد:

فهل يبقى المعاندون يشعّون على الإمامية رواياتهم في البداء وعقيدتهم في هذه الحقيقة الدينية؟ وهل يستمرون على التبجح بكلام سليمان ابن جرير الزيدي (٢) وأمثاله من أعداء أهل البيت؟

(١) الدر المنثور ٤: ٦٦٣.

(٢) انظر الملل والنحل ١: ١٥٩-١٦٠.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٥٥

الميثاق والصّور ... ص: ٢٥٥

إشارة

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٥٧

رأى السيد المرتضى في خبر الميثاق ... ص: ٢٥٧

لقد نسب الشيخ عبدالعزيز الدهلوي صاحب كتاب (التحفة الإثني عشرية) - تبعاً لشيخه الكابلي صاحب (الصواقع) - إلى السيد المرتضى - رضي الله عنه - الحكم بوضع خبر الميثاق، وقد أجاب عن ذلك علماً ونا الأعلام في ردودهم على كتاب (التحفة) بالجملة والتفصيل، وكان مجمل كلامهم: إن السيد المرتضى لم يكذب أخبار الميثاق المرويّة بالطرق المختلفة والأسانيد المتكثّرة، ونحن نذكر أولاً كلام (التحفة) ثمّ نعقبه بنصّ عبارة السيد المرتضى رحمه الله، ليّتضح واقع الحال، ويظهر كذب الدهلوي فيما نسب إلى السيد من المقال:

قال الدهلوي في (التحفة) عند تعداد موارد غلوّ الإمامية في الأئمة المعصومين عليهم الصلاة والسلام:

«الثاني - قولهم: إن الله تعالى أخذ من الملائكة والأنبياء الميثاق على ولاية الأئمة وطاعتهم.

وهذا أيضاً خلاف العقل تماماً، لأنّ أخذ الميثاق من الأنبياء على ذلك - مع العلم القطعي بعدم معاصرتهم للأئمة - عبث محض، إذ الغرض من أخذ الميثاق هو النصرة والإعانة وبيان المناقب ونشر المدائح، وأيّ فائدة في ذلك مع عدم اتّحاد الزمان. وأمّا أخذ الميثاق منهم على بيان وصف خاتم الأنبياء كما في القرآن المجيد، فلا نّ نصوص نبوته وصفاته ونعوته نازله في الكتب

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٥٨

السماءية ومصّرَح بها فيها، ووجود أهل الكتاب في زمانه وإظهار تلك النصوص على يده مقطوع به، فلذا أخذ الميثاق من الأنبياء على تفهيم تلك النصوص وتبليغها إلى اممهم، وأخذ ذلك الميثاق من الامم أيضاً، حتى تبقى تلك النصوص قرناً بعد قرن، من دون تغيير وتبدل، إلى أن يأتي وقت الحاجة إلى إظهارها والإحتجاج بها.

بخلاف إمامة الأئمة، فلا هي ممّا نزل في كتب الأنبياء، ولا هي ممّا ابلغ به الامم، ولا ممّا وقعت الحاجة إلى إظهاره؛ لأنّ الإمامة إنّما تثبت بالنصّ من النبي، لكونها نيابةً عنه، ولم يراجع أهل الكتاب بشأنها ولم يكن لقولهم فيها اعتبار، ولو كان أخذ الميثاق في هذا الأمر ضرورياً، لأخذ من أبي بكر وعمر وعثمان، بل كان على النبي أن يأخذ منهم كتاباً في أن ليس لهم حقّ في الإمامة، ويستشهد على ذلك الثقات، ويودعه عند الأمير، لا أن يأخذ الميثاق من موسى وعيسى وهارون، الذين ليس لهم ولا لتابعهم دخل في غضب الإمامة من الأئمة أو تقريرها والتسليم بها.

ومستمسك هؤلاء في هذا الغلوّ الباطل ما رواه محمّد بن الحسن الصفّار عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر يقول: إنّ الله أخذ ميثاق النبيين بولاية عليّ بن أبي طالب.

وما رواه محمّد بن بابويه في كتاب التوحيد عن داود الزرقى عن أبي عبد الله في خبر طويل قال: لما أراد الله أن يخلق الخلق نشرهم بين يديه وقال:

من أنا؟ فكان أول من نطق رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، فقالوا: أنت ربنا. فحملهم العلم والدين ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة علمي وديني وأمانتي من خلقي، ثم قال لبي آدم: أقروا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٥٩

بالطاعة، فقالوا: نعم ربنا أقرنا.

في هذه الرواية والرواية السابقة لم يذكر أخذ الميثاق من الملائكة، وإنّما الغرض من الرواية الثانية مجرد إظهار فضل الأئمة وشرفهم عند الملائكة، ومن الواضح أن لا معنى لأخذ الميثاق من الملائكة، ولذا لم يدخل الملائكة في أخذ ميثاق من الموائيق؛ لأنّ الميثاق إنّما يؤخذ من المكلفين، لأنّهم الذين يحتمل منهم الطاعة والعصيان، بخلاف الملائكة فإنّهم «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون» فأى فائدة في أخذ الميثاق منهم؟

وأيضاً، فلم يذكر في الرواية الأخيرة أخذ الميثاق من الأنبياء، إلّا أن يستفاد ذلك من عموم لفظ «بنى آدم» ولكن قد اشتهر أنه: ما من عام إلّا وقد خصّ منه البعض.

وأيضاً، فإنّ هذه الرواية فيها أخذ ميثاق الطاعة للنبي والأمير والأئمة فقط، فلا بدّ وأن يكون وجوب الطاعة للأنبياء أولى العزم وغيرهم- الذي لا شك في ثبوته- قد وقع بطريق البداء!

والرواية التي تعجب هؤلاء القوم تجدها في مجاميع الشيخ ابن بابويه، فقد روى ابن بابويه في خبر طويل عن ابن عباس عن النبي أنّه لما اسرى به وكلمه ربّه قال بعد كلام: إنك رسولي إلى خلقي وإنّ عليّاً وليّ المؤمنين، أخذت ميثاق النبيين وملائكتي وجميع خلقي بولايتيه.

وأحوال الصفّار وابن بابويه ورجالهما- خصوصاً محمّد بن مسلم وغيره- معروفة، وركّة ألفاظ هذه الأخبار تشهد بكونها كذباً وافتراءً، ومع هذا، فإنّ أهل السنّة- والحمد لله- في غنى عن توهين وتضعيف هذه الأخبار أو تأويل هذه المفتريات؛ لأنّ الشريف المرتضى- الملقّب بزعم الشيعة ب «علم الهدى»

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٦٠

- قد أثبت جدارته بهذا اللقب في كتابه (الدرر والغرر) بتكذيب خبر الميثاق بكلّ جزم وحتم، وكفى الله المؤمنين القتال» «١».

التحقيق فيما نسب إلى السيد المرتضى ... ص: ٢٦٠

حاصل هذا الكلام دعوى موافقة السيد المرتضى العامة في إنكار أخذ الميثاق على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام من الأنبياء والملائكة، وهل هذا إلا محض البهتان وصريح الإفك وواضح الهذيان؟ وتوضيح ذلك:

أولاً: إن السيد المرتضى لم يذكر في كتابه (الدرر والغرر) خبر الميثاق أصلاً، فضلاً عن أن يكذب أو يصدق به، نعم، قد ذكر السيد قوله تعالى «وإذ أخذ ربك من بنى آدم»... وأنكر أن يكون المراد منها أن الله تعالى أخذ من جميع ذرية آدم الذين في ظهره الميثاق على الإقرار بمعرفته تعالى، وأنه أشهدهم على ذلك، وإنما ذكر للآية تأويلاً آخر، وأي ربط لذلك بتكذيب أخبار الميثاق؟! وثانياً: إنه على فرض أن السيد ينكر وقوع أخذ الميثاق في عالم الأرواح، فأين الدليل من كلامه على إنكار أخذ الميثاق على الإطلاق كما يدعيه الدهلوي؟ وكيف يثبت بذلك تضعيف خبر الصفار وخبر ابن بابويه الدالين على مطلق أخذ ميثاق ولاية أمير المؤمنين عليه السلام؟

فظهر أن نسبة تكذيب أخبار الميثاق على الإطلاق إلى السيد المرتضى كذب بحت وبهتان صريح، وهذا كتاب (الغرر والدرر) موجود بين أيدي الناس، ونسخه شائعة في البلاد...

(١) التحفة الاثني عشرية: ١٦١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٦١

وبعد، فإن العلماء قد اختلفوا في معنى الآية المباركة على قولين، فذهب الأكثر إلى الأخذ بظاهرها وقالوا: بأن ذرية آدم كانوا في عالم الأرواح ذوى عقول - كما هم في هذا العالم - وقد أخذ منهم الميثاق، وقال جماعة - منهم السيد المرتضى - بتأويل الآية على معنى آخر، وهذا نص عبارة السيد في الكتاب المذكور:

«إنه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيباً يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته، وأراهم العبر والآيات والدلائل في غيرهم وفي أنفسهم، كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم، وكانوا - في مشاهدته ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي أراده الله تعالى وتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته - بمنزلة المقرّ المعترف وإن لم يكن هناك إظهار ولا اعتراف على الحقيقة، ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: «ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» وإن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب، ومثله قوله تعالى: «شاهدنا على أنفسهم بالكفر» ونحن نعلم أن الكفار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم، وإنما لما يظهر منهم ظهوراً لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به»... ١.

فدل هذا الكلام منه على أنه غير منكر لأصل الميثاق، وإنما له كلام في كلفه، وله رأى في تأويل الآية.

رأى الغزالي في خبر الميثاق ... ص: ٢٦١

وهذا بخلاف الغزالي مثلاً - من علماء القوم - فإنه ينكر أصل الميثاق كما في كتابه (المضنون به على أهله):

(١) الغرر والدرر/ أمالي السيد المرتضى ١: ٣٠.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٦٢

«ف قيل له - أي للغزالي -: إن كانت الأرواح حادثة مع الأجساد، فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد»

بألفى عام، وقوله عليه السلام: أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً، وقال عليه السلام: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين؟ فقال رضى الله عنه: شىء من هذه لا يدل على قدم الروح، بل يدل على حدوده وكونه مخلوقاً، نعم، ربّما يدل بظاهره على تقدّم وجوده على الجسد، وأمر الظواهر ضعيف وتأويلها يمكن، والبرهان القاطع لا يدرء بالظواهر، بل يسلّط على تأويل الظواهر، كما فى ظواهر التشبيه فى حقّ الله.

وأما قوله صلّى الله عليه وسلّم: خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفى عام، فأراد بالأرواح أرواح الملائكة، وبالأجساد أجساد العالم من العرش والكرسى والسموات والكواكب والماء والهواء والأرض، كما أنّ أجساد آدميين بجملتهم صغيرة بالإضافة إلى الأرض، وجرم الأرض أصغر من الشمس بكثير، ثم لا- نسبة لجرم الشمس إلى فلكه، ولا- لفلكه إلى السماوات التى فوقه، ثمّ كلّ ذلك اتّسع له الكرسى، إذ وسع كرسى السماوات والأرض، والكرسى صغير بالإضافة إلى العرش، فإذا تفكّرت فى جميع ذلك، استحققت جميع أجساد آدميين، ولم تفهمها من مطلق لفظ الأجساد.

فكذلك فاعلم وتحقّق: أنّ أرواح البشر بالإضافة إلى أرواح الملائكة كأجسادهم بالإضافة إلى أجساد العالم، ولو انفتح لك باب معرفة أرواح الملائكة لرأيت الأرواح البشرية كسراج اقتبس من نار عظيمة طبّق العالم، وتلك النار العظيمة هى الروح الأخير من أرواح الملائكة، ولأرواح الملائكة ترتيب، ولكلّ واحد انفراد بمرتبته، ولا يجتمع فى مرتبة واحدة اثنان، بخلاف

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٦٣

الأرواح البشرية المتكثّرة مع اتّحاد النوع والمرتبته، أما الملائكة فكلّ واحد نوع برأسه وهو كلّ ذلك النوع، وإليه الإشارة بقوله تعالى: «وإنّا لنحن الصّافون وإنّا لنحن المسبحون» ويقول النبى صلّى الله عليه وسلّم: إنّ الراكع منهم لا يسجد، والقائم منهم لا يركع، وإنه ما من واحد إلّاه مقام معلوم، فلا تفهمنّ إذاً من الأرواح والأجساد المطلقة أرواح الملائكة.

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً؛ فالخلق هاهنا هو الإيجاد، فإنّه قبل أن ولدته أمه ليس موجوداً مخلوقاً، ولكن الغايات والكمالات سابقة فى التقدير لاحقة فى الوجود، وهو معنى قولهم:

أول الفكرة آخر العمل. بيانه: أنّ المقدّر المهندس أول ما يتمثّل صورته فى تقديره، وهى دار كاملة، وآخر ما يوجد فى أثر أعماله هى الدار الكاملة؛ فالدار الكاملة أول الأشياء فى ذهنه تقديراً وآخرها وجوداً، لأنّ ما قبلها من ضرب اللبنة وبناء الحيطان وتركيب الجذوع وسيلة إلى غاية الكمال وهى الدار، فالغاية هى الدار، ولأجلها تقدّر الآلات والأعمال «١».

فإن لم يتيسّر الوقوف على كتاب الغزالي، فقد نقل المتأخرون مقالته فى كتبهم، ففى (المواهب اللدنيّة) - مثلاً - جاء محصّل المقالة المذكورة حيث قال:

«فإن قلت: إنّ النبوّة وصف، ولا بدّ أن يكون الموصوف به موجوداً، وإنّما يكون بعد بلوغ أربعين سنه أيضاً، فكيف يوصف به قبل وجوده وإرساله؟»

(١) المصنّون به على أهله. وهذا الكلام موجود فى رسالته (الأجوبة الغزالية فى المسائل الاخروية) ضمن (مجموعة رسائل الإمام الغزالي): ١٧٨ - ١٨٠.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٦٤

قلت: أجاب الغزالي فى كتاب النفخ والتسوية عن هذا وعن قوله عليه الصّلاة والسّلام: أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً، بأنّ المراد بالخلق هنا التقدير دون الإيجاد، فإنّه قبل أن ولدته أمه لم يكن موجوداً مخلوقاً، ولكن الغايات والكمالات سابقة فى التقدير لاحقة فى الوجود «... ١».

فإنّ هذا الكلام يفيد أنّ الغزالي ينكر تقدّم خلق الأرواح على الأجساد، ولا يسلم بأنّ للخلق وجوداً سابقاً على ولادتهم الظاهريّة فى

هذا العالم، ولا يرى خلقه للنبي قبل وجوده الظاهري، فضلاً عن القول بالوجود في عالم الذرّ.

ومن الواضح أن أخذ الميثاق في عالم الأرواح فرع على وجودها فيه.

فالغزالي ينكر وقوع الميثاق في ذلك العالم، مع دلالة الأحاديث الكثيرة الواردة من طرقهم في ذلك، وكونها مخرّجةً في كتابي البخاري ومسلم، وفي الموطأ لمالك (٢)، وغيرها من كتبهم ... كما أن السيوطي أخرج ما يقارب الخمسين حديثاً في أخذ الميثاق من ذرية آدم في عالم الأرواح، بذيل الآية المباركة من (الدرّ المنتور) (٣).

وقد نصّ الشعراني في (اليواقيت) على ابتناء كثيرٍ من الإعتقادات في إثبات الحشر والنشر على مسألة الميثاق (٤).
وحينئذٍ، فكلّ جوابٍ يذكرونه من طرف الغزالي، فهو الجواب من طرف السيّد المرتضى لو صحّت النسبة إليه!

(١) شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمّدية ١: ٣٦.

(٢) الموطأ ٢: ٨٩٨-٨٩٩ / ٢ كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر.

(٣) الدرّ المنتور ٣: ٥٩٨-٦٠٧.

(٤) اليواقيت والجواهر: ٤٣٩-٤٤٢.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٦٥

رأى مجاهد في آية الميثاق ... ص: ٢٦٥

هذا، وقد أنكر مجاهد أخذ الميثاق من الأنبياء، والتزم بتحريف الآية المباركة الناصّة على ذلك، كما ذكر السيوطي في (تفسيره) إذ قال:

«أخرج عبد بن حميد والفريابي وابن جرير وابن المنذر، عن مجاهد في قوله تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتابٍ وحكمه» قال: هي خطأ من الكتاب، وهي في قراءة ابن مسعود: ميثاق الذين اتوا الكتاب.

وأخرج ابن جرير عن الربيع أنه قرأ: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب، قال: وكذلك كان يقرؤها ابى بن كعب، قال الربيع: ألا ترى إنه يقول:

«ثم جاءكم رسولٌ مصدّقٌ لما معكم لتؤمننَّ به ولتنصرنَّه» لتؤمننَّ بمحمّد ولتنصرنَّه. قال: هم أهل الكتاب» (١).

حول كلام الطبرسي في آية الصّور ... ص: ٢٦٥

وقد نسب إلى الشيخ الطبرسي بل إلى الشيخ المفيد القول بأنّ «الصّور» في قوله تعالى: «ونفخ في الصّور فصعق من في السماوات ومن في الأرض» (٢)

هو «جمع صورة» وليس المراد «صور إسرائيل».

وهذه النسبة باطلة، وقد نشأت من الخطأ والغلط في فهم عبارة الشيخ المجلسي ...

فإنّ هذا المتوهم قد نظر إلى قول الشيخ المجلسي: «وأما الصّور فيجب الإيمان به، على ما ورد في النصوص الصريحة، وتأويله بأنّه جمع الصورة كما

(١) الدرّ المنتور ٢: ٢٥٢.

(٢) سورة الزمر ٣٩: ٦٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج 1، ص: 266

مرّ من الطبرسى وقد سبقه الشيخ المفيد «... 1» وغفل عن كلامه السابق حيث قال:

«قال الطبرسى فى قوله تعالى: «وَنُفِخَ فى الصُّورِ»: اختلف فى الصور.

ف قيل: هو قرن ينفخ فيه. عن ابن عباس وابن عمر. وقيل: هو جمع صورة، فإنّ الله يصوّر الخلق فى القبور كما صوّرهم فى أرحام الامّهات، ثم ينفخ فيهم الأرواح كما نفخ وهم فى أرحام امهاتهم. عن الحسن وأبى عبيدة.

وقيل: إنّه ينفخ إسرافيل فى الصور ثلاث نفخات: النفخة الاولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق يصعق من فى السماوات والأرض بها فيموتون، والثالثة نفخة القيام لربّ العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم» (2).

فهذا كلام صاحب (مجمع البيان)، وأين اختيار القول الذى نسب إليه؟

فقول الشيخ المجلسى: «كما مرّ من الطبرسى» يعنى: كما مرّ نقل هذا القول - الذى قاله غير الطبرسى - من الطبرسى، حيث نقله فى تفسيره، لا أنّه قائل به ومعتقد له.

بل لعلّ فى تقديمه القول الأوّل إشارة إلى اختياره له ... بل إنّ كلامه فى تفسير الآية المذكورة صريح فى ذلك، فإنّه قال فى (مجمع البيان):

«(ونفخ فى الصور) وهو قرن ينفخ فيه إسرافيل. ووجه الحكمه فى ذلك: إنّها علامة جعلها الله ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم فى دار التكليف ثمّ

(1) بحار الأنوار 6: 336.

(2) بحار الأنوار 6: 318.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج 1، ص: 267

تجديد الخلق، فشبّه ذلك بما يتعارفونه من بوق الرحيل والنزول، ولا تتصوّر النفوس بأحسن من هذه الطريقة. وقيل: إنّ الصور جمع صورة، فكأنّه ينفخ فى صور الخلق» (1).

ثمّ قال رحمه الله: «فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض» أى:

يموت من شدّة تلك الصيحة التى يخرج من الصور جميع من فى السماوات والأرض، يقال: صعق فلان: إذا مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة العظيمة».

قال: «ثمّ نُفِخَ فيه اخرى» يعنى: نفخة البعث، وهى النفخة الثانية.

وقال قتادة فى حديث رفعه: إنّ ما بين النفختين أربعين سنة. وقيل: إنّ الله تعالى يفنى الأجسام كلّها بعد الصعق وموت الخلق ثمّ يعيدها. وقوله: «فإذا هم قيام» إخبار عن سرعة إيجادهم، لأنّه سبحانه إذا نفخ النفخة الثانية أعادهم عقيب ذلك فيقومون من قبورهم أحياء» (2).

وعلى هذا المنوال كلامه فى تفسيره الآخر (جوامع الجامع) فى قوله تعالى: «يوم يُنْفَخُ فى الصور» (3): «والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل نفختين، يفنى الخلق بالنفخة الاولى ويحيون بالثانية. وعن الحسن إنّ جمع صورة» (4).

وقد قال فى (مجمع البيان) بتفسيرها: «وأما الصور فقيل فيه إنّ قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام نفختين، يفنى الخلائق كلّهم بالنفخة الاولى ويحيون بالنفخة الثانية، فتكون الاولى لانتهاى الدنيا والثانية لابتداء الآخرة».

وقال الحسن: هو جمع صورة، كما أنّ السور جمع سورة، وعلى هذا فيكون معناه: يوم ينفخ الروح فى الصور.

ويؤيد الأوّل: ما رواه أبو سعيد الخدرى عن النبىّ صلّى الله عليه وآله

(١) مجمع البيان فى تفسير القرآن ٨: ٤٥٩.

(٢) مجمع البيان ٨: ٤٦٠.

(٣) سورة الأنعام ٦: ٧٣.

(٤) جوامع الجامع ١: ٥٨٤.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٦٨

وسلم إنه قال: كيف أنتم وقد التقم صاحب القرن وحننا جبينه وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ؟ قالوا: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

والعرب تقول: نفخ الصور ونفخ فى الصور، قال الشاعر:

لولا ابن جعدة لم يفتح قهندركم ولا خراسان حتى ينفخ الصور» (١)

وكما أريد القول الأول هنا بالحديث، كذلك أيده به بتفسير «يوم ينفخ فى الصور» حيث قال: «وقد ورد ذلك فى الحديث» أى: إن القول الآخر لا مؤيد له فى الأحاديث...

وقال بتفسير «فإذا نُقِر فى الناقور»: «الناقور فاعول من النقر، كهاضوم من الهضم وحاطوم من الحطم، وهو الذى من شأنه أن ينقر فيه للتصويت به» قال:

«معناه: إذا نفخ فى الصور، وهى كهيشة البوق، عن مجاهد. وقيل: إن ذلك فى النفخة الأولى وهو أول الشدة الهائلة العامة. وقيل: إنه النفخة الثانية، وعندها يحيى الله الخلق وتقوم القيامة وهى صيحة الساعة، عن الجبائى» (٢).

وعلى الجملة، فإن التتبع فى كلمات الشيخ الطبرسى فى المواضع المختلفة من تفسيره، يفيد أن ما نسب إليه من إنكار الصور بالمعنى بالمذكور من غرائب التوهّمات، بل من عجائب الإفتراءات.

حول كلام المفيد فى معنى «الصور»

وأما ما نسب إلى الشيخ المفيد رحمه الله من تأويل «الصور»، وأنه يقول

(١) مجمع البيان ٤: ٩٥.

(٢) مجمع البيان ١٠: ١٩١ و ١٩٥.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٦٩

بأنه جمع للصورة، ففيه كلام كذلك، ومجرد قول الشيخ المجلسى «وسبقه الشيخ المفيد» لا يكفى، إذ يحتمل أن يكون مراده أن الشيخ المفيد قد سبق الشيخ الطبرسى فى نقل القول المذكور عن بعض العامة.

ولو سلمنا أن الشيخ المفيد يجوز أن يكون «الصور» جمعاً للصورة، فإنه لا ينكر «الصور» بمعنى «القرن» الذى ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، لثبوت ذلك فى الكتاب والسنة، غاية ما هناك أنه يجوز فى بعض تلك الأدلة أن يكون «الصور» جمعاً للصورة، وذلك لا

يلزم إنكار كون المراد هو «القرن» فى البعض الآخر كما هو واضح...

فإن كان الخصم فى شك من هذا، ذكرنا له كلام إمامه الفخر الرازى بتفسير قوله تعالى: «يوم يُنْفَخ فى الصور» فإنه يصدق ما قلناه تماماً، وهذا نصه:

«المسألة الثالثة: قوله تعالى: «يوم يُنْفَخ فى الصور» لا شبهة أن المراد منه يوم الحشر، ولا شبهة عند أهل الإسلام أن الله سبحانه خلق قرناً ينفخ فيه ملك من الملائكة، وذلك القرن مسمى بالصور على ما ذكر الله هذا المعنى فى مواضع من الكتاب الكريم، ولكنهم

اختلفوا في المراد بالصّور في هذه الآية على قولين: الأوّل: إنّ المراد منه ذلك القرن الذى ينفخ فيه وصفته مذكورة في سائر السور، والقول الثانى: إنّ الصور جمع صورة، والنفخ فى الصور عبارة عن النفخ فى صور الموتى» (١).

فلو فرض تفسير الشيخ المفيد لفظ «الصور» فى بعض الموارد ب «جمع الصورة»، فإنّ هذا لا يستلزم كونه منكرًا وجود «الصور» بمعنى «النفخ»، وكيف

(١) تفسير الرازى ١٣: ٣٣.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٧٠

يجوز نسبة ذلك إليه؟ والحال أنّ كلامه فى (أجوبة المسائل السروية) صريح فى الاعتقاد بالصور. وهذه عبارة السؤال والجواب على ما نقل فى (البحار):

«ما قوله- أدام الله تأييده- فى عذاب القبر وكيفيته؟ ومتى يكون؟ وهل تردّ الأرواح إلى الأجساد عند التعذيب أم لا؟ وهل يكون العذاب فى القبر أو يكون بين النفختين؟

الجواب: الكلام فى عذاب القبر طريقه السمع دون العقل، وقد ورد عن أئمة الهدى عليهم السلام أنّهم قالوا: ليس يعذب فى القبر كلّ ميت، وإنّما يعذب من جملة من محض الكفر محضاً، ولا- ينعم كلّ ماض لسبيله، وإنّما ينعم منهم من محض الإيمان محضاً، فأما سوى هذين الصنفين فإنّه يلهى عنهم، وكذلك روى: أنّه لا يُسئل فى قبره إلاّ هذان الصنفان خاصّة، فعلى ما جاء به الأثر من ذلك يكون الحكم ما ذكرناه.

فأما عذاب الكافر فى قبره، ونعيم المؤمنين فيه، فإنّ الخبر أيضاً قد ورد بأنّ: الله تعالى يجعل روح المؤمن فى قالب مثل قلبه فى الدنيا فى جنّه من جناحه ينعمه فيها إلى يوم الساعة، فإذا نُفخ فى الصور انشئ جسد الذى بلى فى التراب وتمزّق، ثمّ أعاده إليه وحشره إلى الموقف وأمر به إلى جنّه الخلد، فلا- يزال منعماً ببقاء الله عزّوجلّ، غير أنّ جسده الذى يعاد فيه لا يكون على تركيبه فى الدنيا، بل تعدّل طباعه وتحسّن صورته، فلا يهرم مع تعديل الطباع، ولا يمسه نصب فى الجنّه ولا لغوب.

والكافر يجعل فى قالب كقلبه فى الدنيا فى محلّ عذاب يعاقب به ونار يعذب بها حتى الساعة، ثمّ انشئ جسد الذى فارقه فى القبر ويعاد إليه، ثمّ يعذب به فى الآخرة إلى الأبد، ويركب أيضاً جسده تركيباً لا يفنى معه، وقد

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٧١

قال الله عزّوجلّ اسمه: «النار يُعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب» وقال فى قصّة الشهداء: «ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يُرزقون».

فدلّ أنّ العذاب والثواب يكونان قبل يوم القيامة وبعدها.

والخبر وارد بأنّه يكون مع فراق الروح الجسد من الدنيا، والروح هاهنا عبارة عن الفعّال الجوهر البسيط، وليس بعبارة عن الحياة التى يصحّ معها العلم والقدرة، لأنّ هذه الحياة عرض لا يبقى ولا يصحّ الإعادة فيه.

فهذا ما عوّل عليه بالنقل وجاء به الخبر على ما بيّناه» (١).

هذا كلام الشيخ المفيد، وهو نصّ قاطع فى أنّه غير منكر للصور، بل ذكر عقيدته على أساس الأخبار المرويّة عن الأئمة الأطهار- عليهم السلام- وجعلها المعوّل عليه والمعتمد.

ولا يتوهم أنّ هذا الكلام أيضاً، يحتمل كون المراد من الصور هو نفخ الأرواح فى الأجساد، وأنّ الصور جمع الصورة.

لأنّ هذا الاحتمال فاسد قطعاً، وكلامه صريح فى أنّ المراد من «الصور» هو «القرن» لا جمع الصورة، ويدلّ على ذلك وجهان:

الأوّل: قوله: «فإذا نفخ فى الصور انشئ جسده»... فإنّه يدلّ بوضوح على أنّ إنشاء الجسد إنّما يكون بعد نفخ الصور، فنفس الصور

متقدّم على إنشاء الجسد الذى بلى فى التراب وتمزّق، وهذا مقتضى الشرط والجزاء، فإنّ الجزء متفرّع على وجود الشرط متأخّر عنه. ومن البديهي أنّه لو كان «الصور» جمع الصّورة، وكان المراد نفخ الأرواح فى الأجساد، لم يكن تأخّر إنشاء

(١) بحار الأنوار ٦: ٢٧٢-٢٧٣ عن أجوبة المسائل السروية.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٧٢

الجسد، وإلّا لزم تأخّر الشىء عن نفسه، لأنّ النفخ فى الصور- على تقدير كون «الصور» جمع الصّورة- هو نفخ الأرواح فى الأجساد، فلا بدّ من إنشاء الأجساد قبل النفخ حتى ينفخ فيها الأرواح.

الثانى: إنّ لفظه «ثمّ» فى قوله: «ثمّ أعاد إليه وحشره إلى الموقف»...

صريحٌ فى تأخّر إعادة الروح إلى الجسد عن نفخ الصور وإنشاء الجسد، كما هو ظاهر لفظه «ثمّ» الموضوعه للتراخي والبعديّة، ولا ريب أنّ إعادة الروح إلى الجسد هو عين نفخ الروح فيه... فلو كان المراد من «فإذا نُفخ فى الصور» هو جمع الصّورة، وكان المراد من النفخ هو نفخ الأرواح فى الأجساد، لزم تأخّر الشىء عن نفسه.

وتلخص: أنّ الشيخ المفيد رحمه الله يقول بوجود الصور بمعنى القرن، وبوقوع النفخ فيه كما دلّت عليه الأدلّة، وقد أشار إليها فى جواب السؤال ونصّ على الإعتماد عليها... فلا يجوز نسبة غير ذلك إليه ألبيته.

عقيدة الحسن البصرى وأبى عبيدة... ص: ٢٧٢

لكنّها عقيدة الحسن البصرى وأبى عبيدة وغيرهما من أهل السنّة، وقد نصّ غير واحدٍ من أعلام القوم على أنّها خلاف ما عليه أهل السنّة والجماعة:

قال العيني فى (عمدة القارى) بشرح قول البخارى: (باب نفخ الصور):

«الصور، وهو بضمّ الصاد وسكون الواو، وذكر عن الحسن أنّه قرأها بفتح الواو جمع الصّورة، وتأوّل على أنّ المراد النفخ فى الأجسام ليعاد إليها الأرواح. قال الأزهرى: إنّ خلاف ما عليه أهل السنّة والجماعة» (١).

(١) عمدة القارى بشرح البخارى ٢٣: ٩٨ باب نفخ الصور.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٧٣

بل هو عقيدة جماعة... ص: ٢٧٣

وليس هذا قول الحسن وحده، ففى (فتح البارى) ما نصّه:

«باب نفخ الصور، تكرر ذكره فى القرآن، فى الأنعام والمؤمنين والنمل والزمر وقاف وغيرها، وهو بضمّ المهملة وسكون الواو، وثبت كذلك فى القراءات المشهورة والأحاديث، وذكر عن الحسن البصرى أنّه قرأها بفتح الواو جمع صّورة، وتأوّل على أنّ المراد النفخ فى الأجساد ليعاد إليها الأرواح. وقال أبو عبيدة فى المجاز: يقال الصور يعنى بسكون الواو جمع صّورة، كما يقال سور المدينة جمع سورة. قال الشاعر:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة

فيستوى معنى القراءتين.

وحكى مثله الطبرى عن قوم وزاد: كالصوف جمع صوفة.

قالوا: والمراد بالنفخ في الصور- وهى الأجساد- أن تعاد فيها الأرواح، كما قال تعالى: «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي». وتعقب قوله: جمع، بأن هذه أسماء أجناس لا جموع. وبالغ النحاس وغيره فى الرد على التأويل المذكور. وقال الأزهري: إنه خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة» (١). وقال الرازي فى (تفسيره):

«إعلم: إن الله سبحانه لما قال «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون» ذكر أحوال ذلك اليوم فقال: «فإذا نُفِخَ فى الصور» وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الصور آله، إذا نفخ فيها يظهر صوت عظيم جعله الله علامة

(١) فتح البارى فى شرح البخارى ١١: ٣٠٨ باب نفخ الصور.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٧٤

لخراب الدنيا وإعادة الأموات. روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قرن ينفخ فيها.

وثانيها: إن المراد من الصور مجموع الصور، والمعنى: فإذا نفخ فى الصور أرواحها، وهو قول الحسن، وكان يقرأ بفتح الواو، وبالفتح والكسر عن أبى رزين، وهو حجة لمن فسّر الصور بجمع صورة. وثالثها: إن النفخ فى الصور استعارة، والمراد منه البعث والحشر. والأولى الأول» (١).

وقال ابن الأثير فى (النهاية):

«وفيه ذكر النفخ فى الصور، هو القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام عند بعث الموتى إلى المحشر. وقال بعضهم: إن الصور جمع صورة، يريد صور الموتى ينفخ فيه الأرواح، والصحيح الأول، لأن الأحاديث تعاضدت عليه تارة بالصور وتارة بالقرن» (٢). وقال محمد طاهر فى (مجمع البحار):

«ونفخ فى الصور، هو قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام عند بعث الموتى إلى المحشر، وقيل: هو جمع صورة يريد صور الموتى ينفخ فيها الأرواح، والصحيح الأول لتظاهر الأحاديث فيه» (٣). وفى (الصحاح):

«الصور القرن. قال الراجز:

(١) تفسير الرازي ٢٣: ١٢١.

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر «صور».

(٣) مجمع البحار «صور».

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٧٥

لقد نطحناهم غداة الجمع نطحاً شديداً لا كنطح الصورين

ومنه قوله تعالى: «يوم ينفخ فى الصور» قال الكلبي: لا- أدرى ما الصور، ويقال: هو جمع صورة مثل بسرة وبسر، أى ينفخ فى صور الموتى الأرواح، وقرأ الحسن يوم ينفخ فى الصور، والصور- بكسر الصاد- لغة فى الصور جمع صورة» (١... ١). وفى (تفسير البغوى):

«والصور قرن ينفخ فيه. قال مجاهد كهيشة البوق، وقيل: هو بلغة أهل اليمن. وقال أبو عبيدة: الصور هو الصور جمع الصورة، وهو قول

الحسن.

والأول أصحّ» (٢).

بل هو القول المشهور بينهم ... ص: ٢٧٥

وظاهر (تفسير النيسابورى) أنّه قول مشهور:

«وفى الصور قولان، أشهرهما: أنّه القرن، يؤيّده قوله تعالى: «فإذا نُقِرَ فى النَّاقورِ» وإنّه تعالى يُعرّف أمور الآخرة بأمثال ما شوهد فى الدنيا، ومن عادة الناس النفخ فى البوقات عند الأسفار وفى العساكر، فجعل الله تعالى النفخ فى تلك الآلة علامة لخراب الدنيا ولإعادة الأموات.

وأقربهما من المعقول أنّ الصور جمع صورة، يؤكده قراءة من قرأ بفتح الراء، ويقال: صورة وصُور وصِور، كدرة ودُرّة» (٣).

(١) صحاح اللغة ٢: ٧١٦.

(٢) تفسير البغوى ٢: ٣٧٧.

(٣) تفسير النيسابورى ٤: ٥٧٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٧٦

وهو قول أهل اللغة منهم ... ص: ٢٧٦

وصريح كلام السجستاني فى (غريب القرآن) إنّه قول أهل اللغة، قال:

«قال أهل اللغة: الصّور جمع صورة ينفخ فيها روحها فتحى، والذى جاء فى التفسير أنّ الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل. والله أعلم» (١).

وقال محمد بن أبى بكر الرازى فى (غريب القرآن):

«الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل: وقيل هو جمع صورة مثل بسره وبسر، فقوله تعالى «يوم ينفخ فى الصور» أى ينفخ فى صور الموتى أرواحها، وقرأ الحسن رضى الله عنه «يوم ينفخ فى الصور» بفتح الواو» (٢).

وقال النسفى فى (تفسيره):

«يوم ينفخ، ظرف لقوله: وله الملك، فى الصور هو القرن بلغة اليمن، أو جمع صورة» (٣).

وفى (تفسير الرازى):

«وأما قوله تعالى: «يوم يُنْفَخُ فى الصور» ففيه وجوه:

أحدها: إنّه شىء يشبه بالقرن، وإنّ إسرافيل عليه السلام ينفخ فيه بإذن الله تعالى، وإذا سمع الناس ذلك الصوت - وهو فى الشدة بحيث لا تحتمله طباعهم - يفرعون عنده ويصعقون ويموتون، وهو كقوله تعالى: «فإذا نُقِرَ فى النَّاقورِ». وهذا قول الأكثرين.

وثانيها: يجوز أن يكون تمثيلاً لدعاء الموتى، فإنّ خروجهم من قبورهم

(١) غريب القرآن: ٢٤٥ باب الصاد المضمومة.

(٢) غريب القرآن «صور».

(٣) تفسير النسفى / مدرّك التنزيل ١: ٣٧٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٧٧

كخروج الجيش عند سماع صوت الآلة.

وثالثها: إنَّ الصُّور جمع الصورة» (١).

وقال ابن الملقن في (شرح البخارى):

«والذى عليه المفسِّرون: إنَّ الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل. قال أهل اللغة: هو جمع صورة مثل بسرة وبسر ينفخ فيها الروح نفخاً. وقرأ الحسن بفتح الواو، والصور بكسر الصاد لغة في الصور جمع صورة، وأنكره النحاس وقال: لا يعرف هذا أهل التفسير. قال: والحديث على أنَّه الصور الذى ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام». وفيه أيضاً:

«قال القرطبي: وليس الصور جمع صورة كما زعم بعضهم أنه ما ينفخ في صور الموتى، بدليل الأحاديث المذكورة، والتنزيل أيضاً يدلُّ على ذلك، قال تعالى: «ثُمَّ نُفِّخُ فِيهِ أُخْرَى» ولم يقل فيها، فعلم أنَّه ليس بجمع صورة.

وقال الكلبي: لا أدري ما الصور، ويقال: هو جمع صورة مثل بسر وبسرة أى ينفخ في صور الموتى الأرواح. وقرأ الحسن: «يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة» وإلى هذا ذهب أبو عبيدة معمر، وهو مردود بما ذكرناه، وأيضاً: لا ينفخ في الصور للبعث مرتين بل ينفخ مرّة واحدة، فإسرافيل ينفخ في الصور الذى هو القرن، واللّه هو الذى يحيى الصور فينفخ فيها الروح كما قال تعالى «فنفخنا فيه من روحنا»، و«نفخت فيه من روحى» وقد أنكر بعض أهل الزيغ أن يكون الصور قرناً. قال أبو الهيثم: من قال ذلك فهو كمن أنكر العرش

(١) تفسير الرازى ٢٤: ٢١٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٧٨

والميزان وطلب لها تأويلات» (١).

بل هو عقيدة البخارى...!! ص: ٢٧٨

لقد ثبت أن أصحابنا لا يقولون بهذه المقالة الفاسدة، بل القائلون بها هم من أهل السنّة، كالحسن البصرى، وأبى عبيدة، وصاحب سراج العقول، وغيرهم من الأئمة...

ولو أنَّ الخصم أجاب بأنَّ الحسن البصرى قدرى، وقد كَفَّرَ العلماء المحققون، ومن حكم عليه بالكفر فلا يستبعد صدور مثل هذه الأباطيل منه، وأما أبو عبيدة العالم اللغوى النحوى فلا عبرة بقوله، وكذا من تبعه واستحسن مقالته...

قلنا له: فما تقول فى إمامك البخارى، وقد ذهب إلى هذا المذهب فى كتابه (الصحيح) عند جمهوركم:

لقد قال البخارى بتفسير سورة الأنعام من كتابه، فى الآية «يوم ينفخ فى الصور»: «الصور جماعة صورة، كقوله سورة وسور» (٢).

وقال القسطلانى بشرحه:

«الصور- بضم الصاد وفتح الواو- فى قوله تعالى: «يوم ينفخ فى الصور» جماعة صورة. أى: يوم ينفخ فيها روحها فتحى كقوله: سورة وسور، بالسین المهملة فيهما.

(١) شرح صحيح البخارى لابن الملقن عن تفسير القرطبي ٧: ٢٠-٢١ والآية فى سورة الأنعام: ٧٣.

(٢) صحيح البخارى ٦: ٧٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٧٩

قال ابن كثير: والصحيح أن المراد بالصور القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، للأحاديث الواردة فيه» (١).

وقال القاضي عياض:

«قوله في التفسير: الصور جمع صورة، كقولك: صورة وصور، كذا لأبي ذر. أى جمع على صور وصور بسكون الواو وفتحها، وهو خير من رواية غيره، كقولك سورة وسور، بالسین، إذ ليس مقصود الباب ذلك. وهذا أحد تفاسير الآية» (٢).

وقال ابن حجر العسقلاني:

«قوله: الصور جماعة صورة كقوله سورة وسور، بالصاد أولًا وبالسين ثانيًا، كذا للجميع، إلمافى رواية أبى أحمد الجرجاني ففيها: كقولك صورة وصور، بالصاد فى الموضوعين، والاختلاف فى سكون الواو وفتحها. قال أبو عبيدة فى قوله تعالى: «ويوم ينفخ فى

الصور» يقال: إنها جمع صورة، ينفخ فيها روحها فتحيى، بمنزلة قولهم: سورة المدينة، واحدا سورة. قال النابغة:

ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ترى كلّ ملك دونها يتذبذب

والثابت فى الحديث أنّ الصور قرن ينفخ فيه، وهو واحد لا إسم جمع» (٣).

أقول:

لقد بان فى غاية الوضوح والظهور، طهارة أذيان أعلامنا الصدور عن التلوث بوضوح المصير إلى إنكار الصور، وأنّ عزو هذا الإنكار إليهم كذب

(١) إرشاد السارى فى شرح صحيح البخارى ٧: ١١٦.

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٢: ٦٥.

(٣) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ٨: ٢٣٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٨٠

وزور. لكنّ أئمة القوم هم الذين حرّفوا كلام الله وأحايث الرسول، كالحسن البصرى وأبى عبيدة النحوى اللغوى وصاحب سراج العقول، وغيرهم من أعلامهم الفحول... وأعجب من ذلك كلّ: أنّ البخارى الذى هو عندهم ابن بجدة النقد والبراعة، وحامل لواء أهل السنّة والجماعة، قد تفوّه بهذا التفسير المهجور، فاستحقّ كلّ أنواع التشنيع والتحقيق...

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٨١

معاجز نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ... ص: ٢٨١

إشارة

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٨٣

وربما نسب بعضهم إلى علمائنا تكذيب المعاجز النبويّة، كردّ الشمس وشقّ القمر، وتكلم الحيوانات مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وشهادة الأشجار وغيرها برسالته...

وحاشا علماء الطائفة المحقّمة من إنكار هذه المعجزات وأمثالها، وأين كلماتهم الصريحة فى ذلك؟ وما هو المستند فى هذه النسبة إليهم؟

إنّ هذه النسبة كذب وافتراء...

والقضيّة بالعكس...

فقد وجدنا فى علماء القوم من ينكر المعجزات النبويّة الصحيحة الثابتة بالأحاديث المجمع عليها.

رد الشمس ... ص: ٢٨٣

إشارة

فحديث رد الشمس الثابت بأخبار الفريقين، المذكور في كتاب (الشفاء) للقاضي عياض في عداد المعجزات النبوية، والذي أخرجه الطحاوي عن أسماء بنت عميس بطريقتين وقال: «هذان الحديثان ثابتان ورواهما ثقات» (١). وقال القاضي عياض: «حكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ٥٤٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٨٤

العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء، لأنه من علامات النبوة» (١).

وحتى الكابلي صاحب (الصواعق) ومقلدوه، الذين أنكروا كثيراً من الامور الثابتة، أذعنوا بثبوت حديث رد الشمس، قال في الصواعق: «وأما رد الشمس فكانت معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، لأنه صلى العصر فأنزل عليه الوحي وكان رأسه في حجر علي وهو لم يصل العصر، فلما فرغ ورأى الشمس قد غربت دعا ربه أن يردها، فاستجاب دعاءه ورد الشمس وصلى علي العصر، فلما فرغ غربت الشمس» (٢).

وقال صاحب (التحفة) ما تعريبه:

«وأما رد الشمس، فقد صححه أكثر أهل السنة، كالطحاوي وغيره، وهو من معجزات النبي بلا ريب، وقد كان ذلك لَمَّا فات وقت صلاة العصر على حضرة الأمير، فدعا صلى الله عليه وسلم حتى يؤدى صلاته» (٣).

وقد وضع غير واحد من الحفاظ رسالة مفردة في هذا الحديث:

منهم: السيوطي، وقد أسمى رسالته (كشف اللبس في حديث رد الشمس) وقال في أولها:

«وبعد، فإن حديث رد الشمس معجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم، صححه الإمام أبو جعفر الطحاوي وغيره».

وقال في هذا الحديث أيضاً:

«ثم الحديث صرح جماعة من الأئمة والحفاظ بأنه صحيح» (٤).

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ٥٤٩.

(٢) الصواعق الموقبة - مخطوط.

(٣) التحفة الاثني عشرية: ٢٢٦ في الأدلة العقلية على إمامة الأمير عليه السلام.

(٤) كشف اللبس في حديث رد الشمس - المقدمة.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٨٥

ومنهم: أبو الحسن شاذان الفضلي، وقد أدرج السيوطي رسالته في (كشف اللبس).

ومنهم: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحسكاني، فإنه وضع رسالة في هذا الحديث وأسمها: مسألة في تصحيح رد الشمس وترغيم النواصب الشمس، وقد اعترف بذلك ابن تيمية في منهاجه. وقد صحح الحسكاني فيها الحديث بطرق متعددة وأورد أقوال

العلماء الكبار، وذكر أنه مروى عن أسماء بنت عميس وأمير المؤمنين وأبي هريرة وأبي سعيد الخدرى...

من المنكرين لهذه المعجزة ... ص: ٢٨٥

ومع ذلك كله، فقد أنكر بعضهم - تقليداً للنواصب - هذا الحديث الذى يعدّ من معجز النبوة ومن فضائل أمير المؤمنين عليه السلام... ومن هؤلاء: ابن تيميّة الحرانى، فقد كذب هذا الحديث، وردّ على الحفاظ كلامهم فى تصحيحه وتحامل على الطحاوى وأمثاله من الأئمة حتّى قال:

«وحدث ردّ الشمس له، قد ذكره طائفه كأبى جعفر الطحاوى والقاضى عياض وغيرهما، وعدّوا ذلك من معجزات النبى صلّى الله عليه وسلّم، ولكنّ المحققون من أهل المعرفة بالحديث يعلمون أنّ هذا الحديث كذب موضوع» (١).
فانظر كيف يكذب الحديث ويطعن فى الأئمة المصححين له...
ومن هؤلاء: ابن الجوزى، إذ أورده فى (الموضوعات) وقال:

(١) منهاج السنّة ٤: ٢٨٨-٢٨٩.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٨٦

«هذا حديث موضوع بلا شك».

ثم جعل - بعد كلام له - يعترض على النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم ويقول:

«قال المصنّف: ومنّ تغفيل واضح هذا الحديث أنّه نظر إلى صورة فضله ولم يلمح عدم الفائدة فيها، فإنّ صلاة العصر بغيوبه الشمس صارت قضاء، فرجوع الشمس لا يعيدها أداء» (١).

وأضاف فى باطله فى (تلبس إبليس) وزاد بأنّ قال:

«وغلّو الرافضة فى حبّ على - رضى الله عنه - حملهم على أنّ وضعوا أحاديث كثيرة فى فضائله، أكثرها يشينه ويؤذيه، وقد ذكرت منها جملة فى كتاب الموضوعات، منها: إنّ الشمس غابت ففاتت علياً رضى الله عنه العصر، فردّت له الشمس. وهذا من حيث النقل موضوع محال لم يروه ثقة، ومن حيث المعنى فإنّ الوقت قد فات وعودها طلوع مجدّد، فلا يرد الوقت» (٢).

فانظر كيف يبالغون فى إنكار المعاجز والفضائل ويحاولون طمس الحقائق، ولا وازع لهم فى هذا السبيل عن تكذيب النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم ونسبة العبث واللغو إليه، إلّا أنّه ليس بغريب ممّن يجوز على الله صدور القبائح العظام... تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومن هؤلاء: الأعرور الواسطى، فإنّه كذب الحديث وجعله من رواية الإماميّة إذ قال: «ومنها دعواهم ردّ الشمس لعلّى، وهو مكذوب لم يأت إلّا

(١) كتاب الموضوعات ١: ٣٥٥-٣٥٧.

(٢) تلبس إبليس: ١١٤.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٨٧

بنقلهم وهم أخصام لا يقوم مجرد نقلهم على الخصم حجّة» (١).

فانظر إلى هذا الناصبى الذى زاد على سلفه - ابن تيميّة - فى البغض والحقد والعدا، فإنّ ذاك يعترف بتصحيح الطحاوى وغيره من أئمة السنيّة، وهذا يدعى أنّه من رواية الشيعة فحسب، مع أنّ من رواه: ابن شاهين وابن مردويه وابن منده كما فى (المقاصد الحسنه)

«٢» وغيرها، وقد رواه الطبراني بطرق متعدّدة، والخطيب والدولابي وابن أبي شيبة كما في (كشف اللبس). وقد أُلّف فيه غير واحدٍ من الأعلام كما عرفت، كأبي الحسن شاذان الفضلي والسيوطي والحسكاني، وقد جزم به الإمام القرطاجني كما في (تنزيه الشريعة) «٣». بل لقد كذّب الأعرور سلفه المعترف برواية الطحاوي والقاضي عياض وغيرهما له، وكذّب أحمد بن صالح الذي قال: «لا ينبغي لمن سيّله العلم التخلف عن حديث أسماء» وكذّب غير هؤلاء من الأئمة الأعلام من أهل السنّة... فهذا حال هؤلاء القوم، وهذه مواقفهم من معاجز النبيّ ومناقب الوصي، عليهما وآلهما الصلاة والسلام...

إنشاق القمر ... ص: ٢٨٧

إشارة

(١) رسالة الأعرور في الردّ على الرافضة - مخطوط.
 (٢) المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة: ٥١٩ / ٢٧٠.
 (٣) تنزيه الشريعة الغراء ١: ٣٧٩.
 استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٨٨
 وكذّب بعضهم كذلك انشاق القمر له صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال الكرمانى فى (الكواكب الدرارى):
 «إنشاق القمر آية عظيمة لا يعادلها شيء من آيات الأنبياء عليهم السلام؛ لأنه ظهر من ملكوت السماء، والخطب فيه أعظم والبرهان به أظهر، لأنه خارج عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركّب من العناصر.
 وقد أنكر بعضهم هذا الخبر فقالوا: لو كان له حقيقة لم يخف أمره على عوام الناس، ولتواترت به الأخبار، لأنه أمر محسوس مشاهد والناس فيه شركاء، وللنفوس دواع على نقل الأمر الغريب والخبر العجيب، ولو كان لذكر فى الكتب ودون فى الصحف، ولكان أهل التنجيم والسير والتواريخ عارفين به، إذ لا يجوز إطباقهم على إغفاله مع جلالة شأنه وجماله أمره» «... ١».
 وحتى ابن تيمية اعترف بهذه المعجزة ويعرّض بالمنكرين:
 «وانشاق القمر كان بالليل وقت نوم الناس، ومع هذا فقد رواه الصحابة من غير وجه، وأخرجوه فى الصحاح والسنن والمسائيد من غير وجه، ونزل به القرآن، فكيف تردّ الشمس التى تكون بالنهار ولا يشتهر ذلك ولا ينقله أهل العلم نقل مثله، ولا يعرف قط أنّ الشمس رجعت بعد غروبها.
 وإن كان كثير من الفلاسفة والطبيعيين وبعض أهل الكلام ينكر انشاق القمر وما يشبه ذلك، فليس الكلام فى هذا المقام» «... ٢».

من المنكرين لهذه المعجزة ... ص: ٢٨٨

ومع هذا كلّه، فقد أنكر الحلیمی - وهو من كبار علماء القوم - انشاق

(١) وانظر الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى، باب انشاق القمر فى آخر المناقب. وتفسير سورة الإنشاق من كتاب التفسير.

(٢) منهاج السنّة ٤: ٢٩١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٨٩

القمر لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم.

والأعجب من ذلك اعتماد الفخر الرازي على منع الحلیمی وإنكاره، في مقابلة أهل الحق، حيث جاء في كتابه (نهاية العقول) في كلام له:

«ثم نقول: لا نزاع في شيء من المقدمات إلّا في قولكم: الأمر العظيم الواقع بمشهد الخلق العظيم لا بد وأن يتواتر. فإننا نقول: ليس الأمر كذلك، فإن انشقاق القمر، وفتح مكة أنه كان بالصلح أو بالقهر، وكون بسم الله الرحمن الرحيم هل هو من كل سورة أم لا، وكون الإقامة مثني أو فرادي، مع مشاهدة الصحابة لذلك مدّة حياة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم كل يوم خمس مرات، وكذلك أحكام الصلاة والزكاة، مع مشاهدتهم هذه الامور من النبي عليه السلام مدّة حياته، كل ذلك امور عظيمة وقعت بمشهد أكثر الأئمة، ثم إنه لم ينتشر شيء منها» (١).

ثم قال الرازي في مقام الجواب عن هذا التقرير:

«أمّا الإنشقاق، فقد منع الحلیمی وقوعه، بحمل: «إنشق القمر» على أنه سينشق. وإن سلّمنا وقوعه فلعلّ المشاهدين ما كانوا في حدّ التواتر، لأنه آية ليلية، وأكثر الناس كانوا تحت السقوف، فلذلك لم ينتشر» (٢ ...).

فانظر إلى الحلیمی كيف يحمل الآية المباركة على خلاف ظاهرها! وإلى الرازي كيف يستند إلى كلام الحلیمی ليعارض به استدلال الإمامية!

وقد قام الإجماع من المسلمين على وقوع الإنشقاق:

قال الحافظ القاضي عياض:

(١) نهاية العقول - مخطوط.

(٢) نهاية العقول - مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٩٠

«فصل - في إنشقاق القمر وحبس الشمس. قال الله تعالى: «اقتربت الساعة وانشق القمر* وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر» أخبر تعالى بوقوع إنشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته، وأجمع المفسرون وأهل السنّة على وقوعه». ثم قال بعد ذكر الروايات:

«وأكثر طرق هذه الأحاديث صحيحة، والآية مصرّحة، ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض، إذ هو شيء ظاهر لجميعهم» (١ ...).

وقال:

«أمّا إنشقاق القمر، فالقرآن نصّ بوقوعه وأخبر عن وجوده، ولا يعدل عن ظاهر إلابدليل، وجاء برفع احتمال صحیح الأخبار من طرق كثيرة، فلا يوهن عزمنا خلاف أخرج يحلّ عرى الدين، ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين، بل نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعراء سخفه» (٢).

أقول:

هذا بعض الكلام على إنكار القوم ما ثبت من معجز النبي عليه وآله الصلاة والسلام...

وأما إنكارهم لما ثبت من معجزات وكرامات الأئمة الأطهار عليهم السلام، فموارده كثيرة جداً، فما أكثر المعجزات العلوية المروية في كتب

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ٥٤٣ و ٥٤٧.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ٤٩٥.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٩١

الفريقين، يستدل بها أهل الحق في مباحث الإمامة، ويكذبها أهل الخلاف أمثال ابن تيمية والأعور وغيرهما.

أضف إلى ذلك: إن الحليمي وأبا إسحاق يكذبان كرامات الأولياء مطلقاً، وهذا - بعمومه - يشمل كرامات الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

قال شارح المواقف:

«المقصد التاسع: في كرامات الأولياء وأنها جائزة عندنا، خلافاً لمن منع جواز الخوارق، واقعه، خلافاً للاستاذ أبي إسحاق والحليمي من غير أبي الحسين من المعتزلة.

قال الإمام الرازي في الأربعين: المعتزلة ينكرون كرامات الأولياء، ووافقهم الاستاذ أبو إسحاق منّا، وأكثر أصحابنا يثبتونها، وبه قال أبو الحسين البصري من المعتزلة» «١».

(١) شرح المواقف ٨: ٢٨٨.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٩٣

إسلام آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ... ص: ٢٩٣

إشارة

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٩٥

ربما نسب بعض المتعصّيين المفترين من أهل السنة إلى الشيعة القول بعدم طيب ولادة آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ... وهذا بهتان عظيم، اللهم العن قائله ومعتقده ومثبته ألف ألف لعنة، وأذقه حرّ النار وأصله سعيراً... ولكن الكثيرين من أهل السنة قائلون بعدم إسلام وإيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ... والعياذ بالله.

أباطيل الأعور الواسطي ... ص: ٢٩٥

بل الأعجب من ذلك ردّ بعضهم على الإمامية تشنيعهم على أهل السنة وإعابتهم القول بذلك !!...

ألا ترى كيف يدافع الأعور الواسطي عن هذه المقالة الفاسدة والزعم الباطل، ويردّ على أهل الحق قائلاً:

«ومنها: إعابتهم قول أهل السنة بكفر أبوي النبي. وذلك حق لا إعابة على أهل السنة، لوجوه:

الأول: إنّ نصّ القرآن والأحاديث والتواريخ عن مجموع الكفار من قريش، مثل أبي لهب عمّ النبي وأبي جهل، ومن أسلم منهم مثل أبي سفيان وغيرهم: أنّ محمداً سقّه ما كان آباؤنا عليه من عبادة الأصنام، ونحن لا نرغب عن ملّة عبدالمطلب.

الثاني: إنّ الله يقول لمن عرف الإسلام به «ما كنت تدري ما الكتاب ولا

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٩٦

الإيمان» فمن أين جاء الإيمان لأبويه.

الثالث: إن الرافضة يزعمون إن علياً رضى الله عنه رمى أصنام قريش عن الكعبة، وعبد المطلب وعبد الله من رؤوسهم، فأى شيء أخبرهم عن عدم عبادتهما؟
قالوا: نقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة.
قلنا: معناه لم يكن سفاح بل عن عقود وأنكحة.
قالوا: كيف يمكن خروج نبي من كافر؟
قلنا: كثير من الأنبياء، كخروج إبراهيم عليه السلام من آزر.
قالوا: عمه أو خاله؟

قلنا: يكذب ذلك أن الله تعالى سمّاه أباً بقوله: «إذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً» ويقول إبراهيم لآزر: يا أبت، مراراً كثيرة. وأيضاً: العم ابن الجد لأب والخال ابن الجد لأم، وحينئذ فيكون جدّه كافراً، ولا ينتفع الرافضة بشيء من هذه الدعوى، ودليل كفره شهادة ابنه عليه كقوله تعالى: «وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناماً فنظّل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون» وكقوله تعالى: «ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين» «١».

أقول:

إنها خرافات ركيكة وهفوات سخيقة:

فأما ما ذكره في الوجه الأول، فلا دليل عليه في القرآن والحديث، ولو

(١) رسالة الأعرور الواسطي في الرد على الرافضة - مخطوط.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٩٧

فرض أن مجموع الكفار قالوا كذلك، فأى اعتبار بقول الكفار؟

وأما ما ذكره في الوجه الثاني، فليس إلّا وسوس ظلماتية وتلبسات شيطانية، ومحصلها الكفر والزندقة والإلحاد.

وأما ما ذكره في الوجه الثالث، ففي غاية الضعف ولا محصل له، وأى ارتباط لمقصوده بقضية كسر الأصنام التي رواها ابن أبي شيبة وأبو يعلى وأحمد والطبري والحاكم والخطيب والنسائي وأمثالهم من الأعلام «١».

وهل رئاسة عبد المطلب وعبد الله لقريش تستلزم عبادة الأصنام؟

إنه لا يقول بذلك إلّا الجهلة الأغثام والسفهاء اللثام!

كيف لا؟ وقد قال السيوطي في (طراز العمامة في الفرق بين العمامة والقمامة) في بيان المسالك التي سلكها في إثبات إسلام أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«الثالث: إنهما كانا على دين إبراهيم، ما عبدا قط في عمرهما الأصنام، وأحاديث هذا المسلك قوية السند، كثيرة العدد، عظيمة المدد، لا يقوم لردّها أحد».

وأما ما ذكره عن إبراهيم عليه السلام، فبطلانه يتضح بمراجعة (رسائل السيوطي) و (المنح المكية) لابن حجر المكي، وأمثالهما.

وبالجملة، فإنّ القائمين منهم بهذا القول الباطل والرأى الفاسد كثيرون، ولنذكر كلمات بعضهم:

(١) كنز العمال للمتقى الهندي، عن ابن أبي شيبة وأبي يعلى وابن جرير، مسند أحمد ١: ٨٤، خصائص علي: ٢٢٥ الحديث ١٢٢،

المستدرک ٢: ٣٦٦ و ٣: ٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٩٨

وابن كثير الدمشقي ... ص: ٢٩٨

قال ابن كثير الدمشقي في تاريخه (البداية والنهاية):

«وإخباره عليه السلام عن أبيه وجده عبدالمطلب بأنهم من أهل النار، لا ينافي الحديث الوارد عنهم- من طرق متعددة- أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصمّ يمتحنون في العرصات يوم القيامة، كما بسط سنداً ومتناً عند قوله تعالى: «وما كنا معدّين حتى نبعث رسولاً» فيكون منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب، فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب.

والحديث الذي ذكره السهيلي- في إسناده مجاهيل- إلى أبي الزناد عن عروة عن عائشة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيى أبيه فأحياهما وآمنا به.

فإنه منكر جداً، وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله تعالى، لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه» (١).

وكذب أبو الخطاب ابن دحية أيضاً حديث السهيلي، ونصّ على أنه موضوع، قال القسطلاني:

«قال ابن دحية: هذا الحديث موضوع، يرده القرآن والإجماع، إنتهى.

وقد جزم بعض العلماء بأن أبيه صلى الله عليه وسلم ناجيان وليسا في النار، متمسكاً بهذا الحديث وغيره. وتعقبه عالم آخر بأنه لم ير أحداً صرح بأن الإيمان بعد انقطاع العمل بالموت يرفع صاحبه، فإن ادعى أحد الخصوصية فعليه الدليل، إنتهى. وقد سبقه بذلك أبو الخطاب ابن دحية وعبارته: من مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة، بل لو آمن عند المعايضة لم ينفعه ذلك

(١) البداية والنهاية/ تاريخ ابن كثير ٢: ٢٨١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢٩٩

فكيف بعد الإعادة» (١).

وقد أطنب ابن كثير في المسألة في (تفسيره) بتفسير قوله تعالى: «وما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم» وقال:

«قال الإمام أحمد: حدّثنا الحسن بن موسى، حدّثنا زهير، حدّثنا زيد بن الحريث الياقبي، عن محارب بن دثار، عن ابن بريده عن أبيه قال:

كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب، فصلّى ركعتين، ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرّفان، فقام إليه عمر بن الخطاب وفداه بالأب والام وقال: يا رسول الله! مالك؟

قال: إنّي سألت ربّي عزّ وجلّ في الإستغفار لأمّي فلم يأذن لي، فدمعت عيناي رحمة لها من النار.

وإنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها لتذكركم زيارتها خيراً، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث، فكلوها وأمسكوا ما شئتم، ونهيتكم عن الأشربة في الأوعية، فاشربوا في أيّ وعاء شئتم ولا تشربوا مسكراً.

وروى ابن جرير من حديث علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريده، عن أبيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكّة، أتى رسم قبر، فجلس إليه فجعل يخاطب، ثم قام مستعبراً، فقلنا: يا رسول الله! إنّا رأينا ما صنعت.

قال: إنّي استأذنت ربّي في زيارة قبر أمّي فأذن لي، واستأذنته في الإستغفار لها، فلم يأذن لي، فما رُئي باكياً أكثر من يومئذٍ.

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدّثنا أبي، حدّثنا خالد بن خدّاش،

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١: ٩٠/ ذكر رضاعه.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٠٠

حدّثنا عبدالله بن وهب، عن ابن جريح عن أيوب بن هاني، عن مسروق، عن عبدالله بن مسعود قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً إلى المقابر فأتبعتها، فجاء حتى جلس إلى قبر منها، فواجه طويلاً ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم قام، فقام إليه عمر بن الخطاب فدعاه ثم دعانا فقال: ما أبكاكم؟ قلنا: بكينا لبكائك.

قال: إن القبر الذي جلست عنده قبر آمنه، وإنني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي، وإنني استأذنت ربي في الدعاء لها، فلم يأذن لي وأنزل علي:

«ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي»، فأخذني ما يأخذ الولد للوالد، وكنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تذكّر الآخرة.

حديث آخر في معناه: قال الطبراني: حدّثنا محمد بن علي المروزي، حدّثنا أبو الدرداء عبدالعزيز بن منيب، حدّثنا إسحاق بن عبدالله بن كيسان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر، فلما هبط من ثنية عسفان، أمر أصحابه أن يستندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم، فذهب فنزل على قبر أمه، فواجه ربه طويلاً، ثم إنه بكى، فاشتد بكاءه وبكى هؤلاء لبكائه وقالوا: ما بكى نبي الله هذا البكاء إلا وقد أحدث في أمته شيء لا يطيقه، فلما بكى هؤلاء قام فرجع إليهم فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: يا نبي الله! بكينا لبكائك، قلنا: لعله أحدث في أمته شيء لا يطيقه. قال: لا، وقد كان بعضه.

ولكن نزلت على قبر أمي، فدعوت الله أن يأذن لي في شفاعتها يوم القيامة فأبى الله أن يأذن لي، فرحمتها وهي أمي فبكيت، ثم جاءني جبرئيل

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٠١

فقال: «وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه» فتبرأ أنت من أمك كما تبرأ إبراهيم من أبيه، فرحمتها وهي أمي.

ودعوت ربي أن يرفع عن أمي أربعاً، فرفع عنهم اثنين وأبى أن يرفع عنهم اثنين، دعوت ربي أن يرفع عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض، وأن لا يلبسهم شيعاً، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض، فرفع عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض، وأبى الله أن يرفع عنهم القتل والهرج.

وإنما عدل إلى قبر أمه، لأنها كانت مدفونة تحت كدي، وكانت عسفان لهم.

وهذا حديث غريب وسياق عجيب.

وأغرب منه وأشد نكارة:

ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب السابق واللاحق، بسند مجهول، عن عائشة، في حديث فيه قصة: أن الله أحيا أمه فأمنت ثم عادت. وكذلك ما رواه السهيلي في الروض، بسند فيه جماعة مجهولون: أن الله أحيا له أباه وأمّه فأمن به. وقد قال الحافظ ابن دحية: هذا الحديث موضوع، يرده القرآن والإجماع، قال الله تعالى: «ولا الذين يموتون وهم كفّار».

وقد مال أبو عبدالله القرطبي إلى هذا الحديث، وردّ على ابن دحية في هذا الاستدلال ما حاصله: إن هذه حياة جديدة، كما رجعت الشمس بعد غيوبتها فصلّى عليّ العصر. قال الطحاوي: وهو حديث ثابت. يعني حديث الشمس. قال القرطبي: فليس إحياءهما بممتنع عقلاً ولا شرعاً. قال: وقد سمعت أن الله أحيا عمّه أبا طالب فأمن به.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٠٢

قلت: وهذا كله يتوقف على صحّة الحديث، فإذا صح فلا مانع منه.

والله أعلم.

وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله: «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين» الآية، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمه فنهاه الله عن ذلك، فقال: فإن إبراهيم خليل الله قد استغفر لأبيه فأنزل الله: «وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه» الآية.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فى هذه الآية: كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية، فلما انزلت أمسكوا عن الإستغفار لأمواتهم، ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا، ثم أنزل الله: «وما كان استغفار إبراهيم لأبيه» الآية. وقال قتادة فى هذه الآية: ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا نبي الله! إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام، ويفك العاني ويوفى بالذمم، أفلا نستغفر لهم؟ قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بلى والله، إنى لأستغفر لأبى كما استغفر إبراهيم لأبيه، فأنزل الله: «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين» حتى بلغ الجحيم، ثم عذر الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال: «وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه» (١).

والذهبي ... ص: ٣٠٢

والذهبي أيضاً كذب الحديث المذكور، حيث قال فى (ميزان الاعتدال): «عبد الوهاب بن موسى، عن عبدالرحمن بن أبى الزناد، بحديث: إن الله

(١) تفسير ابن كثير ٤: ٢٢١-٢٢٤ والآية فى سورة التوبة: ١١٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٠٣

أحيا لى امى فأمنت بى.

الحديث كذب، مخالف لما صح أنه عليه السلام استأذن ربه فى الإستغفار لهما فلم يؤذن له» (١). وفى (لسان الميزان) عن جماعة أنهم كذبوا الحديث كذلك (٢).

القائلون بالحق وأدلتهم ... ص: ٣٠٣

لكن جماعة من أعلامهم دافعوا عن الحق، وأبطلوا هذه الأقاويل الفاسدة.

فالحافظ السيوطى - مثلاً - ألف رسائل عديدة فى إثبات نجاه آباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى أنه قال بكفر من يقول بكفر والدى النبى، فى رسائله التى أسماها: (الدرج المنيفة فى الآباء الشريفة):

«نقلت من مجموع بخط الشيخ كمال الدين الشمنى، والد شيخنا الإمام تقي الدين رحمه الله ما نصه: سئل القاضى أبوبكر ابن العربى عن رجل قال:

إن آباء النبى صلى الله عليه وسلم فى النار، فأجاب بأنه ملعون؛ لأن الله تعالى قال: «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً» قال: ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه: إنه فى النار» (٣).

وقال فى رسائله (الدوران الفلكى على ابن الكركى) فى بيان الامور المستهجنة التى ذكر صدورها من السخاوى:

«الثانى: إنه تكلم فى حق والدى المصطفى بما لا يحل لمسلم ذكره، ولا

(١) ميزان الاعتدال ٤: ٤٣٧ / ٥٣٣٢ ترجمه عبدالوهاب بن موسى.

(٢) لسان الميزان ٤: ٥١٢ / ٥٤١٦ ترجمه عبدالوهاب بن موسى.

(٣) الدرر المنيفة في الآباء الشريفة (ضمن الرسائل العشر): ٤٢.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٠٤

يسوغ أن يجزم عليه فكره، فوجب على أن أقوم عليه بالإنكار، وأن أستعمل في تنزيه هذا المقام الشريف الأعلام والأفكار، فألفت في ذلك ست مؤلفات شحتها بالفوائد وهي في الحقيقة أباكار، ومن ذا الذي يستطيع أن ينكر على قيامي في ذلك، أو يلقي نفسه في هذه المهالك، من أنكر ذلك أكاد أقول بكفره وأستغرق العمر في هجره.

وقال السهيلي في (الروض الأنف):

«وذكر قاسم بن ثابت في الحديث: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه بالأبواء في ألف مقنع، فبكى وأبكى: وهذا حديث صحيح.

وفي الصحيح أيضاً أنه قال: استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي.

وفي مسند البزار من حديث بريدة: إنه عليه السلام حين أراد أن يستغفر لأمه، ضرب جبرئيل في صدره وقال: لا تستغفر لمن مات مشركاً، فرجع حزينا.

وفي الحديث زيادة في غير الصحيح: إنه سئل عن بكائه، فقال: ذكرت ضعفها وشدة عذاب الله، إن كان صح هذا.

وفي حديث آخر ما يصححه وهو أن رجلاً قال له: يا رسول الله! أين أبي؟ فقال: في النار، فلما ولي الرجل قال عليه السلام له: إن أبي وأباك في النار.

وليس لنا أن نقول هذا في أبويه صلى الله عليه وسلم، لقوله صلى الله عليه وسلم: لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات، والله عز وجل يقول: «إن الذين

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٠٥

يؤذون الله ورسوله» الآية» (١).

والواقع: إن السهيلي متذبذب مضطرب في هذا المقام، ويزيد ذلك وضوحاً قوله بعد ذلك:

«وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الرجل هذه المقالة، لأنه وجد في نفسه، وقد قيل: إنه قال: أين أبوك أنت، فحينئذ قال ذلك.

وقد روى معمر بن راشد بغير هذا اللفظ، فلم يذكر أنه قال له: إن أبي وأباك في النار، ولكن ذكر أنه قال له: إذا مررت بقبر كافر فبشّره بالنار.

وروى في حديث غريب لعلمه أن يصح - وجدته بخط جدّي أبي عمرو - إن أحمد بن أبي الحسن القاضي رحمه الله - بسند فيه مجهولون - ذكر أنه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد، يرفعه إلى أبي الزناد عن عروة عن عائشة: اخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه، فأحياهما له وآمنا به ثم ماتا.

والله قادر على كل شيء، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء، ونبيّه أهل أن يخصّه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته، صلى الله عليه وسلم» (٢).

بل رجع إلى قول أسلافه الموجب للعن ووافق عليه، في موضع آخر من كتابه، حيث قال في غزوة احد:

«ووقع في هذه الغزوة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع لسعد

(٢) الروض الانف ٢: ١٨٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٠٦

أبويه فقال له: إرم فداك أبي وامى. وروى الترمذى من طريق على بن أبي طالب رضى الله عنه قال: ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد فداك أبي وامى إلا لسعد. وقال فى رواية أخرى عنه: ما جمع رسول الله أبويه إلا لسعد. والرواية الأولى أصح والله أعلم؛ لأنه أخبر فيها أنه لم يسمع، وقد روى الزبير بن العوام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع له أيضاً أبويه وقال له كما قال لسعد، ورواه عنه ابنه عبد الله بن الزبير، وأسندته فى كتاب أنساب قريش الزبير ابن أبى بكر. وفقه هذا الحديث أنه جائز هذا الكلام لمن كان أبواه غير مؤمنين، وأما من كان أبواه مؤمنين فلا؛ لأنه كالعقوق لهما. كذلك سمعت شيخنا أبابكر يقول فى هذه المسألة.

ومن الذين قالوا بالحق ودافعوا عنه: ابن حجر المكي، حتى أنه اعترض على قول أبى حيان الأندلسى بانحصار القول بإيمان آباء النبى بالإمامية، فقد ذكر القسطلانى فى (المواهب اللدنية):

«نقل الإمام أبو حيان فى البحر عند تفسير قوله تعالى «وتقلبك فى الساجدين» إن الرافضة هم القائلون إن آباء النبى صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين، مستدلين بقوله تعالى: «وتقلبك فى الساجدين» ويقولون عليه السلام: لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين، الحديث» (١).
قال شارحه الشبراملى فى (تيسير المطالب الستية):
«قوله: ونقل الإمام أبو حيان...»

قال الشهاب ابن حجر فى كتابه: النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١: ٩٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٠٧

بنى آدم: وقول بعضهم: ونقل أبو حيان... سوء تصرف منه، لأنه- أعنى ناقل هذا الكلام عن أبى حيان- لو كان له أدنى مسكة من علم أو فهم لتعقب ما قاله أبو حيان أن الرافضة هم القائلون.. وقال له: هذا الحصر باطل منك، أيها النحوى البعيد عن مدارك الاصول والفروع. كيف؟ وأتمية الأشاعرة من الشافعية وغيرهم- على ما مر التصريح به- فى نجاه سائر آباءه صلى الله عليه وسلم كبقية أهل الفترة، فلو كنت ذا إمام بذلك لما حصرت نقل ذلك عن الرافضة وزعمت أنهم المستدلون عليه بالآية والحديث. وهذا الفخر الرازى من أكابر أئمة أهل السنة قد استدلل بهما ونقل ذلك عن غيره، فليتك أيها الناقل عن أبى حيان سكت عن ذلك، ووقيت عرضك وعرضه من رشق سهام الصواب فيهما.

وهذا كلام ابن حجر المكي فى (المنح المكية- شرح القصيدة الهمزية):

«وقول أبى حيان: إن الرافضة هم القائلون بأن آباء النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنون غير معدّين، مستدلين بقوله تعالى: «وتقلبك فى الساجدين».

فلك رده: بأن مثل أبى حيان إنما يرجع إليه فى علم النحو وما يتعلّق بذلك، وأما المسائل الاصولية فهو عنها بمعزل، كيف والأشاعرة ومن ذكر معهم- فيما مرّ آنفاً- على أنهم مؤمنون، فنسب ذلك للرافضة وحدهم- مع أن هؤلاء الذين هم أئمة أهل السنة قائلون به- قصور وأى قصور، تساهل وأى تساهل» (١).

ثبت- والحمد لله- أن القائلين بالقول الحق هم أهل الحق، وأن كثيراً من غيرهم أيضاً يشاركونهم فى هذا القول.

(١) المنح المكيّة - شرح القصيدة الهمزيّة: ٢٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٠٨

وقال السيوطي في (الدرج المنيفة في الآباء الشريفة):

«الدرجة الثالثة: أنهما كانا على التوحيد ودين إبراهيم عليه السلام، كما كان على ذلك طائفة من العرب، كزيد بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وعمير ابن حبيب الجهني وعمر بن عبسة، في جماعة آخرين، وهذه طريقة الإمام فخرالدين الرازي وزاد: إن آباء النبي صلى الله عليه وسلم كلهم إلى آدم على التوحيد ودين إبراهيم، لم يكن فيهم شرك.

قال: مما يدل على أن آباءه صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين: قوله صلى الله عليه وسلم: لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، وقال تعالى: «إنما المشركون نجس» فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً.

قال: ومن ذلك قوله تعالى: «الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين» معناه أنه ينقل نوره من ساجد إلى ساجد.

قال: وبهذا التقرير، فالآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين.

قال: وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين، إنما كان ذاك عمه، أقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى «وتقلبك في الساجدين» على وجوه أخرى، وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينهما، وجب حمل الآية على الكل، وبذلك يثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان، وإن أزر لم يكن والده بل كان عمه، إنتهى ملخصاً.

وقد وافقه على الاستدلال بالآية الإمام الماوردي صاحب الحاوي الكبير من أئمة أصحابنا.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٠٩

وقد وجدت ما يعضد هذه المقالة من الأدلة ما بين مجمل ومفصل؛ فالمجمل: دليل مركب من مقدمتين: إحداهما: أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن كل أصل من اصوله صلى الله عليه وسلم من أبيه إلى آدم خير أهل زمانه. والثانية: إن الأحاديث والآثار دلت على أن الله لم يخل الأرض من عهد نوح إلى بعثه النبي صلى الله عليه وسلم من ناس على الفطرة، يعبدون الله ويوحّدونه ويصلّون له وبهم يحفظ الأرض، ولولا هم لهلكت الأرض ومن عليها.

ومن أدلة المقدمة الأولى حديث البخاري: بعثت من خير قرن بنى آدم، قرناً فقرناً، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه.

وحديث البيهقي: ما افترت الناس فرقتين إلماجعني الله في خيرهما، فاخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم حتى انتهت إلى أبي وامى؛ فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً.

وحديث أبي نعيم وغيره: لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفياً مهذباً، لا يتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما.

في أحاديث كثيرة.

ومن أدلة المقدمة الثانية: ما أخرجه عبدالرزاق في المصنّف، وابن المنذر في تفسيره - بسند صحيح على شرط الشيخين - عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: لم يزل على وجه الأرض من يعبد الله عليها.

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في الزهد، والخلال في كرامات الأولياء - بسند صحيح على شرط الشيخين - عن ابن عباس رضى الله عنه: ماخلت

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣١٠

الأرض من بعد نوح من شعبة يدفع الله بهم عن أهل الأرض.

في آثار اخر.

وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين، انتج منهما قطعاً: أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فيهم شرك؛ لأنه قد ثبت في كل منهم

أنه خير قرنه، فإن كان الناس الذين هم على الفطرة هم آباؤه فهو المدعى، وإن كان غيرهم وهم على الشرك، لزم أحد الأمرين: إما أن يكون المشرك خيراً من المسلم، وهو باطل بنص القرآن والإجماع، وإما يكون غيرهم خيراً منهم، وهو باطل، لمخالفته الأحاديث الصحيحة.

فوجب قطعاً أن لا يكون فيهم مشرك، ليكونوا خير أهل الأرض، كل في قرنه» (١).

وقال ابن حجر بشرح:

«لم تزل في ضمائر الكون تختار لك الامهات والآباء»

قال ما نصه:

«تنبيه: لك أن تأخذ من كلام الناظم، الذي علمت أن الأحاديث مصرحة به لفظاً في أكثره ومعنى في كله: أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم - غير الأنبياء - وامهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر؛ لأن الكافر لا يقال في حقه أنه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما في آية «إتما المشركون نجس».

وقد صرحت الأحاديث السابقة بأنهم مختارون، وأن الآباء كرام، وإن الامهات طاهرات.

وأيضاً: فهم إلى إسماعيل كانوا من أهل الفترة، وهم في حكم المسلمين

(١) الدرج المنيفة في الآباء الشريفة (ضمن الرسائل العشر): ٣٢-٣٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣١١

بنص الآية الآتية، وكذا من بين كل رسولين.

وأيضاً: قال تعالى: «وتقبلبك في الساجدين» على أحد التفاسير فيه: أن المراد ينقل نوره من ساجد إلى ساجد. وحينئذ، فهذا صريح في أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم - آمنه وعبدالله - من أهل الجنة، لأنهما أقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم. وهذا هو الحق، بل في حديث - صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه - أن الله تعالى أحياهما فأما به. خصوصية لهما وكرامة له عليه السلام.

فقول ابن دحية يردّه القرآن والإجماع، ليس في محله؛ لأن ذلك ممكن شرعاً وعقلاً، على جهة الكرامة والخصوصية، فلا يردّه قرآن ولا إجماع.

وكون الإيمان لا ينفع بعد الموت. محله في غير الخصوصية والكرامة.

وقد صح أنه عليه السلام ردت عليه الشمس بعد مغيبها فعاد الوقت حتى صلى على العصر أداء، كرامة له صلى الله عليه وسلم، فكذا هنا، وطعن بعضهم في صحته هذا بما لا يجدى أيضاً.

وخبر أنه تعالى لم يأذن لنبية صلى الله عليه وسلم في الاستغفار لأبويه، إما كان قبل إحيائهما له وإيمانها به، أو أن المصلحة اقتضت تأخير الاستغفار لهما عن ذلك الوقت، فلم يؤذن له فيه حينئذ.

فإن قلت: إذا قررتهم أنهما من أهل الفترة، وأنهم لا يعدون، فما فائدة الإحياء؟

قلت: فائدته إتخافهما بكمال لم يحصل لأهل الفترة؛ لأن غاية أمرهم أنهم الحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة من العقاب، وأما مراتب الثواب

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣١٢

العلية فهم بمعزل عنها، فاتحفا بمرتبة الإيمان زيادة في شرف كمالهما لحصول تلك المراتب لهما. وفي هذا مزيد ذكرته في الفتاوى. ولا يرد على الناظم آزر، فإنه كافر مع أن الله تعالى ذكر في كتابه العزيز أنه أبو إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، وذلك لأن أهل

الكتابين أجمعوا على أنه لم يكن أباً حقيقه وإنما كان عمه، والعرب تسمى العمّ أباً، بل في القرآن ذلك، قال تعالى: «وإله آباؤي إبراهيم وإسماعيل» مع أنه كان عمّ يعقوب، بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تأويله بهذا جمعاً بين الأحاديث، وأما من أخذ بظاهره - كالبيضاوي وغيره - فقد تساهل واستروح» (١).

هذا، والأعجب من ذلك كله: قدح جماعة من أئمتهم في نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بدعوى أن كنانته زوجته خزيمة قد مكنت أباها من نفسها، فكان النضر بن كنانة، وهو من أجداده صلى الله عليه وآله وسلم... أعاذنا الله من الإفتراء والبهتان والإرتباك في العمى والخذلان، وتفصيل هذه القصّة الشنيعة في (الروض الأنف) و (المعارف) وغيرهما من كتب القوم (٢).

تنبيه حول رأى الرازي ... ص: ٣١٢

قد تقدّم في كلام السيوطي وابن حجر المكي: أن الفخر الرازي من القائلين بإسلام آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأن السيوطي والقسطلاني نقلًا ذلك عنه في كتابه (أسرار التنزيل)، فاقتضى ذلك مراجعة الكتاب المذكور، ومراجعة (التفسير الكبير).

(١) المنح المكيّة - شرح القصيدة الهمزيّة: ٢٥ - ٢٦.

(٢) الروض الانف ٢: ٣٥٦ - ٣٥٧، المعارف لابن قتيبة: ١٣٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣١٣

أما في (التفسير الكبير) فقد وجدنا الرازي - وللأسف الشديد - يحاول إثبات القول المخالف للحق، فكان من الضروري الوقوف على كلامه في (أسرار التنزيل) لمعرفة مدى صحته ما نسبوا إليه، حتى عثرنا عليه فوجدناه كذلك، فإنه ينقل القول الحقّ الصحيح ثم يردّ عليه بزعمه، غير أنه في (التفسير الكبير) ينسب القول الحقّ والاستدلال عليه إلى الإماميّة بصراحة، أما في (أسرار التنزيل) فيذكر في والد سيّدنا إبراهيم عليه السلام قولين - بلا نسبة لأحد - أحدهما: كون آزر والده، والآخر: أنه لم يكن والده... فأورد للاستدلال على هذا القول ما نقله السيوطي وغيره عنه... ثم جعل يردّ عليه... وكأنّ السيوطي لم يلحظ آخر كلامه، فنسب إليه القول بالحق، والحال أنه ليس كذلك.

وإليك نصّ كلامه في (التفسير الكبير):

«قالت الشيعة: أن أحداً من آباء الرسول وأجداده ما كان كافراً، وأنكروا أن يقال أن والد إبراهيم كان كافراً، وذكروا أن آزر كان عمّ إبراهيم عليه السلام وما كان والد له، واحتجوا على قولهم بوجوه:

الحجّة الاولى: إن آباء الأنبياء ما كانوا كفّاراً، ويدلّ عليه وجوه: منها قوله تعالى: «الذي يراكم حين تقوم وتقلّبك في الساجدين» (١) قيل: معناه أنه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد، وبهذا التقرير فالآية دالة على أن جميع آباء محمّد عليه السلام كانوا مسلمين، وحينئذٍ، يجب القطع بأنّ والد إبراهيم كان مسلماً.

فإن قيل: «وتقلّبك في الساجدين» يحتمل وجوهاً أخرى:

(١) سورة الشعراء ٢٦: ٢١٨ - ٢١٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣١٤

أحدها: أنه لما نسخ فرض قيام الليل، طاف الرسول عليه السلام تلك الليلة على بيوت أصحابه لينظر ماذا يصنعون، لشدة حرصه على ما يظهر منهم من الطاعات، فوجدها كبيوت الزنابير، لكثرة ما يسمع من أصوات قراءتهم وتسيحهم وتهليلهم، فالمراد من قوله

«وتقلّبك في الساجدين» طوافه صلوات الله عليه تلك الليلة على الساجدين.

وثانيها: المراد أنه عليه السلام كان يصلّي بالجماعة، فتقلّب في الساجدين معناه: كونه فيما بينهم ومختلطاً بهم حال القيام والركوع والسجود.

وثالثها: أن يكون المراد أنه لا يخفى حالك على الله كلما قمت وتقلّبت مع الساجدين في الاشتغال بامور الدين.

ورابعها: المراد تقلّب بصره فيمن يصلّي خلفه، والدليل عليه قوله عليه السلام: أتموا الركوع والسجود فأنتى أراكم من وراء ظهري. فهذه الوجوه الأربعة ممّا يحتملها ظاهر الآية، فسقط ما ذكرت.

والجواب: لفظ الآية محتمل للكُلِّ، وليس حمل الآية على البعض أولى من حملها على الباقي، فوجب أن نحملها على الكلِّ، وحينئذٍ حصل المقصود.

وممّا يدلّ أيضاً على أنّ أحداً من آباء محمّد عليه السلام ما كان من المشركين: قوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»، وقال تعالى: «إنّما المشركون نجس» (١) وذلك يوجب أن يقال:

أنّ أحداً من أجداده ما كان من المشركين.

إذا ثبت هذا فنقول: ثبت بما ذكرنا أنّ والد إبراهيم عليه السلام ما كان

(١) سورة التوبة ٩: ٢٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣١٥

مشركاً، وثبت أنّ آزر كان مشركاً، فوجب القطع بأنّ والد إبراهيم كان إنساناً آخر غير آزر...

وأما أصحابنا، فقد زعموا أنّ والد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كافراً، وذكروا أنّ نصّ الكتاب في هذه الآية يدلّ على أنّ آزر كان كافراً، وكان والد إبراهيم عليه السلام، وأيضاً: قوله تعالى: «وما كان استغفار إبراهيم لأبيه» (١) إلى قوله «فلما تبين له أنّه عدوٌّ لله تبرأ منه» (٢)

وذلك يدلّ على قولنا. وأما قوله «وتقلّبك في الساجدين» قلنا: قد بيّنا أنّ هذه الآية تحتل سائر الوجوه، قوله: تحمل هذه الآية على الكلِّ، قلنا: هذا محال، لأنّ حمل اللفظ المشترك على جميع معانيه لا يجوز، وأيضاً: حمل اللفظ على حقيقته ومجازه معاً لا يجوز. وأما قوله عليه السلام: لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، فذلك محمول على أنّه ما وقع في نسبه ما كان... (٣)

وقال في (أسرار التنزيل):

«أما قوله تعالى «وإذ قال إبراهيم لأبيه» (٤)

ففيه مسائل:

المسألة الاولى: في آزر قولان:

الأول: إنّ والد إبراهيم عليه السلام، ولهم في ذلك دلائل:

الحجّة الاولى: ظاهر لفظ القرآن في هذه الآية يدلّ على ذلك، ثمّ إنّ ظاهر هذه الآية متأكّد بآيات اخرى، منها: قوله تعالى في سورة مريم: «إذ قال

(١) سورة التوبة ٩: ١١٤.

(٢) سورة التوبة ٩: ١١٤.

(٣) تفسير الرازي ١٣: ٣٨ - ٤٠.

(٤) سورة الأنعام ٦: ٧٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣١٦

لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر» (١)

وقال أيضاً: «ما كان استغفار إبراهيم لأبيه» إلى قوله: «فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه»، فكل هذه الآيات تدل على أن أبا إبراهيم كان كافراً عابداً للوثن.

الحجّة الثانية: إنّ العرب سمعوا هذه الآية، وقد كانوا أحرص الناس على تكذيب الرسول وأعظمهم رغبة في براءة شجرة النسب عن كل عيب، فلو لم يكن آزر والد إبراهيم لتسارعوا إلى تكذيبه، ولوجدوا ذلك غنيمَةً عظيمةً في الطعن فيه.

الحجّة الثالثة: إنّ تعالى ذكر قصّة إبراهيم عليه السلام مع أبيه في آيات كثيرة، ولم يذكر اسم العمّ في القرآن، فيتعدّر حمل لفظ الأب في هذه الآية على العم.

القول الثاني: إنّ آزر لم يكن والد إبراهيم عليه السلام. واحتجوا عليه بوجه:

الأول: إنّ آباء الأنبياء ما كانوا كفّاراً، ويدل عليه وجوه:

منها: قوله تعالى: «الذي يراكم حين تقوم وتقلّبك في الساجدين» قيل:

معناه أنّه كان ينتقل روحه من ساجد إلى ساجد، وبهذا التقرير، فالآية دالّة على أنّ جميع آباء محمّد عليه السلام كانوا مسلمين، وحينئذٍ، يجب القطع بأنّ والد إبراهيم ما كان من الكافرين، أقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى «وتقلّبك في الساجدين» على وجوه:

منها: إنّ لَمَّا نسخ فرض قيام الليل طاف الرسول عليه السلام تلك الليلة على بيوت أصحابه لينظر ماذا يصنعون، لشدة حرصه على ما يظهر منهم من

(١) سورة مريم ١٩: ٤٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣١٧

الطاعات، فوجدها كبيوت الزنابير لكثرة ما يسمع من دندنتهم بذكر الله، فالمراد من قوله «وتقلّبك في الساجدين» طوفه عليه السلام على الساجدين في تلك الليلة.

ومنها: المراد يراكم حين تقوم للصلاة بالناس جماعة، وتقلّب في الساجدين: كونه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده؛ لأنّه كان إماماً.

ومنها: أنّه لا يخفى على الله حالكم كلّما قمت وتقلّبت مع الساجدين، في الإشتغال بأمر الدين.

ومنها: المراد تقلّب بصره فيمن يصلّي خلفه من قوله: أتموا الركوع والسجود فأني أراكم من ورائي وخلفي.

فهذه الآية وإن كانت تحتل هذه الوجوه الأربعة، إلّا أنّ الوجه الذي ذكرناه الآن أيضاً محتمل، والروايات وردت بالكلّ، ولا منافاة بين هذه الوجوه، فوجب حمل الآية على الكلّ، ومتى صحّ ذلك ثبت أنّ والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان.

ومما يدل على أنّ آباء محمّد عليه السلام ما كانوا من المشركين: قوله عليه السلام: لم أزل أنتقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، وقال تعالى: «إنما المشركون نجس»، فوجب أن لا يكون أحد من آبائه مشركاً.

الحجّة الثانية على أنّ آزر ما كان والد إبراهيم عليه السلام: إنّ هذه الآية دالّة على أنّ إبراهيم شافه آزر بالغلظة، ومشافه الأب بالغلظة لا تجوز، وذلك يدل على أنّ آزر ما كان والد إبراهيم. أما إنّ إبراهيم شافه آزر بالغلظة، فلو جهين:

الأول: إنه قرىء «وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر» بضم آزر، وهذا يكون

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣١٨

محمولاً على النداء، ومخاطبة الأب ونداؤه بالإسم من أعظم أنواع الجفاء.

الثانى: إنه قال لآزر: «إئى أراك وقومك فى ضلال مبین» وهو من أعظم أنواع الإيذاء.

ثبت أنه شافه آزر بالغلظة.

وإنما قلنا أن مشافه الأب بالغلظة لا يجوز، لوجوه:

الأول: قوله تعالى: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً» وهذا عام فى حق الكافر والمسلم. وقال تعالى: «لا تقل لهما أف ولا تنهرهما» وهذا أيضاً عام.

الثانى: إنه تعالى لما بعث موسى إلى فرعون أمره بالرفق معه، قال تعالى: «فقلوا له قولاً لئناً» والسبب فى ذلك أن يصير هذا رعايه لحق تربية فرعون، فهاهنا الوالد أولى بالرفق.

الثالث: إن الدعوة مع الرفق أكثر تأثيراً فى القلب، وأمياً التغليظ فإنه ينفر السامع عن القبول، ولهذا قال تعالى لمحيد عليه السلام: «وجادلهم بالتي هي أحسن»، فكيف يليق بإبراهيم هذه الخشونة مع أبيه فى وقت الدعوة.

الرابع: إنه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام الرفق الشديد مع هذا المسمى بالأب، وهو قوله: «يا أبت لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يعنى عنك شيئاً»، ثم إن ذلك الإنسان غلظ معه فى القول فقال: «لئن لم تنته لأرجمك»، ثم إن إبراهيم عليه السلام ما ترك الرفق معه بل قال: «سلام عليك سأستغفر لك ربى»، فإذا كان عادة إبراهيم فى الرفق والقول الحسن هذا، فكيف يليق أن يظهر الخشونة والغلظة مع أبيه؟

ثبت بهذه الحجّة أن آزر ما كان والد إبراهيم.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣١٩

الحجّة الثالثة: إنه جاء فى كتب التواريخ: أن اسم والد إبراهيم عليه السلام تارخ، وأما آزر فهو كان عم إبراهيم.

ثم إن القائمين بهذا القول أجابوا عن دلائل أصحاب القول الأول فقالوا:

القرآن وإن دلّ على تسمية آزر بالأب، إلا أن هذا لا يدلّ على القطع بكونه والد له، وذلك، لأنّ لفظ الأب فقد تطلق على العمّ، قال تعالى حكاية عن أولاد يعقوب: «نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل» فسموا إسماعيل أباً ليعقوب، مع أن إسماعيل كان عمّاً ليعقوب، وقال رسولنا عليه السلام: ردّوا علىّ أبى. يعنى العباس. وأيضاً: يحتمل أن يكون آزر كان أب ام إبراهيم، وهذا قد يقال له الأب، قال تعالى: «ومن ذريته داود وسليمان» إلى قوله: «وعيسى»، فجعل عيسى من ذرية إبراهيم مع أنه كان جدّه من قبل الامّ، وبهذا ظهر الجواب عن الحجّة الثانية، وذلك لأنّ تسمية العم بالأب مشهور فى اللغة العربيّة، فلهذا السبب فى هذه الآية ما كذبوه.

هذا تمام هذا الكلام فى نصره هذا القول.

واعلم أن القول الأول أولى، وذلك لأنّ ظاهر لفظ الأب يدلّ على الوالد.

أمياً التمسك بقوله تعالى: «وتقلّبك فى الساجدين» فهو محمول على سائر الوجوه، ولا نحمله على أن روحه كانت تنتقل من ساجد إلى ساجد، محافظة على ظاهر الآية التى تمسكنا بها وهو قوله «لأبيه آزر».

وأما الحجّة الثانية فجوابها: إنكم تمسكتم بعمومات دالّة على أنه لا يجوز إظهار الخشونة مع الأب فنقول: إن قلنا بما ذكرتم سيّمت تلك العمومات عن هذا التخصيص، إلما أنه وجب حمل لفظ الأب على المجاز، وإن أجرينا لفظ الأب على حقيقته، لزمننا إدخال التخصيص فى تلك

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٢٠

العمومات، لكننا بيننا في اصول الفقه إنه مهما وقع التعارض بين المجاز والتخصيص، كان التزام التخصيص أولى، فكان الترجيح معنا»
«١».

أقول:

وأما تشكيكات الرازي- المعروف بإمام المشككين- في استدلال أهل الحق بالآية «وتقلّبك في الساجدين» والحديث المذكور، فركيكة جداً.

أما في الآية فغاية ما قال: إن حمل اللفظ المشترك على جميع معانيه غير جائز، كحمل اللفظ الواحد على كلا معنييه الحقيقي والمجازي، وفيه:

أولاً: إنه متى ورد بتفسير الآية المباركة رواية من أهل السنّة ثبت قول أهل الحق، صح الاستدلال بها، لمطابقتها روايات أهل البيت عليهم السلام واعتضادها بالأدلة السديدة الأخرى، وحينئذٍ لا يلتفت إلى الأقوال والتفاسير الأخرى للآية، ولا تكون قادحة في هذا الاستدلال.

وقد عرفت من كلام السيوطي احتجاج الماوردي صاحب كتاب (الحاوي) بالآية على إسلام آباء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكفى بذلك ردعاً للشبهات ودفعاً للتوهمات.

وثانياً: إن إرادة المعاني المتعددة من اللفظ المشترك جائز عند الشافعي وهو إمام الفخر الرازي، بل لقد قال بوجوده عند عدم المخصّص ... وقد ذكر الرازي نفسه هذا القول عن الشافعي في كتابه الذي ألفه في ترجيح مذهبه- أي الشافعي- على سائر المذاهب، ودافع عنه ونصّ على موافقه أجلة الأصوليين معه، وهذا نصّ عبارة الرازي:

«المسألة الرابعة: عابوا عليه قوله: اللفظ المشترك محمول على جميع

(١) أسرار التنزيل للفخر الرازي: ٢٩٦-٢٧٢، الباب الثاني، الفصل الأول.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٢١

معانيه عند عدم المخصّص. قالوا: والدليل على أنه غير جائز: أن الواضع وضعه لأحد المعنيين فقط، فاستعماله فيهما يكون مخالفةً للغة. وأقول: إن كثيراً من الأصوليين المحققين وافقوه عليه، كالقاضي أبي بكر الباقلاني والقاضي عبد الجبار بن أحمد، ووجه قوله فيه ظاهر، وهو أنه لما تعدد التعطيل والترجيح لم يبق إلّا الجمع. وإنما قلنا: إنه تعدد التعطيل، لأنه تعالى إنّمَا ذكره للبيان والفائدة، والقول بالتعطيل إخراج له عن كونه بياناً، وإنما قلنا: إنه تعدد الترجيح، لأنه يقتضى ترجيح الممكن من غير مرجح وهو محال. ولما بطل القسمان لم يبق إلّا الجمع. وهذا وجه قوى حسن في المسألة، وإن كنا لا نقول به» «١».

فظهر: إن هذا القول قول إمامه الشافعي، وغير واحدٍ من الأئمة موافقون له، والرازي يدافع عنه بوجه قوى حسن.

وإذا كان الرازي لا يوافق عليه في (التفسير الكبير)، فهو موافق له في (أسرار التنزيل) حيث يقول:

«أما التمسّيك بقوله تعالى: «وتقلّبك في الساجدين» فهو محمول على سائر الوجوه، ولا نحمله على أن روحه كانت تنتقل من ساجدٍ إلى ساجد» «٢».

فإن معنى الحمل على سائر الوجوه هو الحمل على المعاني المتعددة.

وأما في الحديث- وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لم أزل انقل من أصلاب الطاهرين- فحاصل استدلال أهل الحق هو: إن الله تعالى وصف المشركين بالنجاسة وهي ضد الطهارة، فلو كان آباؤه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(١) رسالة الرازي في ترجيح مذهب الشافعي- المسألة الرابعة.

(٢) أسرار التنزيل: ٢٧٢، الباب الثاني، الفصل الأول.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٢٢

مشركون لما وصفهم بالطهارة، وإلا لزم اجتماع الضدين.

ولم يتعرّض الفخر الرازي للجواب عن هذا الاستدلال، والحديث منقول بطرق متعدّدة، فحاول تأويله بما لم يرتضه هو في (أسرار التنزيل) حيث لم يذكره أصلاً، وإنما قال:

«وأما الحديث، فهو خبر واحد فلا يعارض القرآن».

ولا يخفى وهن هذا الكلام... وكم من موردٍ قد رفعوا اليد فيه عن ظاهر القرآن بخبرٍ واحد!!

ثم إنَّ عدم كون آزر والدّاً لسيدنا إبراهيم عليه السلام ليس قول أهل الحق وحدهم، فقد وافقهم غير واحدٍ من أئمة المفسّرين، كما ذكر السيوطي في (الدرج المنيفة).

هذا، ويعجبني في هذا المقام كلام شارح (مسلم الثبوت)، فإنّه مع مرآته التام وتعصّبه الشديد الشائع بين الخاص والعام، أتى بما يجلو صدء الأفهام ويزيح ظلمة الشكوك والأوهام، حيث قال في (فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت):

«وأما الواقع، فالمتوارث من لدن آدم عليه السلام أبي البشر إلى نبينا ومولانا أفضل الرسل وأشرف الخلق محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلّم:

أنّه لم يبعث نبى قطّ أشرك بالله طرفه عين، وعليه نصّ الإمام أبو حنيفة رحمه الله في الفقه الأكبر، وفي بعض المعتمرات أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن حقيقة الكفر وعن حكمه بتبعيته آبائهم، وعلى هذا، فلا بدّ من أن يكون تولّد الأنبياء بين أبوين مسلمين أو يكون موتهما قبل تولّدهم، لكن الشقّ الثاني قلما يوجد في الآباء ولا يمكن في الامتهات، ومن هاهنا بطل ما نسب

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٢٣

بعضهم من الكفر إلى أمّ سيّد العالم مفخر بنى آدم، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلامه، وذلك لأنّه حينئذٍ يلزم نسبة الكفر بالتبع، وهو خلاف الإجماع، بل الحقّ الراجح هو الأول.

وأما الأحاديث الواردة في أبوي سيّد العالم صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلامه، متعارضة مرويةً آحاداً، فلا تعويل عليها في الإعتقاديّات.

وأما آزر، فالصحيح أنّه لم يكن أباً إبراهيم عليه السلام بل أبوه تارخ، كذا صحّح في بعض التواريخ، وإتّما كان آزر عمّ إبراهيم عليه السلام وربّاه الله تعالى في حجره، والعرب تسمّى العم الذي ولى لتربية ابن أخيه أباً له، وعلى هذا التأويل قوله تعالى: «وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر»، وهو المراد بما روى في بعض الصحاح أنّه نزل في أبي سيّد العالم صلوات الله عليه: «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنّهم أصحاب الجحيم»، فإنّ المراد بالأب العم، كيف لا؟ وقد وقع صريحاً في صحيح البخاري أنّه نزل في أبي طالب. هذا.

وينبغي أن يعتقد أنّ آباء سيّد العالم - صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلّم - من لدن أبيه إلى آدم كلّهم مؤمنون، وقد بين السيوطي بوجه أتمّ «١» إنتهى.

(١)

فواتح الرحموت - شرح مسلم الثبوت - على هامش المستصفى ٢: ٩٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٢٥

إشارة

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٢٧

قال الرازي في (التفسير الكبير):

«إن أصحابنا يمنعون من ذكر «صلوات الله عليه» و «عليه السلام» إلأى حق الرسول. والشيعه يذكرونه في علي وأولاده. واحتجوا عليه: بأن نص القرآن دل على أن هذا الذكر جائز في حق من يؤدى الزكاة، فكيف يمنع ذكره في حق علي والحسن والحسين؟ ورأيت بعضهم يقول: أليس إن الرجل إذا قال: سلام عليكم، فليل له: وعليكم السلام، فدل هذا على أن ذكر هذا اللفظ جائز في حق جمهور المسلمين، فكيف يمنع ذكره في حق أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم؟».

هل الصلاة على غير النبي من بدع الشيعة...؟ ص: ٣٢٧

بل ذكر بعضهم أن هذا، أى الصلاة على غير الأنبياء، من بدع الشيعة، فتجب مخالفتهم، قال القاضى عياض: «والذى ذهب إليه المحققون- وأميل إليه- ما قاله مالك وسفيان- رحمهما الله- وروى عن ابن عباس، واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين: إنه لا- يصل على غير الأنبياء عند ذكرهم، بل هو شىء يختص به الأنبياء توقيراً لهم وتعزيراً، كما يخص الله عند ذكره بالتنزيه والتقدیس والتعظيم، ولا يشاركه فيه غيره، وكذلك يجب تخصيص النبى صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم، ولا يشارك فيه سواهم، كما أمر الله به

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٢٨

بقوله تعالى: «صلوا عليه وسلموا تسليماً»، ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضا كما قال تعالى: «يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان» وقال: «والذين أتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم». وأيضاً: فهو أمر لم يكن معروفاً فى الصدر الأول، كما قال أبو عمران، وإتما أحدثه الرافضة والمتشيعة فى بعض الأئمة، فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة، وساوهم بالنبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك. وأيضاً، فإن التشبه بأهل البدع منهى عنه، فتجب مخالفتهم فيما التزموه» (١). أقول:

الأحاديث المتفق عليها فى أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة على أهل بيته مع الصلاة عليه، ونهيه عن الصلاة البتراء... كثيرة «... ٢»، بل مقتضى قوله تعالى: «وصل عليهم إن صلاتك سيكن لهم» هو جواز الصلاة- بمعنى طلب الرحمة- لسائر المسلمين المستحقين لذلك، والذين هم أهل للدعاء لهم... لكن من نفس هذه الكلمات يظهر أن ليس هذا المنع منهم إلا تعصياً بعناداً لأهل البيت وشيعتهم... وإلما، فأى معنى للصلاة على الجارية المليحة وعلى كل مليح كما عن إمامهم يحيى بن معين!!

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢: ١٩١-١٩٢.

(٢) أخرجها البخارى ومسلم وسائر أرباب السنن والمسائيد والمفسرون بتفسير الآية «إن الله وملائكته يصلون على النبى»... ولعل أجمعها (الدر المنثور ٥: ٢١٥-٢١٩) وفى (الصواعق) بذيل الآية: ويروى: لا تصلوا على الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال تقولون: اللهم صل على محمد، وتمسكون، بل قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٢٩

ويحيى بن معين يقول في جارية: صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ ...! ص: ٣٢٩

قال ابن الجوزى فى (تلييس إبليس):

«وجاء محمد بن طاهر المقدسى فصنّف لهم- أى للصوفيّة- صفة التصوّف، فذكر فيه أشياء يستحى العاقل من ذكرها، وسنذكر منها ما يصلح ذكره فى مواضعه إن شاء الله تعالى. وكان شيخنا أبو الفضل ابن ناصر الحافظ يقول: كان ابن طاهر يذهب مذهب الإباحة، قال: وقد صنّف كتاباً فى جواز النظر إلى المرد، وأورد فيه حكاية عن يحيى بن معين: رأيت جاريةً بمصر مليحةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهَا، فقيل له: تصلّى عليها؟! فقال: صَلَّى اللهُ عَلَيْهَا وعلى كلّ مليح» (١).

لكنّ محمد بن طاهر المقدسى عندهم من كبار الحفاظ، وقد أثنوا عليه بالغ الثناء «... ٢»، فلماذا هذا التناقض؟ على أنّ صلاة يحيى بن معين هذه رواها سائر الأكابر أيضاً، ففى (تهذيب الكمال):

«قال الحسين بن محمّد: سمعت يحيى بن معين، وذكر عنده حسن الجوارى، قال: كنت بمصر، فرأيت جاريةً بيعت بألف دينار ما رأيت أحسن منها صَلَّى اللهُ عَلَيْهَا. فقلت: يا أبا زكريا! مثلك يقول هذا؟ قال: نعم، صَلَّى اللهُ عَلَيْهَا وعلى كلّ مليح» (٣).

(١) تلييس إبليس: ١٩٠.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٦١ ومصادر ترجمته فى الهامش.

(٣) تهذيب الكمال فى أسماء الرجال: ٥٦١ / ٦٩٢٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٣٠

وقال بعضهم فى يزيد: عليه السلام ...!!! ص: ٣٣٠

والعجب أنّهم يقولون ليزيد بن معاوية «عليه السلام» ويجعلون إنكار ذلك دليلاً على الترفّض!!

قال الصفدى بترجمة إبراهيم بن أبى بكر عبدالعزيز من (الوافى بالوفيات):

«وكان يترفّض. قيل: إنّه جاء إليه إنسان فى بعض الأيام وقال له: هل عندك كتاب فضائل يزيد عليه السلام؟ فقال: نعم، ودخل إلى داخل الدكان وخرج وفى يده جراب عتيق وجعل يضربه على رأسه ويقول: العجب كم لك ما قلت صَلَّى اللهُ عَلَيْهُ وَسَلّم، ويكررها» (١).

الأقوال والأدلة كما ذكر ابن حجر ... ص: ٣٣٠

لكنّ القوم فى حكم المسألة مختلفون، فعندهم قول بالجواز مطلقاً، وهو المحكى عن أحمد وأبى حنيفة وجماعة... قال ابن حجر فى (فتح البارى):

«وأما المؤمنون فاختلف فيه:

فقيل: لا يجوز إلّا على النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهُ وَسَلّم خاصة؛ حكى عن مالك كما تقدّم.

وقالت طائفة: لا- يجوز مطلقاً استقلالاً ويجوز تبعاً فيما ورد به النصّ أو الحقّ به، لقوله تعالى: «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً»، ولأنّه لمّا علّمهم السلام قال: السلام علينا وعلى عباده الصالحين، ولمّا علّمهم الصلاة قَصّر عليه وعلى أهل بيته؛ وهذا القول اختاره القرطبى فى المفهم

(١) الوافي بالوفيات ٥: ٣٣٩/٢٤٠٧.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٣١

وأبوالمعالى من الحنابلة، وقد تقدّم فى تفسير سورة الأحزاب، وهو اختيار ابن تيمية من المتأخرين.

وقال طائفة: يجوز مطلقاً، وهو مقتضى صنيع البخارى، فإنه صدر بالآية وهو قوله تعالى: «وَصَلِّ عَلَيْهِمْ»، ثم علق الحديث الدال على الجواز مطلقاً، وعقبه بالحديث الدال على الجواز تبعاً:

فأما الأول، وهو حديث عبد الله بن أبي أوفى، فتقدّم شرحه فى كتاب الزكاة، ووقع مثله عن قيس بن سعد بن عبادة أن النبى صلى الله عليه وسلم رفع يديه وهو يقول: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة؛ أخرجه أبو داود والنسائي، وسنده جيد. وفى حديث جابر: إن امرأته قالت للنبى صلى الله عليه وسلم: صل على زوجي، ففعل؛ أخرجه أحمد مطوّلاً ومختصراً، وصححه ابن حبان.

وهذا القول جاء عن الحسن ومجاهد، ونص عليه أحمد فى روايه أبى داود، وبه قال إسحاق وأبو ثور وداود والطبرى، واحتجوا بقوله تعالى: «هو الذى يصلّى عليكم وملائكته».

وفى صحيح مسلم، من حديث أبى هريرة مرفوعاً: إن الملائكة تقول لروح المؤمن: صلى الله عليك وعلى جسدك.

وأجاب المانعون عن ذلك كله: بأن ذلك صدر من الله ورسوله، ولهما أن يخصّوا من شاء بما شاء، وليس ذلك لأحد غيرهما.

وقال البيهقي: يحمل قول ابن عباس بالمنع إذا كان على وجه التعظيم، لا ما إذا كان على وجه الدعاء بالرحمة والبركة.

وقال ابن القيم: المختار أن يصلّى على الأنبياء والملائكة وأزواج النبى

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٣٢

صلى الله عليه وسلم وآله وذريته وأهل الطاعة، على سبيل الإجمال، ويكره - فى غير الأنبياء - لشخص مفرد بحيث يصير شعاراً، ولا سيما إذا ترك فى حقّ مثله أو أفضل منه كما يفعله الرافضة، فلو اتفق وقوع ذلك منفرداً فى بعض الأحيان، من غير أن يتخذ شعاراً، لم يكن به بأس، ولهذا لم يرد فى حقّ غير من أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقول ذلك لهم، وهم من أدّى زكاته إلا نادراً، كما فى قصّة زوجة جابر وآل سعد بن عبادة» (١).

بل لقد وضعوا فى ذلك حديثاً، رواه المحبّ الطبرى فى (الرياض النضرة):

«عن يخامر السكسكى: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم صل على أبى بكر، فإنه يحبك ويحب رسولك، اللهم صل على عمر، فإنه يحبك ويحب رسولك، اللهم صل على عثمان، فإنه يحبك ويحب رسولك، اللهم صل على أبى عبيدة بن الجراح، فإنه يحبك ويحب رسولك، اللهم صل على عمرو بن العاص، فإنه يحبك ويحب رسولك.

أخرجه الخلعى» (٢).

وهو حديث موضوع قطعاً، لوجوه:

منها: عدم ذكر أمير المؤمنين عليه السلام فيه.

ومنها: ما ثبت من كون «عمرو بن العاص» مطعوناً فى دينه، حتّى اعترف بذلك الدهلوى فى (التحفة) وكان ملعوناً على لسان النبى الامى:

قال الحافظ أبو يعلى فى (مسنده):

(١) فتح البارى فى شرح البخارى ١١: ١٤٢/باب هل يصلّى على غير النبى؟

(٢) الرياض النضرة ١: ٢٢٩-٢٣٠ / ٥٩ الباب الثالث.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٣٣

«ثنا على بن المنذر، ثنا ابن فضيل، ثنا يزيد بن أبي زياد، عن سليمان ابن عمرو بن الأحوص، عن أبي برزة قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فسمع صوت غناء فقال: انظروا ما هذا؟ فصعدت فنظرت، فإذا معاوية وعمرو بن العاص يغنيان، فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

اللهم أركسهما في الفتنة ركساً، اللهم دعهما إلى النار دعاً» (١).

وأخرجه أحمد في (مسنده) عن عبد الله بن محمد عن أبي فضيل «... ٢».

وقال الطبراني في (المعجم الكبير):

«ثنا أحمد بن علي بن الجارود الأصبهاني، ثنا عبد الله بن سعيد الكندي، ثنا عيسى بن الأسود النخعي، عن ليث بن طاووس، عن ابن عباس قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت رجلين يغنيان وهما يقولان... فسأل عنهما فقيل له: معاوية وعمرو بن العاص.

فقال: اللهم أركسهما في الفتنة ركساً ودعهما إلى النار دعاً» (٣).

هذا، مع ماله من المطاعن الكثيرة، ككونه من المؤلّبين على عثمان «٤» وكمواقفه من أمير المؤمنين عليه السلام في صفين. وهو أيضاً مطعون في نسبه...

فالحديث المذكور موضوع قطعاً...

وكذلك سائر الأحاديث الأخرى الواردة في كتبهم في مدحه «٥».

(١) مسند أبي يعلى ١٣: ٤٢٩-٤٣٠ / ٧٤٣٦، وفيه: «فلان وفلان»!!

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٥٨٠ / ١٩٢٨١، وفيه: «فلان وفلان»!!

(٣) المعجم الكبير ١١: ٣٨ / ١٠٩٧٠، وفيه التصريح باسمهما.

(٤) الاستيعاب، بترجمته ٣: ١١٨٧، وانظر ترجمة محمد بن أبي حذيفة، وعبد الله بن أبي سرح.

(٥) كنز العمال ١٣: ٥٤٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٣٥

الجبر والإختيار ... ص: ٣٣٥

إشارة

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٣٧

هل أفعال العباد واقعة بقدره الباري وحدها ... ص: ٣٣٧

قد نسب هذه العقيدة إلى الأشاعرة علماء أهل السنة وانتقدها بعضهم:

قال الشيخ كمال الدين السهالي - من كبار علماء الهند - في كتاب (العروة الوثقى) في مسألة الجبر والإختيار:

«فاعلم إن هاهنا مذاهب:

الأول: مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري من الشافعية: إن أفعال العباد واقعة بقدرته تعالى وحدها، وليس لهم تأثير، بل الله سبحانه أجرى عاداته بأن يخلقها في العبد عندما كسبها، والمعنى بكسب العبد لفعله مقارنته لقدرته وإرادته، وإنما قدرته وإرادته منه تعالى كسائر مخلوقاته، فرجع قولهم إلى وجود القدرة الوهيمية مع الفعل، ولا مدخل للعبد في فعله إلا كونه محلاً له؛ فالفعل مخلوق الله تعالى إبداعاً وإحداثاً مكسوب العبد فقط.

الثاني: مذهب أبي منصور الماتريدي من الحنفية، وهو بعينه مذهب الأشعري إلا أنهم قالوا: الكسب صرف القدرة إلى العزم المصمم للفعل، فقالوا: إن للقدرة الكاسبة تأثيراً في العزم المذكور، ويخلق الله تعالى الفعل عقبيه بالعادة.

فقال بعضهم: العزم من الأحوال وليس بوجوده، فإحداثه ليس بخلق والإحداث أهون من الخلق، فحينئذٍ لا حاجة إلى تخصيص النصوص الدالة على عموم الخلق منه تعالى، نحو «الله خالق كل شيء» و«خلقكم وما

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٣٨

تعملون».

وقال بعضهم: بل موجود، فيجب التخصيص بالعقل، لأنه أدنى ما يتحقق به فائدة خلق القدرة، ويصح اتجاه التكليف شرطاً.

الثالث: مذهب المعتزلة، وهو أنها واقعة بقدرة العبد وحدها على الاستقلال.

والرابع: ما قال جماعة أنها بالقدرتين معاً.

والخامس: مذهب الحكماء وإمام الحرمين وأبي الحسين: أنها واقعة على سبيل الوجوب، بقدرة يخلقها الله تعالى في العبد إذا قارنت الشرائط وارتفع الموانع، وليس ببعيد، لكنه راجع بالأخرة إلى مذهب المعتزلة كما يظهر بالتأمل.

وهاهنا مذهب سادس، وهو مذهب الجهمية وهو: أنه لا قدرة للعبد ولا دخل له أصلاً، بل هو كالجماد، فمع أنه سفسطه يلزم عدم اتجاه التكليف الشرعية، فإن العقل يقطع بامتناع تعلق العقاب بالفعل الواجب أو الممتنع من الفاعل، بل يلزم نسبة الظلم إليه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً و«إن الله ليس بظلام للعبيد» و«لا يكلف الله نفساً إلا وسعها».

والمذهب الرابع يوجب توارد المؤثرين المتلازمين على أثر واحد، إن أرادوا أن القدرتين مستقلتان في التأثير، وإن أرادوا أن أحدهما مستقلة بالفاعلية والآخرى من الشرائط، فيرجع إلى مذهب المعتزلة أو أحد الأولين.

احتجت المعتزلة: تارة بالنصوص الدالة على عموم نسبة الخلق إليه تعالى وقد مر، وتارة: بأنه لولا استقلال العبد في أفاعيله، لبطل التكليف بالأمر والنهي، ولم يصح الثواب والعقاب والمدح والذم، بل ينتفى فائدة البعث، لأن

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٣٩

العبد حينئذٍ إما لا دخل له أصلاً، فيرجع إلى مذهب الجبرية، وإما له دخل ناقص باعتبار أنه محل القدرة الغير المؤثرة التي خلق الله تعالى الفعل فيه مقارناً بإها، فمناط ذلك الفعل وموجده وخالقه ليس إلا هو، فإنما عاقب على ما خلقه، فذلك أيضاً يوجب تلك النسبة الباطلة.

والحل عنها على طريق الحنفية: إن العبد لما كان كاسباً لفعله كما عرفت وسيجيء تحقيقه كما هو، وأجرى الله عاداته أن يخلق الفعل عقبيه ولا يخلق عند عدم كسبه، فذلك مناط العقاب، ولا يلزم إذن فساد اتجاه التكليف، ومن هاهنا صح انتساب أفعال العباد إليهم، وذلك هو المناط في اللغة والعرف، لا يوجب أن يكون الفاعل خالقاً لفعله، نعم، يلزم الأشاعرة القائلين بالقدرة الوهيمية تلك النسبة الباطلة، ولذلك قيل إنها كفؤ للجبر».

فقد صرح بلزوم الظلم على مذهب الأشاعرة.

وقال أيضاً:

«ولابد هاهنا من تمهيد مقدمات:

منها: إنَّ حسن الأفعال وقبحها عقلي، على المذهب المنصور، وهو مذهب أبي منصور الماتريدي، بناء على بطلان الترجيح بلا مرجح، فإن جعل بعض الأفعال مناسلاً للثواب والمدح، والبعض الآخر مناسلاً للعقاب والذم بلا موجب مرجح من ذاتها، مستحيل قطعاً، والصانع الحكيم لا يرجح المرجوح بل المساوي. وبالجملة: حكمه الأمر قاضية بأنَّ تخصيصات الأفعال بثمراتها لا بد لها من مرجح من ذاتها، وقد بين في موضعه، وما أحسن ما قال الشيخ الأكبر محي الدين بن علي العربي في بعض مصنفاته: لولم يكن للأفعال خصوصية داعية إلى ثمراتها المخصوصة بها، ويكون الأفعال التي على هوى

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٤٠

النفس والتي على خلاف هواها سواسية في تعلق ثمراتها بها، يلزم نسبة الظلم إليه، تعالى الله عن ذلك، فإنَّ الطاعات الواجبة كلها على خلاف هوى النفس، ولذا قال عليه السلام: أفضل العبادات أحمرها، بل الفعل خلاف الهوى عين الطاعة، والمعاصي كلها على وفاق هواها، بل وفاق الهوى نفس المعصية، وإذا كانت الطاعات متساوية النسبة في الواقع، بجعلها مناسلاً للثواب والعقاب، وكذا المعاصي بجعلها مناسلاً لها، فتحريم المعاصي بكف النفس عن الشهوات في الدنيا، وإيجاب الطاعات بقهر النفس فيها بلا ضرورة باعثة، ظلم، لأنه حبس النفس عن الشهوات وإقحامها في القهر في الدنيا بلا فائدة، ولو عكس الأمر لفاز العبد بالراحتين في الأولى والآخرة».

وهكذا قال صاحب (مسلم الثبوت) وشارحه، وهما من أعظم المحققين، فقد جاء في (فواتح الرحموت) ما نصه:

«وعند أهل الحق، أصحاب العناية، الذين هم أهل السنّة، الباذلون أنفسهم في سبيل الله بالجهاد الأكبر، له قدرة كاسبه فقط لا خالقة، لكن عند الأشعرية من الشافعية ليس معنى ذلك الكسب إلا وجود قدرة متوهمة يتخيله الشخص قدرة مع الفعل بلا مدخلية لها أصلاً في شيء، فعندهم إذا أراد الله تعالى أن يخلق في العبد فعلاً، يخلق أولاً صفة يتوهم أول الأمر إنها قدرة على شيء، ثم يوجه الله تعالى إلى الفعل ثم يوجد الفعل، فنسبة الفعل إليه كنسبة الكتابة إلى القلم. قالوا: ذلك كاف في صحّة التكليف. والحق: أنه كفو للجبر، وهو ظاهر، فإنه متى لم يكن في العبد قدرة حقيقة، فأى فرق بينه وبين الجماد» (١).

(١) فواتح الرحموت - شرح مسلم الثبوت ١: ٤١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٤١

مذهب الأشعرية عين مذهب الجهمية ... ص: ٣٤١

فهذا الكلام صريح في أن مذهب الأشعرية عين مذهب الجهمية، وهو الجبر، وهذا عين السفسطة كما صرح في (فواتح الرحموت): «عند الجهمية الذين هم الجبرية حقاً، لا قدرة للعبد أصلاً على الكسب ولا على الإيجاد، بل هو كالجماذ الذي لا يقدر على شيء، وهذا سفسطة، فإنَّ كل عاقل يعلم من وجدانه أن له نحواً من القدرة، والذي شجعهم على هذه السفسطة رواية نصوص خلق الأعمال، ولم يتعمقوا فيها» (١).

وقال نظام الدين في (شرح مسلم الثبوت):

«وعند أهل الحق، له أي للعبد، قدرة كاسبه، لكن عند الأشعرية ليس معنى ذلك، أي وجود القدرة الكاسبه له، إلا وجود قدرة متوهمة مع الفاعل بلا مدخلية للعبد أصلاً، وحاصله: أن العبد ليس له قدرة ولا لا قدرة ولا دخل، بل بين الفعل والعبد ليس علاقة إلا علاقة المحليّة والحاليّة، كالسواد القائم بجسم غير مقتض له.

قالوا أي الأشعرية: إنَّ ذلك، أي وجود قدرة متوهمة، كاف في التكليف.

والحق: إنه كفو للجبر عند التحقيق، فهم وإن احترزوا عن الجبر لفظاً، لكن قلوبهم به مؤمنة، إذ ليس نسبة الفعل إلى العبد نسبة الفاعلية

ولا نسبة الشرطيّة، فلا علاقة بينهما، فالعبد كالسكين لله تعالى، وهذا هو الجبر حقيقةً.

ثم اكتفاؤهم بهذه القدرة التي اخترعوها في التكليف أيضاً غير معقول، لكن يتأتى على أصلهم، فإنّ تكليف العاجز جائز عندهم، ثم إنهم وإن قالوا بجواز

(١) فواتح الرحموت ١: ٤٠.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٤٢

تكليف الإنسان بما لا يطيقه لكن منعوا وقوعه، ولم يدروا أنّ كلّ تكليف فإنّه تكليف بالمحال، فإنّه لا فرق بين إيجاب الحركة على المرتعش وبين إيجابه على غيره، وكذا النهى للأعمى عن البصر ونهى الكفّار عن الكفر، ولا يعرّج عليه عاقل، واعتذر عنه بما لا ينفع».

كلمات ابن تيمية في المسألة ... ص: ٣٤٢

ومن جملة من حطّ على مذهب الأشاعرة، وردّ عليه بشدّة، هو: ابن تيمية الحرّاني، إذ قال في جواب العلّامة الحلّي رحمه الله:

«جمهور أهل السنّة المثبته للقدر من جميع الطوائف يقولون: إنّ العبد فاعل حقيقة، وإنّ له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة، وهم لا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعيّة، بل يقرون بما دلّ عليه العقل، من أنّ الله تعالى يخلق السحاب بالرياح وينزل الماء من السحاب، وينبت النبات بالماء، ولا- يقولون أنّ قوى الطباع الموجودة في المخلوقات لا- تأثير لها، بل يقرون أنّ لها تأثيراً لفظاً ومعنى، حتّى جاء لفظ الأثر في مثل قوله تعالى: «ونكتب ما قدّموا وآثارهم»، وإن كان التأثير أعمّ منه في الآية، لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الأسباب في مسبباتها، والله تعالى خالق السبب والمسبّب، ومع أنّه خالق السبب فلا بدّ له من سبب آخر يشاركه، ولا بدّ له من معارض يمانعه، فلا يتمّ أثره إلّا مع خلق الله له لا به، بأن يخلق الله تعالى السبب الآخر ويزيل الموانع.

ولكن هذا القول الذي حكاه هو قول بعض المثبته للقدر، كالأشعري ومن وافقه من الفقهاء، من أصحاب مالك والشافعي وأحمد، حيث لا- يثبتون في المخلوقات قوى الطباع، ويقولون إنّ الله تعالى فعل عندها لا بها، ويقولون إنّ قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل، وأبلغ من ذلك قول الأشعري: إنّ

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٤٣

الله فاعل فعل العبد، وإنّ عمل العبد ليس فعلاً للعبد بل كسباً له، وإنّما هو فعل الله تعالى فقط، وجمهور الناس من أهل السنّة من جميع الطوائف على خلاف ذلك، وأنّ العبد فاعل لفعله حقيقة، والله أعلم» (١).

«وأما قوله: وإنّ الله تعالى يريد المعاصي من الكافر ولا يريد منه الطاعة.

فهذا قول طائفة منهم، وهم الذين يوافقون القدريّة، فيجعلون المشيئة والإرادة والمحبّة والرضا نوعاً واحداً، ويجعلون المحبّة والرضا والغضب بمعنى الإرادة، كما يقول ذلك الأشعري في المشهور عنه وأكثر أصحابه، وطائفة ممّن يوافقهم من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد.

وأما جمهور أهل السنّة من جميع الطوائف وكثير من أصحاب الأشعري، فيفرّقون بين الإرادة والمحبّة والرضا، فيقولون إنّ الله وإن كان يريد المعاصي فهو سبحانه لا يحبّها ولا يرضاها بل يبغضها ويسخطها وينهى عنها، وهؤلاء يفرّقون بين مشيئة الله تعالى وبين محبته، وهذا قول السلف قاطبة، وقد ذكر أبوالمعالى الجويني أنّ هذا قول القدماء من أهل السنّة، وأنّ الأشعري خالفهم، فجعل الإرادة هي المحبّة فيقولون، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فكلمًا شاء فقد خلقه» (٢).

وإذا كان الله- والعياذ بالله- يرضى بأنواع المعاصي وأقسام الظلم والضلال، فلا ريب في نسبة الظلم إليه سبحانه وتعالى ...

وفي (منهاج السنّة) أيضاً:

«والقول الثاني: إنَّ الظلم مقدور والله تعالى منزّه عنه، وهذا قول

(١) منهاج السنّة ١: ٣٨٢-٣٨٣.

(٢) منهاج السنّة ١: ٣٨٣-٣٨٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٤٤

الجمهور من المثبتين للقدر ونفاته، وهو قول كثير من النظائر المثبتة للقدر، كالكرامية وغيرهم، وكثير من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وهو قول القاضي أبي حازم ابن القاضي أبي يعلى وغيره، وهذا كتعذيب الإنسان بذنب غيره، كما قال الله تعالى «فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا- يخاف ظلماً ولا- هضماً»، وهؤلاء يقولون: الفرق بين تعذيب الإنسان على فعله الإختياري وغير فعله الإختياري مستقر في فطر العقول، فإنَّ الإنسان لو كان له في جسمه برص أو عيب خلق فيه، لم يستحسن ذمّه ولا عقابه على ذلك، ولو ظلم ابنه أحد يحسن عقابه على ذلك، ويقولون:

الإحتجاج بالقدر على الذنوب ممّا يعلم بطلانه بضرورة العقل، فإنَّ الظالم لغيره لو احتج بالقدر لاحتجّ ظالمه أيضاً بالقدر، فإن كان القدر حجّة لهذا فهو حجّة لهذا وإلا فلا، والأولون أيضاً يمنعون الإحتجاج بالقدر، فإنَّ الإحتجاج به باطل باتفاق أهل الملل وذوى العقول، وإنما يحتجّ به على القبائح والمظالم من هو متناقض القول متبع لهواه كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى ... مذهب وافق هؤلاء تمذهبت به، ولو كان القدر حجّة لفاعل الفواحش والمظالم لم يحسن أن يلوم أحد أحداً، ولا يعاقب أحد أحداً، وكان للإنسان أن يفعل في دم غيره وماله وأهله ما يشتهي من المظالم والقبائح، ويحتجّ بأن ذلك مقدّر عليه» (١).

وقال ابن تيمية:

«بقى الخلاف بين القدرية الذين يقولون أنّ الداعي يحصل في قلب العبد بلا مشيئة من الله ولا قدرة، وبين الجهمية المجبرة الذين يقولون: إنّ

(١) منهاج السنّة ١: ٣٨٧.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٤٥

الداعي قدرة العبد ولا تأثير لها في فعله بوجه من الوجوه، وإنَّ العبد ليس فاعلاً لفعله، كما يقول ذلك جهم بن صفوان إمام المجبرة ومن أتبعه، وإن أثبت أحدهم كسباً لا- يعقل كما أثبت الأشعري ومن وافقه، وإذا كان هذا النزاع في هذا الأصل بين القدرية النفاة لكون الله يعين المؤمنين على الطاعة، ويجعل فيهم داعياً إليها ويخصّهم بذلك دون الكافر، وبين المجبرة الغلاة الذين يقولون إنّ العباد لا يفعلون شيئاً ولا قدرة لهم على شيء، أو لهم قدرة لا يفعلون بها شيئاً ولا تأثير لها في شيء، فكلا القولين باطل.

ثم قال بعد كلام له:

«وهذا حقيقة مذهب أهل السنّة الذين يقولون: إنّ الله خالق الأشياء بالأسباب والله خلق العبد وقدرة يكون بها فعله، فإنَّ العبد فاعل لفعله حقيقة، فقولهم في خلق فعل العبد بإرادة وقدرة كقولهم في خلق سائر الحوادث بأسبابها، ولكن ليس هذا قول من ينكر الأسباب والقوى التي في الأجسام وينكر تأثير القدرة التي بها يكون الفعل ويقول: إنّ لا أثر لقدرة العبد أصلاً في فعله، كما يقول ذلك من يقول بقول جهم وأتباعه والأشعري ومن وافقه، وليس قول هؤلاء قول أئمة السنّة ولا جمهورهم، بل أصل هذا القول هو قول جهم بن صفوان، فإنّه كان يثبت مشيئة الله تعالى وينكر أن يكون له حكمه أو رحمته، وينكر أن يكون للعبد فعل أو قدرة مؤثرة، وحكى عنه أنّه كان يخرج إلى الجذماء ويقول: أرحم الراحمين يفعل هذا؟ إنكاراً لأن تكون له رحمة يتّصف بها، وزعماً منه أنّه ليس إلامشيئة محضه لا اختصاص لها بحكمه، بل يريّجح أحد المتماثلين بلا مريّجح، وهذا قول طائفة من المتأخرين، وهؤلاء يقولون أنّه لم يخلق لحكمه

ولم يأمر لحكمة، وأنه ليس في القرآن لام كي لا

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٤٦

في خلق الله -ولا- في أمره، وهؤلاء الجهمية المجبرة هم والمعتزلة والقدرية في طرفين متقابلين، وقول سلف الامة وأئمة السنة وجمهورها ليس قول هؤلاء، وإن كان كثير من المثبتين للقدر يقول بقول جهم «١».

وقال:

«ومن وافق جهم بن صفوان من المثبتين للقدر على أن الله لا يفعل شيئاً لحكمته ولا لسبب، وأنه لا فرق بالنسبة إلى الله بين الأمور والمحذور، ولا يجب بعض الأفعال ولا يبغض بعضها، فقله فاسد، مخالف للكتاب والسنة واتفاق السلف، وهؤلاء قد يعجزون عن بيان امتناع كثير من النقائص عليه، لاسيما إذا قال من قال منهم أن تنزيهه عن النقص لم يعلم بالعقل بل بالسمع، فإذا قيل لهم: لم قلت إن الكذب ممتنع عليه؟ قالوا: لأنه نقص والنقص عليه محال، فيقال لهم: عندكم أن تنزيهه عن النقص لم يعلم إلا بالإجماع، ومعلوم أن الإجماع منعقد على تنزيهه عن الكذب، فإن صح الاحتجاج على هذا بالإجماع، فلا حاجة إلى هذا التطويل.

وأيضاً: فالكلام إنما هو في العبارة الدالة على هذا المعنى، وهذا كما قاله بعضهم: إنه لا يجوز أن يتكلم بكلام ولا يعنى به شيئاً وقال خلافاً للحشوية، ومعلوم أن هذا القول لم يقله أحد من المسلمين، وإنما النزاع في أنه هل يجوز أن ينزل كلاماً لا يعلم العباد معناه، لا أنه هو في نفسه لا- يعنى به شيئاً، ثم بتقدير أن يكون في هذا نزاع، فإنه احتج على ذلك بأنه عيب والعيب على الله ممتنع، وهذا المحتج يجوز على الله فعل كل شيء، لا ينزهه عن فعل هذا.

وأمثاله من تناقض الموافقين لقول الجهمية الجبرية في القدر كثير، لكن ليس

(١) منهاج السنة ١: ٣٩١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٤٧

هذا قول أئمة السنة ولا جمهورهم.

وذكر ابن تيمية في الجواب عن لزوم عدم الرضا بقضاء الله - بناءً على قول أهل السنة - ثلاثة وجوه، ثم قال:

«وقد أجاب بعضهم بجواب آخر وهو: إننا لا نرضى بالقضاء لا بالمقضى، وقد أجاب بعضهم بجواب آخر: إننا نرضى بها من جهة كونها خلقاً، ونسخطها من جهة كونها كسباً، وهذا يرجع إلى الجواب الثالث، لكن في إثبات الكسب إذا لم يجعل العبد فاعلاً فيه كلام قد ذكر في غير هذا الموضع، فالذين جعلوا العبد كاسباً غير فاعل - من أتباع جهم بن صفوان وحسين النجار كأبي الحسن وغيره - كلامهم متناقض، ولهذا لم يمكنهم أن يذكروا في بيان هذا الكسب والفرق بينه وبين الفعل كلاماً معقولاً، بل تارة يقولون: هو المقذور بالقدرة الحادثة، وتارة يقولون: ما قام بمحل القدرة أو بمحل القدرة الحادثة، وإذا قيل لهم: ما القدرة الحادثة؟ قالوا: ما قامت بمحل الكسب ونحو ذلك من العبارات التي تستلزم الدور، ثم يقولون: معلوم بالإضطرار الفرق بين حركة المختار وحركة المرتعش، وهذا كلام صحيح، لكنه حجة عليهم لا لهم» «١».

وقال بعد كلام له:

«والمقصود هنا التنبيه على أصل القدرية، فإن حقيقة قولهم أن أفعال الحيوان تحدث بلا فاعل، كما أن أصل قول الدهرية الفلاسفة أن حركة الفلك وجميع الحوادث تحدث بلا سبب محدث، وكذلك قول من وافق القدرية من أهل الإثبات على أن الرب تعالى لا يقوم به الأفعال وقال: إن الفعل هو

(١) منهاج السنة ٢: ٥٩ - ٦٠.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٣٤٨

المفعول والخلق هو المخلوق كما يقول الأشعري ومن وافقه، فإنه يلزمه في فعل الذم ما لزم القدرية، ولهذا عامة شاعات هذا القدرى الرافضى على هؤلاء، وهؤلاء طائفة من المثبتين لخلافه أبي بكر وعمر رضى الله عنهما، وقد وافقهم في ذلك كثير من الشيعة الزيدية والإمامية وغيرهم، وقولهم - على كل حال - أقل من قول القدرية، بل أصل خطئهم موافقتهم للقدرية في بعض خطئهم، وأئمة السنة لا يقولون بشيء من هذا الخطأ.

ولذلك، جماهير أهل السنة من أهل الحديث والفقه والتفسير والتصوف لا يقولون بهذه الأقوال المتضمنة الخطأ» (١).

وقال في الجواب عن لزوم عدم الفرق بين الأفعال الإختيارية والإضطرارية بناءً على مذهبهم:

«والجواب: إن هذا إنما يلزم من يقول أن العبد لا قدرة له على أفعاله الإختيارية، وليس هذا قول إمام معروف ولا طائفة معروفة من الطوائف من أهل السنة، بل ولا من طوائف المثبتين للقدرة، إلاما يحكى عن جهم بن صفوان وغلاة المثبتة أنهم سلبوا العبد قدرته، قال: إن حركته كحركة الأشجار بالرياح، إن صح النقل عنهم.

وأشد الطوائف قرباً من هؤلاء هو الأشعري ومن وافقه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وهو مع هذا يثبت للعبد قدرة محدثة واختياراً ويقول: إن الفعل كسب للعبد لكنه يقول: لا تأثير لقدرة العبد في إيجاد المقدور، فلماذا قال من قال: إن هذا الكسب الذى أثبتته الأشعري غير معقول.

(١) منهاج السنة ٢: ٣١.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٣٤٩

وجمهور أهل الإثبات على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وله قدرة واختيار، وقدرته مؤثرة في مقدورها، كما تؤثر القوى والطباع وغير ذلك من الشروط والأسباب، فما ذكره لا يلزم جمهور أهل السنة.

وقد قلنا غير مرة: نحن لا ننكر أن يكون في بعض أهل السنة من يقول الخطأ، لكن لا يتفقون على خطأ» (١).

وقال ابن تيمية - بعد ذكر آيات عديدة في ثبوت القدرة والإرادة للعبد:

«وقد أخبر أن العباد يفعلون ويصنعون ويعملون، ويؤمنون ويكفرون، ويتقون ويفسقون، ويصدقون ويكذبون، ونحو ذلك في مواضع، وأخبر أن لهم استطاعة وقوة في غير موضع، وأئمة أهل السنة وجمهورهم يقولون: إن الله خالق هذا كله، والخلق عندهم ليس هو المخلوق، فيفترقون بين كون أفعال العباد مخلوقة مفعولة للرب، وبين أن يكون نفس فعله الذى هو مصدر فعل يفعل فعلاً فإنها فعل للعباد بمعنى المصدر، وليست فعلاً للرب تعالى بهذا الاعتبار، بل هى مفعولة له، والرب تعالى لا يتصف بمفعولاته.

ولكن هذه الشاعات لزم من لا يفرق بين فعل الرب ومفعوله ويقول مع ذلك أن أفعال العباد فعل الله، كما يقول ذلك جهم بن صفوان وموافقوه الأشعري وأتباعه ومن وافقهم من أتباع الأئمة، ولهذا ضاق بهؤلاء البحث في هذا الموضوع، كما قد بسط في موضعه. وكذلك أيضاً لزم من لا يثبت في المخلوقات أسباباً وقوى وطباع ويقولون: إن الله يفعل عندها لا بها، فيلزم أن لا يكون فرق بين القادر والعاجز.

(١) منهاج السنة ٢: ٢٤.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٣٥٠

وإن أثبت قدرة ويقول: إنها مقترنة بالكسب. قيل له: لم تثبت فرقاً معقولاً بين ما تثبته من الكسب ونفيت من الفعل، ولا بين القادر والعاجز إذا كان مجرد الإقتران لا اختصاص له بالقدرة، فإن فعل العبد يقارن جهله وعلمه وإرادته وغير ذلك من صفاته، فإذا لم يكن

للقدره تأثير إلامجرد الإقتران، فلا فرق بين القدره وغيرها.

وكذلك قول من قال: القدره مؤثره في صفة الفعل لا في أصله، كما يقول القاضي أبوبكر ومن وافقه، فإنه إذا ثبت تأثير بدون خلق الرب، لزم أن يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله، وإن جعل ذلك معلقاً بخلق الرب فلا فرق بين الأصل والصفة. وأما أئمة السنه وجمهورهم فيقولون ما دل عليه الشرع والعقل «... ١».

كلمات ابن القيم في المسألة ... ص: ٣٥٠

وقد تبع ابن القيم شيخه في الرد والتشنيع على مذهب الأشاعرة، فقال بتفسير قوله تعالى: «وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية» ما نصه:

«قد فسّر هذا الظن الذي لا يليق بالله عز وجل بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل وأنه يسلمه للقتل. وفسر بعضهم أن ما أصابهم لم يكن بقضاء الله وقدره ولا حكمه له فيه، ففسّر بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله ويظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون به سبحانه في سورة الفتح حيث يقول: «ويعدّب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم

(١) منهاج السنه ٢: ٢٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٥١

دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنم وساءت مصيراً»، وإنما كان هذا ظن السوء وظن الجاهلية، وهو الظن المنسوب إلى أهل الجهل وظن غير الحق، لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنی وصفاته العليا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، وخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفزده بالربوبية والإلهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه، وبكلمته التي سبقت لرسوله أنه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجندهم بأنهم هم الغالبون، فمن ظن به أنه لا ينصر رسوله ولا يتم أمره ولا يؤيده ولا يؤيد حبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائهم ويظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يدبيل الشرك على التوحيد والباطل على الحق، إداله مستقره يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالاً لا يقوم بعده أبداً، فقد ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته، فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تآبى ذلك، وتآبى أن يذلّ حبه وجنده، وأن يكون النصره المستقره والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسمائه وصفاته وكماله.

وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره، فما عرفه ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته، وكذلك من أنكر أن يكون قدر ما قدره من ذلك وغيره، لحكمه بالغه وغايه محموده يستحق الحمد عليها، وإن ذلك إنما صدر عن مشيه مجردة عن الحكمة وغايه مطلوبة هي أحب إليه من فوتها، وإن تلك الأسباب المكروهة المفضية إليها لا يخرج تقديرها عن الحكمة لانضمامها إلى ما يحب وإن كانت مكروهة له، فما قدرها سدى ولا شاءها عبثاً ولا خلقها باطلاً «ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار»، وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٥٢

ذلك إلامن عرف الله وعرف أسمائه وصفاته وعرف موجب حمده وحكمته.

فمن قنط من رحمته وأيس من روحه، فقد ظن به ظن السوء، ومن جوز عليه أن يعدّب أوليائه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوى بينهم وبين أعدائه، فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن أنه يترك خلقه سدى معطلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رسله ولا ينزل عليهم كتبه بل يتركه هملاً كالأنعام، فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن أنه لا يجمعهم بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازى المحسن فيها

ياحسانه والمسيء بإساءته، ويبيّن لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله، وأن أعدائه كانوا هم الكاذبين، فقد ظنّ به ظنّ السوء.

ومن ظنّ أنّه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصاً لوجهه الكريم على امتثال أمره ويبتله عليه بلا سبب من العبد، أو أنّه يعاقبه بما لا صنع له فيه ولا اختيار له ولا قدرة له ولا إرادة في حصوله، بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به، أو ظنّ به أنّه يجوز عليه أن يؤيد أعدائه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبيائه ورسله ويجريها على أيديهم يضلّون بها عباده، وأنّه يحسن منه كلّ شيء حتّى تعذيب من أفنى عمره بطاعته فيخلده في الجحيم أسفل السافلين، وينعم من استنفد عمره في عداوته وعداوة رسله ودينه فيرفع إلى أعلى عليين، وكلا الأمرين في الحسن سواء عنده، ولا عرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر إلّا بالخبر صادق وإلّا فالعقل لا يقتضى قبح أحدهما وحسن الآخر، فقد ظنّ به ظنّ السوء» (١).

وقال صاحب (فواتح الرحموت ...): ص: ٣٥٢

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد ٣: ٢٢٨ - ٢٣٠.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٣٥٣

«الشمعونيّة قالوا أوّلًا إن كان النسخ لحكمته ظهرت للناسخ الآن ولم تكن ظاهرة من قبل فبداء، أي فالنسخ بداء وجهل بعواقب الامور، وإلّا يكن لحكمته ظهرت فعبث، أي فهو عبث من غير فائدة. قلنا: المصلحة قد تتجدّد بتجدّد الأحوال، والحاكم كان يعلم في الأزّل أنّ المصلحة تتجدّد، فإنّ الكلام فيما ليس بحسن ولا قبيح لذاته، وأمّا ما هو حسن لذاته وقبيح كذلك، فلا يقبل النسخ عندنا أيضًا، فلا بداء، فإن اريد بالظهور الظهور للحاكم بعد الجهل به، فنختار أنّه لم يظهر الآن بل كان ظاهرًا له من الأزّل، ولا يلزم العبث، فالملازمة الثانية ممنوعه، وإن اريد به الوجود في الفعل واتصافه به فلزوم البداء ممنوع، كيف؟ وإنّه كان يعلم من الأزّل أنّه تتجدّد مصلحة فيه، على أنّ الأشاعرة التابعين للشيخ أبي الحسن الأشعري يختارون الشق الثاني ويلتزمون عبثًا، فإنّهم لا يرون اشتمال أحكامه على المصالح، لأنّ الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد» (١).

وقال أيضًا:

«مسألة: لا يجوز عند الحنفيّة والمعتزلة نسخ حكم فعل لا يقبل حسنه أو قبحه السقوط، كوجوب الإيمان وحرمة الكفر وسائر العقائد الباطلة، وقد مرّ من قبل.

إن قلت: الكلّ عند المعتزلة غير الجبائيّة كذلك، لأنّ حسن كلّ فعل وقبحه عندهم لذات الفعل، وما بالذات لا يتخلف.

قلت: ما لغيره قد يغلب على ما بذاته فيتخلف عنه ما لذاته، كما في برودة الماء، وقد مرّ في المبادئ الأحكاميّة.

(١) فواتح الرحموت ٢: ٥٦.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٣٥٤

ويجوز نسخ وجوب الإيمان وحرمة الكفر عند الأشاعرة التابعين للشيخ أبي الحسن الأشعري ومنهم الشافعيّة، إذ لا حسن ولا قبح عندهم إلّا شرعاً، فالإيمان والكفر سيان عندهم، وما أوجب الشرع فهو حسن، وما حرّم فهو حرام، ومن ثمّ جوّزوا نسخ جميع التكليف عقلاً، إلّا الإمام حجة الإسلام الغزالي قدّس الله سرّه قال: يجب معرفة النسخ والناسخ وهو تكليف. قيل في جوابه: سلّمنا أنّه لا بدّ من تلك المعرفة، ولا يجب على المكلف تحصيل تلك المعرفة، بل يجب على الله تعالى - عقلاً على اصول أهل الاعتزال، أو عادة على ما يقتضيه اصول أهل السنّة القامعين للبدعة كثرهم الله تعالى - تعريف الناسخ للعباد، تفصّلاً منه تعالى على عباده، وإذا لم يجب على

المكلف فلا تكليف به.

أقول: يجب على المكلف اعتقاد أن الناسخ خطاب من الله تعالى، وإلا أي وإن لم يجب، فهو يعمل بالمنسوخ، ولو عمل به لأثم قطعاً، فإن العمل بالمنسوخ حرام، فهذا العقد مطلوب منه وهو تكليف، فتدبر.

واعترض عليه مطلع الأسرار الإلهية والدى قدس سره: أما أولاً: فلائنه لما فرض وجوب إعلام الله تعالى انتساخ الحكم فلا يقرب إلى العمل به فلا- يآثم، وإن عمل به مع هذا العلم فلا ينفج الوجوب عليه دفعا لهذا الإثم، وأما ثانياً: فلأن الغرض انتفاء التكليف رأساً، لا بالإيجاب ولا بالتحريم، فلو فرض انتفاء هذه المعرفة والعمل بالمنسوخ لا يلزم الإثم، كيف؟ وصار حال هذه الأحوال حال انتفاء البعثة، فالأفعال كلها على الإباحة، فالعمل بالمنسوخ والناسخ سيان فلا- إثم. نعم، لو لم يكن هذه المعرفة وقع في تعب العمل بالأحكام المنسوخة من غير فائدة، فيلزم العبث، لكن لا يلزم منه وجوب هذه

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٥٥

المعرفة، إذ لا استحالة عند الأشعرية في إيقاع الله تعالى عبده في العبث. فافهم» (١).

قال الرازي: يجوز إدخال الله العباد في النار والكفار في الجنة ... ص: ٣٥٥

هذا، وقد نصّ الفخر الرازي على جواز إدخال الله الزهاد والعباد في النار، وهذه عبارته بتفسير قوله تعالى: «إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم»:

«مذهبا أنه يجوز من الله تعالى أن يدخل الكفار في الجنة، وأن يدخل الزهاد والعباد في النار، لأن الملك ملكه، والملك يفعل في ملكه ما شاء، لا اعتراض لأحد عليه، فذكر عيسى هذا الكلام ومقصوده منه تفويض الامور كلها إلى الله وترك التعريض والاعتراض بالكيفية، ولذلك ختم الكلام بقوله: «فإنك أنت العزيز الحكيم» (٢)

يعنى أنت قادر على ما تريد، حكيم في كل ما تفعل، لا اعتراض لأحد عليك، فمن أنا والخوض في أحوال الربوبية» (٣).

هل يجوز التكليف بما لا يطاق ...؟ ص: ٣٥٥

وأما عبدالعزيز البخارى فقد قال في (كشف الأسرار):

«واعلم أن الأئمة قد اختلفوا في جواز التكليف بالمتنع، وهو المسمى بتكليف ما لا يطاق؛ فقال أصحابنا رحمهم الله: لا يجوز ذلك عقلاً، ولهذا لم يقع شرعاً. وقالت الأشعرية: إنه جائز عقلاً، واختلفوا في وقوعه. والأصح عدم الوقوع- إلى أن قال-

(١) فواتح الرحموت ٢: ٦٧-٦٨.

(٢) سورة المائدة ٥: ١١٨.

(٣) تفسير الرازي ١٢: ١٣٦.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٥٦

وتمسك أصحابنا بأن تكليف العاجز عن الفعل بالفعل يعدّ سفهاً في الشاهد، كتكليف الأعمى بالنظر، فلا يجوز نسبته إلى الحكيم جلّ جلاله.

تحقيقه أن حكمه التكليف هو الإبتلاء عندنا، وإنما يتحقق ذلك فيما يفعله العبد باختياره فيثاب عليه، أو يتركه باختياره فيعاقب عليه، فإذا كان بحال لا يمكن وجود الفعل منه، كان مجبوراً على ترك الفعل، فيكون معذوراً في الإمتناع، فلا يتحقق معنى الإبتلاء. ويعرف

باقي الكلام في علم الكلام» (١).

تصريح الرازي بعقيدة الجبر ... ص: ٣٥٦

ونصّ الفخر الرازي على عقيدة الجبر، قال بصحتها ودافع عنها، بتفسير قوله تعالى: «لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها» قال:

«احتج أصحابنا بهذه الآية على صحة قولهم في خلق الأعمال فقالوا: لا شك أن أولئك الكفار كانت لهم قلوب يفقهون بها ومصالحهم المتعلقة بالدنيا، ولا شك أنه كانت لهم أعين يبصرون بها المرئيات، وآذان يسمعون بها الكلمات، فوجب أن يكون المراد من هذه الآية تقييدها بما يرجع إلى الدين، وهو أنهم ما كانوا يفقهون بقلوبهم ما يرجع إلى مصالح الدين، وما كانوا يبصرون ويسمعون ما يرجع إلى مصالح الدين، وإذا ثبت هذا فنقول: ثبت أنه تعالى كلفهم بتحصيل الدين، مع أن قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم ما كانت صالحة لذلك، وهو يجرى مجرى المنع عن الشيء والصد عنه مع الأمر به، وذلك هو المطلوب.

قالت المعتزلة: لو كانوا كذلك لقبح من الله تكليفهم، لأن تكليف من لا

(١) كشف الأسرار ١: ١٩١-١٩٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٥٧

قدرة له على الفعل قبيح غير لائق بالحكيم، فوجب حمل الآية على أن المراد منه: أنهم- لكثرة الإعراض عن الدلائل وعدم الالتفات إليها- صاروا مشبهين بمن لا يكون له قلب فاهم ولا عين باصرة ولا اذن سامعة.

والجواب: إن الإنسان إذا تأكدت نفرتة عن شيء، صارت تلك النفرة المتأكدة الراسخة مانعة له عن فهم الكلام الدال على صحة الشيء، ومانعة عن إبطار محاسنه، ومانعة له عن سماع محاسنه وفضائله، وهذه حالة وجدانيته ضرورية يجدها كل عاقل من نفسه، ولهذا السبب قالوا في المثل المشهور:

حبك الشيء يعمي ويصم، وإذا ثبت هذا فنقول: إن أقواماً من الكفار بلغوا في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي بغضه وفي شدة النفرة عن قبول دينه والإعتراف برسالته، هذا المبلغ وأقوى منه، والعلم الضروري حاصل بأن حصول الحب والبغض في القلب ليس باختيار الإنسان، بل هو حالة حاصلة في القلب، شاء الإنسان أم كرهه.

إذا ثبت هذا فنقول: ظهر أن حصول هذه العداوة والنفرة في القلب ليس باختيار العبد، وثبت أنه متى حصلت هذه النفرة والعداوة في القلب، فإن الإنسان لا- يمكنه- مع تلك النفرة الراسخة الشديدة- تحصيل الفهم والعلم، وإذا ثبت هذا ثبت القول بالجبر لزوماً لا محيص عنه. ونقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطبة في تقرير هذا المعنى، وهو في غاية الحسن:

روى الشيخ أحمد البيهقي في كتاب مناقب الشافعي رحمه الله عليه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال: وأعجب ما في الإنسان قلبه، فيه مواد من الحكمة وأضدادها، فإن سرح له الرجاء أولهه

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٥٨

الطمع، وإن هاج له الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعد بالرضى نسي التحفظ، وإن ناله الخوف شغله الحزن، وإن أصابته المصيبة قتله الجزع، وإن وجد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضته فاقة شغله البلاء، وإن أجهده الجوع قعد به الضعف، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مهلك.

وأقول: هذا الفصل في غاية الجلالة والشرف، وهو كالمطلع على سر مسألة القضاء والقدر، لأن أعمال الجوارح مربوطة بأعمال القلوب، وكل حالة من أحوال القلب فإنها مستندة إلى حالة أخرى حصلت، وإذا وقف الإنسان على هذه الحالة علم أنه لا خلاص من

الإعتراف بالجبر.

وذكر الشيخ الغزالي رحمه الله في كتاب الإحياء فصلاً في تقرير مذهب الجبر «... ١».

قال ابن تيمية: الرازي من الجبرية ... ص: ٣٥٨

هذا، وقد جاء في كلام ابن تيمية التصريح بكون الرازي والآمدى من الجبرية، حيث قال:

«ثم المثبتون للصفات، منهم من يثبت الصفات المعلومة بالسمع، كما يثبت الصفات المعلومة بالعقل، وهذا قول أهل السنة الخاصة أهل الحديث ومن وافقهم، وهو قول أئمة الفقهاء وقول أئمة الكلام من أهل الإثبات، كأبي محمد بن كلاب، وأبي العباس القلانسي، وأبي الحسن الأشعري، وأبي عبد الله ابن مجاهد، وأبي الحسن الطبري، والقاضي أبي بكر ابن الباقلاني، ولم يختلف في ذلك قول الأشعري وقدماء أصحابه، لكن المتأخرين من أتباعه-

(١) تفسير الرازي ١٥: ٦٣-٦٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٥٩

كأبي المعالي وغيره- لا يثبتون إلا الصفات العقلية، وأما الجبرية، فمنهم من ينفىها ومنهم من يتوقف فيها كالرازي والآمدى وغيرهما...»

حديث الطينة ومعناه ... ص: ٣٥٩

ولا يتوهم دلالة حديث الطينة المروي في كتب أصحابنا على الجبر، فيكون منافياً لما ذهبوا إليه من قواعد العدل، لأن رواية الحديث الموهوم لما تقرّر في المذهب خلافه، لا تجوز نسبة مؤداها إلى الطائفة، وهذا القرآن الكريم، والآيات الموهومة للتجسيم والتشبيه وغير ذلك كثيرة فيه، فلو صحّ نسبة الإمامية إلى الجبر لمجرد خبر الطينة، صحّ نسبة التجسيم وغيره من المذاهب الفاسدة إلى أهل الإسلام. وعلى الجملة، فإنّ مجرد رواية مثل هذا الحديث لا يصحّ نسبة الجبر إلى الأصحاب، بخلاف الأشاعرة الذين هم أئمة أهل السنة ومشايخهم، القائلين بنفى اختيار العباد وقدرتهم بكلّ صراحة كالإمام الرازي وأمثاله.

وإنّ حديث الطينة المتضمن ردّ حسنات المخالفين إلى الشيعة، وردّ سيئات الشيعة إلى المخالفين فيه جهتان: أما عدم ترتب الأجر والثواب للمخالف على أعماله الصالحة، فلاّ قبول الأعمال منوط بالإيمان، ولما كان مخالفاً فاقداً للإيمان فلا أجر له. وأما ردّ الثواب والحسنة إلى أهل الحقّ فذاك بفضل الله سبحانه وإحسانه...

وأما ردّ معاصي الشيعة إلى المخالفين، فلعله لأنّ المخالفين - لمنعهم من ظهور بركات أهل البيت عليهم السلام في الناس، ومساعدتهم لأهل الظلم والجور والبغى، للإستيلاء والسلطة - كانوا هم السبب الحقيقي لصدور

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٦٠

المعاصي من الشيعة، فالله سبحانه يجعل في يوم القيامة السيئات الصادرة من الشيعة في صحائف المخالفين ويعذبهم عليها...

وليس في شيء من ذلك مخالفة لأيّ قاعدة من قواعد العدل:

قال مولانا المجلسي - بعد حديث أبي إسحاق الليثي عن الإمام الهمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام:-

«إعلم أنّ هذا الخبر وأمثاله ممّا يصعب على القلوب فهمه وعلى العقول إدراكه، ويمكن أن يكون كناية عمّا علم الله تعالى وقدره من اختلاط المؤمن والكافر في الدنيا، واستيلاء أئمة الجور وأتباعهم على أئمة الحقّ وأتباعهم، وعلم أنّ المؤمنين إنّما يرتكبون الآثام لاستيلاء أهل الباطل عليهم، وعدم تولّي أئمة الحقّ لسياستهم، فيعذرهم بذلك ويعفو عنهم، ويعذب أئمة الجور وأتباعهم، بتسيبهم

لجرائم من خالطهم، مع ما يستحقون من جرائم أنفسهم، والله يعلم وحججه صلوات الله عليهم» (١). وهذا وجه صحيح لحل هذه الرواية.

ولهذه الرواية في كتب القوم نظائر، فقد أخرج الحاكم في (المستدرک):

«حدّثني علي بن جمشاد العدل، ثنا محمّد بن بشر بن مطر، ثنا عبيدالله ابن عمر القواريري، ثنا حرمي بن عماره بن أبي حفصه، ثنا شداد بن سعيد أبو طلحة الراسبي، عن غيلان بن جرير، عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليجيئن أقوام من امتي بمثل الجبال ذنوباً فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١) بحار الأنوار ٥: ٢٣٤ / الباب ١٠، الطينة والميثاق.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٦١

وقد روى الحجاج بن نصير عن أبي طلحة بزيادات في متنه، حدّثني علي بن جمشاد، ثنا أبو مسلم ومحمّد بن غالب قالوا: ثنا حجاج بن نصير، ثنا شداد بن سعيد عن غيلان بن جرير، عن أبي بردة، عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تحشر هذه الامّة على ثلاثة أصناف:

صنف يدخلون الجنّة بغير حساب، وصنف يحاسبون حساباً يسيراً، وصنف يجزون على ظهورهم أمثال الجبال الراسيات، فيسأل الله عن ذنوبهم وهو أعلم بهم فيقول: ما هؤلاء؟ فيقولون: هؤلاء عبيد من عبادك. فيقول: حطّوها عنهم واجعلوها على اليهود والنصارى، وأدخلوهم برحمتي الجنّة» (١).

وفي (كنز العمال):

«امتّي ثلاثة أثلاث: فثلث يدخلون الجنّة بغير حساب ولا عقاب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنّة، وثلث يمحّصون ثم تأتي الملائكة فيقولون: وجدناهم يقولون لا- إله إلا الله وحده، ويقول الله: صدقوا لا إله إلا أنا، أدخلوهم الجنّة بقول لا إله إلا الله، واحملوا خطاياهم على أهل التكذيب، فهي التي قال الله: «وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم». ابن أبي حاتم، طب- عن عوف بن مالك.

تحشر هذه الامّة يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف يدخلون الجنّة بغير حساب، وصنف يحاسبون حساباً يسيراً ويدخلون الجنّة، وصنف يجيئون على حمائلهم بأمثال الجبال الراسيات ذنوباً، فيقول الله عزّ وجلّ لملائكته وهو أعلم بهم: من هؤلاء؟ فيقولون: ربّنا، عبيد من عبيدك، وكانوا يعبدونك ولا يشركون بك شيئاً. فيقول: حطّوها، وضعوها على اليهود

(١) المستدرک على الصحيحين ٥: ٣٥٩ / ٧٧١٩ - ٧٧٢٠ كتاب التوبة والإنابة.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٦٢

والنصارى، وأدخلوهم الجنّة برحمتي. طب، ك- عن أبي موسى» (١).

وفيه:

«ليجيئن أقوام من امتي بمثل الجبال ذنوباً، فيغفر الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى. ك عن أبي موسى» (٢).

وقد عقد السيوطي لهذه الأحاديث باباً في كتابه (البدور السافرة):

«باب: أخرج الطبراني والحاكم وصححه عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تحشر هذه الامّة يوم القيامة على ثلاثة أصناف: فصنف يدخلون الجنّة بغير حساب، وصنف يحاسبون حساباً يسيراً، وصنف يجيئون على حمائلهم كأمثال الجبال

الراسيات، فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة وهو أعلم بهم: من هؤلاء؟ فيقولون: ربنا، عبيد من عبيدك، كانوا يعبدونك ولا يشركون بك شيئاً وعلى ظهورهم الخطايا والذنوب.

فيقول: حطوا عنهم وضعوها على اليهود والنصارى، وأدخلوهم الجنة برحمتي.

وأخرج ابن ماجه والطبراني عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة، أذن لأمه محمد صلى الله عليه وسلم بالسجود، فيسجدون له طويلاً ثم يقال لهم: إرفعوا رؤوسكم، قد جعلنا عدتكم فداء لكم من النار.

وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذه أمه مرحومه، عذابها بأيديها، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل

(١) كنز العمال ١٢: ١٦٩ / ٣٤٥٢٢ الباب السابع - في فضائل هذه الأمة المحرومة.

(٢) كنز العمال ١٢: ١٧١ / ٣٤٥٢٩ الباب السابع - في فضائل هذه الأمة المحرومة.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٦٣

رجل من المسلمين رجل من المشركين فيقال: هذا فداؤك من النار.

وأخرج مسلم عن أبي موسى رفعه: يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى.

وأخرج أيضاً من وجه آخر بلفظ: إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول: هذا فداؤك من النار.

قال القرطبي: قال علماؤنا رحمهم الله: هذه الأحاديث ليست على عمومها، وإنما هي في اناس مذنبين، يتفضل الله تعالى عليهم برحمته، فأعطى كل واحد منهم فكاكاً من النار من الكفار» (١).

وربما حاول بعض علمائهم تأويل الحديث:

قال القرطبي بعد العبارة السابقة:

«وأما معنى قوله يضعها على اليهود والنصارى: أنه يضاعف عليهم عذاب كفرهم وذنوبهم، حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم مذنبى المسلمين لو اخذوا بذلك، لأنه تعالى لا يؤخذ أحداً بذنب أحد كما قال:

«ولا تزر وازرةٌ وزرٌ أخرى، وله أن يضاعف لمن يشاء العذاب ويخفف عمّن يشاء، بحكم إرادته ومشيئته.

قال: وقوله في الرواية الأخرى: لا يموت رجل منكم إلا أدخل الله مكانه يهودياً أو نصرانياً، معناه: أن المسلم المذنب لما كان يستحق مكاناً من النار بسبب ذنوبه وعفا الله عنه وبقي مكانه خالياً منه، أضاف الله تعالى ذلك المكان إلى يهودى أو نصرانى، ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذى يستحقه بحسب كفره، وقد جاءت أحاديث دالة على أن لكل مسلم مذنب كان

(١) البدور السافرة عن امور الآخرة: ٢١٢-٢١٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٦٤

أولاً منزلين: منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، وكذا الكافر، وذلك معنى قوله:

«أولئك هم الوارثون» أى يرث المؤمنون منازل الكفار من الجنة والكفار منازل المؤمنين فى النار، إلا أن هذه الوراثة تختلف: فمنهم من يرث بلا حساب، ومنهم من يرث بحساب ومناقشة وبعد الخروج من النار.

وقال البيهقي: يحتمل أن يكون الفداء فى قوم كانت ذنوبهم كفرت عنهم فى حياتهم، أو فى من اخرج من النار، يقال لهم ذلك بعد الخروج.

وقال غيره: يحتمل أن يكون الفداء مجازاً، من وراثته المنزل التي تقدّمت الإشارة إليها، هذا ما رجّحه النووي وغيره. وقيل: المراد بالذنوب التي توضع على الكفّار ذنوب كان الكفّار سبباً فيها بأن سنّوها، فلما غفرت سيئات المؤمنين، بقيت سيئات الذي سنّ تلك السنّة السيئة باقية على أربابها الكفرة؛ لأن الكفّار لا يغفر لهم، فيكون الوضع كناية عن إبقاء الذنب الذي لحق الكافر بما سنّه من عمله السييء الذي عمل به المؤمن. قال ابن حجر: وهذا أقوى» (١).

وقال النووي في (شرح صحيح مسلم):

«باب في سعة رحمة الله المؤمنين وفداء كل مسلم بكافر من النار: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا كان يوم القيامة دفع الله تعالى إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول: هذا فكاكك من النار. وفي رواية: لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانياً. وفي رواية: يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى.

(١) البدور السافرة عن امور الآخرة: ٢١٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٦٥

الفكاك - بفتح الفاء وكسرها، الفتح أفصح وأشهر - وهو الخلاص والفداء، ومعنى هذا الحديث ما جاء في حديث أبي هريرة: لكل أحد منزل في الجنة ومنزل في النار، والمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار، لاستحقاقه ذلك بكفره، ومعنى فكاكك من النار كنت تتعرض لدخول النار وهذا فكاكك، لأن الله قدر لها عدداً يملؤها، فإذا دخلها الكفّار بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين.

وأما رواية يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال: أن الله تعالى يغفر الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم، ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم، فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، ولا بد من هذا التأويل لقوله تعالى: «ولا تزر وازرة وزر أخرى».

وقوله: ويضعها مجاز، والمراد يضع عليهم مثلها بذنوبهم كما ذكرنا، لكن لما أسقط سبحانه وتعالى عن المسلمين سيئاتهم وأبقى على الكفّار سيئاتهم، صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين، لكونهم حملوا الإثم الباقي وهو إثمهم، ويحتمل أن يكون المراد آثاماً كان للكفّار سبب فيها بأن سنّوها، فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى ويوضع على الكفّار مثلها، لكونهم سنّوها، ومن سنّ سنّة سيئة كان عليه مثل وزر كل من عمل بها. والله أعلم» (١).

هذا، وقد انتقد القرطبي في كتاب (التذكرة) إنكار من أنكروا هذه الأحاديث فقال ما نصّه:

«أنكر بعض المتغفلة، الذين اتبعوا أهوائهم بغير هدى من الله، إعجاباً برأيهم وتحكماً على كتاب الله وسنّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعقول

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٧: ٨٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٦٦

ضعيفة وأفهام سخيفة فقالوا: لا يجوز في حكم الله وعدله أن يضع سيئات من اكتسبها على من لم يكتسبها، ويؤخذ حسنات من عملها وتؤتى من لم يعملها، وزعموا هذا جوراً...

والجواب: أن الله سبحانه لم يبين أمور الدنيا على عقول العباد، ولم يعد ولم يوعده على ما تحتمله عقولهم ويدركونها بأفهامهم، بل وعد وأوعده بمشيئته وإرادته، وأمر ونهى بحكمته، ولو كان كل ما لا تدركه العقول مردوداً، كان أكثر الشرائع مستحيلًا على موضوع عقول العباد، وذلك أن الله أوجب الغسل بخروج المنى الذي هو طاهر عند بعض الصحابة وكثير من الامّة، وأوجب غسل الأطراف

من الغائط الذي لا خلاف بين الائمة وسائر من يقول بالعقل وغيرهما في نجاسته وقذارته ونتاجته، وأوجب بريح يخرج من موضع الحدث ما أوجب بخروج الغائط الكثير المتفاحش، فبأي عقل يستقيم هذا؟ أو بأي رأى يجب مساواة ريح ليس لها عين قائمة بما يقوم عينه ويزيد على الريح تنناً وقذراً؟ وقد أوجب الله قطع يمين مؤمن لعشره دراهم وعند بعض الفقهاء بثلاثة دراهم ودون ذلك، ثم سوى بين هذا القدر من المال وبين مائة ألف دينار فيكون القطع فيها سواء، وأعطى الام من ولدها الثلث، ثم إن كان للمتوفى إخوة جعل لها السدس من غير أن يرث الإخوة من ذلك شيئاً؟ فبأي عقل يدرك هذا؟ إلتاسليماً وانقياداً من صاحب الشرع، إلى غير ذلك. وكذلك القصاص بالحسنات والسيئات» (١).

وأخرج مسلم:

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: ٣١٠-٣١١/ باب القصاص يوم القيامة ممن استطال في حقوق الناس.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٦٧

«حدّثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، ثنا أبو اسامة، عن طلحة بن يحيى، عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول: هذا فكاكك من النار. وحدّثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، ثنا عفان بن مسلم، ثنا همام، ثنا قتادة: أن عوناً وسعيد بن أبي بردة حدّثاه أنهما شهدا أبا بردة يحدث عمر بن عبدالعزيز، عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانياً. قال: فاستحلفه عمر بن عبدالعزيز بالله الذي لا إله إلا هو - ثلاث مرّات - أن أباه حدّثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فحلف له. قال: فلم يحدّثني سعيد أنه استحلفه، ولم ينكر على عون قوله.

حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن مثنى جميعاً، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، أخبرنا همام، ثنا قتادة بهذا الإسناد نحو حديث عفان وقال: عون ابن عتبة» (١).

وأخرج في (مسند أحمد):

«حدّثنا عبد الله، حدّثني أبي، ثنا أبو المغيرة - وهو النضر بن إسماعيل يعني القاضي -، ثنا يزيد، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة لم يبق مؤمن إلّا أتى بيهودياً أو نصرانياً، حتّى يدفع إليه فيقال له: هذا فداؤك من النار. قال أبو بردة:

فاستحلفني عمر بن عبدالعزيز بالله الذي لا إله إلا هو، أسمعتم أبا موسى يذكره

(١) صحيح مسلم ٤: ٢١١٩/٢٧٦٧ كتاب التوبة - باب (٨) قبول توبة القاتل وإن كثر قتله.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٦٨

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: قلت: نعم، فسُرّ بذلك» (١).

وأخرج:

«حدّثنا عبد الله، حدّثني أبي، ثنا عبد الصمد، ثنا همام، ثنا قتادة، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يموت مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانياً.

حدّثنا عبد الله، حدّثني أبي، ثنا عبد الصمد، ثنا همام، ثنا قتادة، عن سعيد بن أبي بردة وعون بن عتبة حدّثاه: أنهما شهدا أبا بردة يحدث عمر بن عبدالعزيز بهذا الحديث، فاستحلفه بالله الذي لا إله إلا هو، أن أباه حدّثه أنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم، فلم ينكر ذلك سعيد على عون أنه استحلفه» (٢).

وأخرج ابن ماجه:

«حدّثنا جبارة بن المغلس، حدّثنا عبدالأعلى بن أبي المساور، عن أبي بردة عن أبيه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أذن لأمّة محمّد في السجود، فيسجدون له طويلاً ثم يقول: إرفعوا رؤوسكم قد جعلنا عدّتكم فداءكم من النار. حدّثنا جبارة بن المغلس، حدّثنا كثير بن سليم، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنّ هذه الامّة مرحومة،

(١) مسند أحمد ٥: ٥٤٩ / ١٩١٠٣.

(٢) مسند أحمد ٥: ٥٣١ / ١٨٩٩١ - ١٨٩٩٢.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٣٦٩

عذابها بأيديها، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كلّ رجل من المسلمين رجلاً من المشركين فيقال: هذا فداؤك من النار» (١).
وفى (جامع الاصول):

«إنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لا يموت مسلم إلّا أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانياً. قال: فاستحلف عمر بن عبدالعزيز أبا بردة بالله الذي لا إله إلّا هو - ثلاث مرّات - أنّ أباه حدّثه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: فحلف له» (٢).

(١) سنن ابن ماجه ٢: ١٤٣٤ / ٤٢٩١ - ٤٢٩٢ كتاب الزهد - الباب (٣٤) باب صفة أمّة محمّد.

(٢) جامع الأصول ٩: ١٩٤ / ٦٧٥٨ الباب الخامس من كتاب الفضائل والمناقب فى فضل هذه الامّة الإسلاميه - النوع السادس.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٣٧١

هل يدخل ولد الزنا الجنّة...؟! ص: ٣٧١

إشارة

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٣٧٣

رأى الإمامية فى المسألة ... ص: ٣٧٣

ذهب بعض الإمامية إلى أنّ ولد الزنا لا يكون مؤمناً، بمعنى: أنّه يختار الكفر عن اختيار، وإنّ أظهر الإيمان فى الظاهر. ولا مخالفة لهذا القول لقواعد العدل. قال فى (الفصول المهمّة):

«والقول بأنّ ولد الزنا كافر وإنّ أظهر الإسلام، ليس له دليل يعتد به، وأكثر الإمامية على خلافه. ووجه ما مرّ ممّا يوهم ذلك: إنّ خبث أصله سبب لميله إلى أفعال المعاصي غالباً باختياره، ولا يخفى أنّ تلك الأسباب لا تنتهى إلى حدّ الجبر والإلجاء قطعاً، للأدلة العقلية والنقلية على امتناع الظلم على الله» (١).

فالأخبار الواردة فى هذا المعنى هى فى الحقيقة إخبار عن سوء حال ولد الزنا، بمعنى أنّ أكثر أولاد الزنا تصدر منهم الأفعال القبيحة والأعمال الشنيعة المانعة من الدخول فى الجنّة، وهذا لا ينافى فلاح بعضهم، وقد اشتهر أنّه «ما من عام إلّا قد حُصّ» ولا كلام فى جواز تخصيص العمومات وتقييد المطلقات، الواردة فى الكتاب والسنة...

فالأخبار المذكورة - بعد فهم معناها وحملها على الغالب -، سالمة من الإشكال.

والحمل على الغالب شائع وذائع في الأخبار، كحملهم عليه الحديث

(١) الفصول المهمة في أصول الأئمة ٣: ٢٦٨/ الباب الأول من أبواب نواذر الكليات.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٧٤

عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين»، إذ قال المناوي بشرحه:

«قال الطيبي: هذا محمول على الغالب، بدليل شهادة الحال، فإنّ منهم من لم يبلغ ستين» (١).

فما ذكره الشيخ الحرّ العاملي في تأويل أخبار ولد الزنا في (الفصول المهمة) من الحمل على الغالب صحيح.

وعليه الزمخشري والرازي ... ص: ٣٧٤

وهو موافق لما ذكره الزمخشري والرازي في تفسيريهما، بتفسير قوله تعالى: «لا تُطْعَمُ كُلُّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٌ»....

قال في (التفسير الكبير):

«هذا يدلّ على أنّ هذين الوصفين - وهو كونه عتلاً زنيماً - معائبه، لأنّه إذا كان جافياً غليظ الطبع قسا قلبه واجترأ على كلّ معصية، ولأنّ

الغالب أنّ النطفة إذا خبثت خبث الولد، ولهذا قال عليه السلام: لا يدخل الجنّة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده» (٢).

وفي (الكشاف):

«وكان الوليد دعياً في قريش، ليس من سنخهم، ادّعاه أبوه بعد ثمانى عشرة من مولده. وقيل: بغت أمه ولم يعرف حتّى نزلت هذه

الآية. جعل جفاه ودعوته أشدّ معائبه، لأنّه إذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كلّ معصية، ولأنّ الغالب أنّ النطفة إذا خبثت

خبث الناشئ منها، ومن ثمّ قال

(١) فيض القدير - شرح الجامع الصغير ٢: ١١.

(٢) تفسير الرازي ٣٠: ٨٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٧٥

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يدخل الجنّة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده» (١).

هذا، وللقوم في تأويل هذه الأحاديث أقوال أخرى:

الأقوال في تأويل خبر: ولد الزنا لا يدخل الجنّة ... ص: ٣٧٥

قال السيوطي في (اللاكي المصنوعة):

«قال الرافعي في تاريخ قزوين: رأيت بخط الإمام أبي الخير أحمد بن إسماعيل الطالقاني: سألتني بعض الفقهاء في المدرسة النظامية

بيغداد في جمادى الاولى سنة ٥٧٦ عمّا ورد في الخبر أنّ ولد الزنا لا يدخل الجنّة، وهناك جمع من الفقهاء، فقال بعضهم: هذا لا

يصحّ «ولا تزر وازرة وزر أخرى» وذكر أنّ بعضهم قال في معناه: إنّه إذا عمل عمل أصلية وارتكب الفاحشة لا يدخل الجنّة، وزُيِّف

ذلك بأنّ ذلك لا يختصّ بولد الزنا بل حال ولد الرشيدة مثله.

ثمّ فتح الله عليّ جواباً شافياً لا أدرى هل سبقت إليه، فقلت: معناه أنّه لا يدخل الجنّة بعمل أصلية، بخلاف ولد الرشيدة، فإنّه إذا مات

طفلاً وأبواه مؤمنان الحق بهما وبلغ درجتهم بصلاحيهما، على ما قال تعالى: «والذين آمنوا واتبعتهم ذريّاتهم بإيمان ألحقنا بهم

ذريّاتهم» وولد الزنا لا يدخل الجنّة بعمل أبويه. أمّا الزاني فنسبه منقطع، وأمّا الزانية فشؤم زناها - وإنّ صلحت - يمنع من وصول بركة

صلاحها إليه» (٢).

والآية الكريمة في نسخة اللآلي كما نقلت.

(١) الكشّاف ٦: ١٨٣.

(٢) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية ٢: ١٩٤.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٧٦

أقول:

لكنّ تأويل أبي الخير الطالقاني أيضاً لا يخلو من ضعف، لأنّ صريح تلك الأحاديث أنّ ولد الزنا لا يدخل الجنّة، وأنّه محروم منها، كما يدلّ عليه أيضاً تشريكه مع العصاة والمجرمين، وكما يدلّ على ذلك عدم دخول ولد الزنا الجنّة ولا ولده ولا ولد ولده إلى ثلاثة بل إلى خمسة بل إلى سبعة، فالقول بأنّه لا يدخل الجنّة بعمل أصليه، إنّ اريد منه أنّ عملهما هو السبب في عدم دخوله الجنّة فالإشكال باقٍ على حاله، وإنّ اريد منه أنّه غير محروم من الجنّة، بل يدخلها لكنّ لا بعمل أبويه، فهو مخالفٌ لصريح الأحاديث.

ثمّ إنّ هذا التأويل لا يفيد في حديث أبي هريرة: إنّ ولد الزنا شرّ الثلاثة.

وكذا بالنظر إلى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص وكلام سعيد بن جبير من أنّه مخلوق للنار، بل يرده حديث ميمونة، العام الصريح في سلب الخير من ولد الزنا ... وكذا فتوى أبي حنيفة بأنّ خبث الولادة عيب في المبيع.

ومنهم من تأوّل هذه الأحاديث: بأنّ المراد من ولد الزنا فيها، هو من واطب على الزنا والتزم به، كما يقال للشجعان: بنو الحرب، ولأولاد المسلمين: بنو الإسلام...

ذكره عبدالحق الدهلوي في (شرح سفر السعادة) عن بعض العلماء.

وهو ضعيف لوجوه، منها: أنه لا يمكن أن يحمل عليه ما ورد من تلك الأحاديث بلفظ: لا يدخل الجنّة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده، وفي بعضها:

ولا شيء من نسله إلى سبعة آباء...

ومنهم من تأوّل حديث: ولد الزنا شرّ الثلاثة بقوله: «لأنّ الحدّ قد يقام

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٧٧

عليها فتكون العقوبة لهما، وهذا في علم الله لا يدرى ما يصنع به وما يفعل في ذنوبه».

أورده السيوطي في (مرقاة الصعود - حاشية سنن أبي داود) عن بعضهم.

وفيه ضعف من وجوه كثيرة:

منها: احتمال أن يتوب ولد الزنا ولا يتوب والداه، فيكون خيراً منهما.

ومنها: أنّ مجرد عدم العلم بما يفعله الله فيه لا يقتضى كونه شرّاً منهما.

ومنها: إنّ لا يجري في سائر الأحاديث الواردة في عدم دخول ولد الزنا الجنّة.

ولمّا اشكل الأمر على بعضهم، ولم يتمكّن من فهم هذه الأحاديث، عمد إلى تكذيبها، كما في كلام القارى حيث قال: «حديث: ولد الزنا لا يدخل الجنّة، لا أصل له» (١).

لكن القول بأنّه «لا أصل له» لا يستلزم عدم تخريج أحد من المحدّثين للحديث، ولو تمّ الاستلزام المذكور لزم تكذيب جميع العلماء الذين صرّحوا بوقوع الاختلاف في الأحاديث، والحال أنّ وقوع الاختلاف في الأحاديث أمر واضح كالشمس في رابعة النهار، كما لا يخفى على من راجع كتب الحديث، لاسيّما شروح الصحاح وأمثالها من الأسفار ... وما أكثر الأحاديث التي قيل بأنّ لا أصل لها، مع

وجود روايات القوم لها بأسانيدهم ... كما لا يخفى على من راجع (اللاكي المصنوعة) وأمثاله، بل قلما تجد حديثاً مما أدرجه ابن الجوزي في (الموضوعات) لم يروه إمام كبير من أئمة الحديث عندهم. إن الإختلاف بينهم في الأحاديث التي يروونها مما يعلمه أقل الطلبة...

(١) الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعية: ٣٦٢ / ٥٧٥.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٧٨

حتى أنه يعلم وقوع الإختلاف في أحاديث كتابي البخاري ومسلم المعروفين بالصححين أيضاً... فإن ذلك مذكور في سائر الكتب، وحتى في الكتب الدرسيّة مثل (فواتح الرحموت في شرح مسلم الثبوت) فإنه قال:

«فرع- ابن الصلاح وطائفة من الملقين بأهل الحديث زعموا أنّ رواية الشيخين محمّد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج صاحبي الصححين يفيد العلم النظري، للإجماع على أنّ للصححين مزيّة على غيرهما، وتلقّت الأئمة بقبولهما، والإجماع قطعي. وهذا بهت، فإن من راجع إلى وجدانه يعلم بالضرورة أنّ مجرد روايتهما لا يوجب اليقين ألبتة، وقد روى فيهما أخبار متناقضة، فلو أفاد روايتهما علماً لزم تحقق النقيضين في الواقع.

وهذا- أي ما ذهب إليه ابن الصلاح وأتباعه- بخلاف ما قاله الجمهور من الفقهاء والمحدثين، لأن انعقاد الإجماع على المزيّة على غيرهما من مرويات ثقات آخرين ممنوع، والإجماع على مزيتهما في أنفسهما لا يفيد، ولأن جلاله شأنهما وتلقّى الأئمة بكتائيهما- لو سلم- لا يستلزم ذلك القطع والعلم، فإن القدر المسلم المتلقّى بين الأئمة ليس إلّا أنّ رجال مروياتهما جامعة للشروط التي اشترطها الجمهور لقبول روايتهم، وهذا لا يفيد إلّا الظن، وأمّا أن مروياتهما ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا إجماع عليه أصلاً، كيف؟ ولا إجماع على صحّة جميع ما في كتائيهما، لأن روايتهما فهم قدريون وغيرهم من أهل البدع، وقبول رواية أهل البدع مختلف فيه، فأين الإجماع على صحّة مرويات القدريّة، غاية ما يلزم أنّ أحاديثهما أصحّ الصحيح، يعني إنّها مشتملة على الشروط المعتمدة عند الجمهور على الكمال، وهذا لا يفيد إلّا

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٧٩

الظن القوي. هذا هو الحق المتبع» (١).

أسماء الأئمة الرواة للخبر المذكور ... ص: ٣٧٩

ونحن نذكر أسماء الأئمة الأعلام من أهل السنّة الرواة لأحاديث عدم دخول ولد الزنا الجنّة... ليكون دليلاً على ما ذكرنا، وليتضح أنّ لهذه الأحاديث أصلاً في كتب القوم، فلا يغترّ بكلام القاري أحد، وهؤلاء هم:

١- أحمد بن حنبل.

٢- ابن أبي شيبة.

٣- عبد بن حميد الكشي.

٤- سفيان بن سعيد الثوري.

٥- عبدالرزاق بن همام.

٦- أبو عيسى الترمذي.

٧- أبو عبدالرحمن النسائي.

٨- أبو داود السجستاني.

- ٩- ابن ماجه القزويني.
 ١٠- أبو عبدالله الحاكم النيسابوري.
 ١١- أبو حاتم ابن حبان.
 ١٢- أبو الحسن الدارقطني.
 ١٣- أبو بكر البيهقي.
 ١٤- أبو نعيم الإصبهاني.

- (١) فواتح الرحموت- شرح مسلم الثبوت ٢: ١٢٣.
 استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٨٠
 ١٥- أبو الطاهر الحسن بن أحمد بن فيل «١».
 ١٦- أبو العباس أحمد بن جعفر الخرائطي «٢».
 ١٧- عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي.
 ١٨- أبو الشيخ الإصبهاني.
 ١٩- أبو سليمان الخطابي.
 ٢٠- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.
 ٢١- أبو القاسم الطبراني.
 ٢٢- أبو يعلى الموصلي.
 ٢٣- أبو بكر الخطيب البغدادي.
 ٢٤- أبو بكر ابن مردويه.
 ٢٥- محب الدين ابن النجار البغدادي.
 ٢٦- أبو الخير الطالقاني.
 ٢٧- أبو القاسم الرافعي.
 ٢٨- زكي الدين عبدالعظيم المنذري.
 ٢٩- أبو إسحاق الثعلبي.
 ٣٠- جار الله الزمخشري.
 ٣١- أبو السعادات ابن الأثير صاحب جامع الاصول.
 ٣٢- أبو الحسن ابن الأثير صاحب اسد الغابة.
 ٣٣- محمد بن إسحاق بن منده.

- (١) توجد ترجمته في الأنساب «البالسي».
 (٢) توجد ترجمته في الأنساب «الخرائطي» وفي مرآة الجنان. حوادث ٣٢٧.
 استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٨١
 ٣٤- أبو علي ابن السكن.

- ٣٥- أبو العباس نجم الدين القمولى.
 ٣٦- عبدالعزيز البخارى صاحب (كشف الأسرار- شرح اصول البزدوى)
 ٣٧- مسعود بن عمر التفتازانى.
 ٣٨- شمس الدين ابن خلكان.
 ٣٩- ابن حجر العسقلانى.
 ٤٠- جلال الدين السيوطى.
 ٤١- الملاً على المتقى.
 ٤٢- أبو الخير السخاوى.
 ٤٣- شمس الدين العلقمى.
 ٤٤- عبدالرؤوف المناوى.
 ٤٥- ابن العزّاق.
 ٤٦- الشيخ رحمه الله السندى.
 ٤٧- ابن روزبهان الخنجى.
 ٤٨- ابن الجزرى الدمشقى.
 ٤٩- شهاب الدين الخفاجى.
 ٥٠- الشيخ عبدالحق الدهلوى.

تنبیه

ذكر السيوطى فى (اللاكى المصنوعة) تكلم ابن الجوزى فى بعض طرق الحديث، كقوله فى أحدها: «عبدالكریم متروك». استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٨٢ أقول:

إن كان المراد «عبدالكریم بن مالك الجزرى» فهو ثقة من رجال الكتب الستة كما فى (تقريب التهذيب) «١». وإن كان المراد «عبدالكریم بن أبى المخارق» فهو من أعيان التابعين، ومن رجال الترمذى والنسائى وابن ماجه والبخارى ومسلم فى التعاليق، كما فى (الكاشف) «٢».

وتكلم ابن الجوزى فى رواية الدارقطنى بأن «أبو إسرائيل الملائى» ضعيف.

وفيه: إنه من رجال الترمذى وابن ماجه كما فى (الكاشف) «٣» و (التقريب) وقال ابن حجر: «صدوق» «٤» وقد كان أبو إسرائيل مؤكداً على ثبوت الحديث، كما فى (اللاكى المصنوعة).

وتكلم فى رواية عبد بن حميد بسبب «إبراهيم بن مهاجر».

وفيه: إنه من رجال الترمذى وابن ماجه وأبى داود والنسائى، بل ومسلم ... كما فى (الكاشف) و (التقريب) بل نصّ ابن حجر على أنه «صدوق» «٥».

وتكلم فى رواية عبدالرزاق لكون «جابان» فى طريقه.

وفيه: إنه قد وثقه ابن حبان، وقال ابن حجر: «مقبول» «٦».

(٢) الكاشف للذهبي ٢: ٢٠٠.

(٣) الكاشف ١: ٧٦.

(٤) تقريب التهذيب ١: ٦٩.

(٥) الكاشف ١: ٥٠، تقريب التهذيب ١: ٤٤.

(٦) تقريب التهذيب ١: ١٢٢.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٨٣

حول كتاب سليم بن قيس الهلالي ... ص: ٣٨٣

إشارة

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٨٥

قال الفيض آبادي ... ص: ٣٨٥

مامحصّله معرّباً:

كنا نعتقد منذ القديم، وعلى أثر التبع والنظر في اصول وقواعد مذهب الشيعة، أنّ أصحّ الكتب عندهم قبل القرآن هو: كتاب الكافي لأبي جعفر الكليني، وقد أرسل إلّي في هذه الأيام بعض الأصدقاء كتاب التفسير لأهل البيت الطاهرين، لجامعه شيخ مشايخ الإمامية على بن إبراهيم القمي استاذ الكليني، ومجلّد كتاب الفتن من بحار الأنوار للشيخ محمّد باقر مع ترجمته لمجتهد العصر وعلّامة الدهر، فوجدت الشيخ المذكور- أعني أفضل متكلمي الشيعة المتأخرين الشيخ المجلسي- ينصّ على أنّ كتاب سليم بن قيس هو الأقدم والأفضل.

ولديّ من كتاب سليم نسخة أولها:

قال: حدّثني أبو طالب محمّد بن صبيح بن رجاء بدمشق سنة ٣٣٤ قال:

أخبرني أبو عمر عصمة بن أبي عصمة البخاري قال: حدّثنا أبو بكر أحمد بن المنذر بن أحمد الصنعاني بصنعاء- شيخ صالح مأمون، جار إسحاق بن إبراهيم الدميري- قال: حدّثنا أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن النافع الصنعاني الحميري قال: حدّثنا أبو عروة معمر بن راشد البصري قال: دعاني أبان بن أبي عياش، قبل موته بنحو شهر...

ونقل المجلسي عن النعماني أنّه وصف الكتاب المذكور بأنّه أصل من الاصول التي رواها أهل العلم وحمله حديث أهل البيت عليهم السلام، وهو

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٨٦

أقدمها، لأنّ جميع ما اشتمل عليه هذا الكتاب هو عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والمقداد وسلمان الفارسي وأبي ذر، ومن جرى مجراهم ممّن شهد رسول الله وأمير المؤمنين وسمع منهما، وهو من الاصول التي ترجع الشيعة إليها وتعول عليها.

وجلالة قدر هذا الكتاب ظاهرة أيضاً من كتب الشيخين عند تلك الطائفة.

وقد وصف البرقي مؤلفه بأنّه من الأولياء الكاملين من أصحاب أمير المؤمنين.

وجعله الميرزا محمّد الإسترابادي في منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال- تبعاً لأسلافه- من المعدّلين والمعتمدين.

وكيف لا يكون كذلك؟ وقد عدّه الإمام الأعظم الحلّي في خلاصه الأقوال والشيخ محمّد تقى والد الفاضل المجلسي في رجال

روضة المتقين، من خلص أصحاب المرتضى.

بل إنه - كما قال بعض الأجلة - إنما صنف الكتاب المذكور بأمر من أمير المؤمنين.

وفى البحار من طريق عمر بن اذينة عن أبان: أن سليماً قد احتاط فى هذا الكتاب إلى حدّ - والعياذ بالله - لم يثق بما رواه عن أمير المؤمنين وحده، وكذا كلُّ من أصحابه الثلاثة، يعنى سلمان وأبازر والمقداد، حتّى يسمع الخبر من البقية، فإذا اجتمعوا على شيء كتبه، وهذا هو صريح كلامه حيث قال:

«أخذتها من أهل الحق والفقهاء والصدق والبرّ، عن عليّ بن أبي طالب وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود، ليس منها حديث أسمع من

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٨٧

أحدهم إلّاسألته عنه الآخر، حتّى اجتمعوا عليه جميعاً».

وقد جاء فى آخر النسخة: أنّه قد عرض الكتاب كلّ على سيّد الساجدين وكان فى مجلسه أبو الطفيل صحابى رسول الله، وعمر بن أبى سلمة ابن ام المؤمنين ام سلمة رضى الله عنها، فأقرّوه كلّهم.

وفى البحار: «قال أبان: فحججت من عامى ذلك، فدخلت على عليّ ابن الحسين وعنده أبو الطفيل عامر بن وائله صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان من خيار أصحاب عليّ عليه السلام، ولقيت عنده عمر بن أبى سلمة ابن ام سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعرضته عليه وعرضت على علي بن الحسين ذلك أجمع ثلاثة أيام، كلّ يوم إلى الليل، ويغدو عليه عمر وعامر، فقرأته عليه ثلاثة أيام. فقال لى: صدق سليم رحمه الله، هذا حديثنا كلّ نعرفه، وقال أبو الطفيل وعمر بن أبى سلمة: ما فيه حديث إلّا وقد سمعته من على ومن سلمان وأبى ذر ومن المقداد».

والإمام محمّد الباقر عليه السلام، بعد أن استمع إلى قصّة الكتاب ومؤلفه، جعل يمدحه بالصدق والسداد والرشد والرشاد.

ولا يخفى على أحد: أنّ يعقوباً الكليني الذى استفاد كثيراً من سليم وأمثاله، لم يصل إلى هذه المراتب العالية، وكتابه الذى شحنه بروايات الملحددين فى الآفاق، من أمثال زرارة وشيطان الطاق، لا يصل إلى هذه المراتب القصوى.

ورواة كتاب سليم من أجلاء أصحاب سيّد الأنبياء صلى الله عليه وسلم وأمثالهم، الذين هم - كما وصفهم الإمام الرضا - كالنجوم فى السماء، وهو كتاب مقبول عند أئمة الهدى من أوله إلى آخره، ويعدّ جامعه فيمن لازم

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٨٨

أمير المؤمنين وكان من كمل أصحابه الأطياب، بالإضافة إلى الوقائع الكثيرة التى شاهدها سليم منذ زمن إمامته إلى زمان إمامة الإمام الباقر.

أمّا الكليني فقد سمع ذلك عن لسان الآخرين.

ولمزيد الإعتقاد ودفع الإشتباه وتحقيق الامور، رجع سليم إلى الحسنين عليهما السلام أيضاً، كما فى اعتقادات صدوق المتشيعين وصحيفة المتقين.

وليس الخبر كالمعائنه.

وبالنظر إلى هذه الوجوه اليقينية، فلو حلف أحد على صحّة كتاب سليم ما كان حائثاً.

نقد الكلام المذكور ... ص: ٣٨٨

أقول:

وفى هذا الكلام افتراءات وخرافات وأغلاط، نتعرض فيما يلي لبعضها:

أولاً: ما ذكره من أننا نقول بأن الكافي أصح من القرآن الكريم، من أقبح الإفتراءات وأشنع الأكاذيب وأفجع التهم ... حاشا أهل الحق من ترجيح كلام أو كتاب على كتاب الله العظيم ...

وثانياً: نسبة ترجمه كتاب بحار الأنوار إلى سلطان العلماء قدس سره، لا أساس لها من الصحة.

وثالثاً: ما عزاها إلى صاحب البحار من القول بتفضيل كتاب سليم على كتاب الكافي، باطل كذلك، إذ لا دلالة لكلامه على هذا بوجه من الوجوه، بل المستفاد من كلامه ترجيحه سائر الاصول المعتمدة على كتاب سليم حيث قال:

«والحق أن يمثل هذا- أى اشماله على قصه محمد بن أبي بكر الآتى تفصيلها

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٨٩

- لا- يمكن القدح في كتاب معروف بين المحدّثين، إعتمد عليه الكليني والصدوق وغيرهما من القدماء، وأكثر أخباره مطابقة لما روى بالأسانيد الصحيحة في الاصول المعتمدة «... ١»، إذ تراه يستدل لاعتبار كتاب سليم باعتماد الكليني وغيره من المحدّثين عليه، وبمطابقة أخباره لما في الاصول المعتمدة، فكان مطابقة أخباره لذلك دليلاً على اعتباره...

وبالجملة، فإن دعوى أفضليته كتاب سليم من كتاب الكليني ممنوعة جداً، ولا دليل عليها في كلام الشيخ المجلسي أصلاً.

وما حكاها عن النعماني فظاهره أن كتاب سليم أصل من أفضل الاصول ومن أقدمها، فلا دلالة فيه على كونه أفضل الاصول كلها...

ورابعاً: إن كنية «عصمه بن أبي عصمه» هي «أبو عمرو» لا «أبو عمر» فما ذكره خطأ.

وخامساً: إن نسبة إسحاق بن إبراهيم إلى «الدير» فهو «الديري» وقوله «الدميري» خطأ ... وترجمته مذكورة في الكتب الرجالية، وليته رجع إليها، وقد وثقه غير واحد من الأعلام.

تنبيه على خطأ لصاحب التحفة ... ص: ٣٨٩

هذا، وقد توهم الدهلوي صاحب (التحفة) أن لسليم بن قيس كتابين لا كتاب واحد، وقد نشأ هذا التوهم لديه عندما أراد ترجمة عبارة كتاب (الصواعق)- لكون (التحفة) منحوّلة منه- التي هذا نصّها:
«الرواية السادسة: إنه روى سليم بن قيس الهلالي في كتابه، من

(١) بحار الأنوار ٣٠: ١٣٤، الباب ١٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٩٠

احتجاجات الأشعث بن قيس، في خبر طويل، أن أمير المؤمنين قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومال الناس إلى أبي بكر فبايعوه، حملت فاطمة وأخذت بيد الحسن والحسين، ولم أَدع أحداً من أهل بدر وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار، إلّا ناشدتهم الله حقى ودعوتهم إلى نصرتي، فلم يستجب لي من جميع الناس إلّا أربع رهط: الزبير وسلمان وأبوذر ومقداد.

وهو دال على أنه لم يجب عليه التقيّة، لأنه لو وجبت لم يظهر أمره لمن بايع أبابكر، فإن التقيّة تنافى الإظهار.

الرواية السابعة: روى سليم بن قيس في كتابه الآخر المشهور لدى الشيعة بكتاب أبان بن أبي عياش الذي يرويه عن سليم: أن أبابكر بعث قنفاً إلى علي حين بايعه الناس ولم يبايعه علي وقال له: إنطلق إلى علي وقل له:

أجب خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانطلق فبلغه «...»

فقال في الوجه السادس: «ذكر سليم بن قيس الهلالي في كتابه» ثم قال في السابع: «ذكر سليم بن قيس في كتابه الذي رواه عنه أبان»، فتوهم الدهلوي من اختلاف التعبير تعدد الكتاب، كما لا يخفى على من راجع (التحفة) «١» وما هو إلّا تنقن في العبارة، لأن كتاب سليم ليس إلّا ما رواه أبان ... لكن الدهلوي غفل عن ذلك.

وسادساً: إنَّ الذي يجده الناظر في رجال البرقي هو كون سليم بن قيس من أولياء أمير المؤمنين. وأمَّا كلمة «الكاملين» فإضافة من الفيض آبادي.
وسابعاً: وما حكاها عن العلامة الحلبي أيضاً غير خالٍ من التحريف والتصحيف، لأنَّ المذكور في (خلاصة الأقوال) بالنص هو: «وقال السيّد علي

(١) التحفة الاثني عشرية: ٣٦٥-٣٦٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٩١
بن أحمد العقيقي: كان سليم بن قيس من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، طلبه الحجاج «... ١» وليس فيه «من خلّص أصحاب»، فكانت كلمة «خلّص» إضافة من الفيض آبادي.
وثامناً: وأمّا أن «سليماً» صنّف هذا الكتاب بأمر من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام... فلا ندري من أين جاء به؟ وممن سمعه؟ ولماذا لم يذكر اسم بعض الأجلّة الذي عزا إليه هذه الدعوى؟
وتاسعاً: وكبرت كلمة تخرج من فمّ هذا الرجل، إذ نسب إلى سليم أنّه كان إذا سمع شيئاً من أمير المؤمنين عليه السلام وحده لم يكتبه حتّى يسمعه من سلمان أيضاً مثلاً... وكيف يمكنه إرجاع الضمير في «أحدهم» إلى كلّ من ذكر ليشمل الإمام عليه السلام أيضاً... بل ظاهر كلام سليم أنّه متى ما سمع شيئاً من أحد الثلاثة منفرداً لم يكتبه «حتّى اجتمعوا عليه جميعاً»، فلا يعمّ الكلام الإمام عليه السلام...
لا يقال: إنَّ هذا أيضاً غير جائز، لأنّه طعن في الثلاثة.

لأننا نقول: ليس الأمر كذلك، وإنّما كان ذلك احتياطاً من سليم، كما صرّح هو في حديث سمعه من أبي ذر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قال: «يا أبا الحسن، وأنت يا سلمان، وأنت يا مقداد، تقولون كما قال أبو ذر؟ قالوا: نعم، صدق. قلت: أربعة عدول، ولو لم يخبرني منكم غير واحدٍ ما شككت في صدقه، ولكنّ أربعتكم أشدّ لنفسى وبصيرتى» (٢).
هذا، ولا مانع من عود الضمير في «أحدهم» إلى جميع الأربعة، لجواز

(١) خلاصة الأقوال/ رجال العلامة الحلبي: ٨٣ ترجمه سليم بن قيس الهلالي.

(٢) كتاب سليم بن قيس ٢: ٧٢٦/ الحديث ١٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٩٢
أن يكون مقصد سليم هو الإحتجاج بالخبر على المخالفين لأمر المؤمنين عليه السلام، فكان يأخذ الخبر من غيره من الصحابة أيضاً ليتمّ الإحتجاج به عليهم، كما هو دأب المصنّفين من أهل الحق، إذ لا يكتفون بما يروونه عن الأئمة الأطهار في مقام إلزام الخصوم... وحتّى الإمام نفسه عليه السلام قد اضطرّ إلى مناشدة الأصحاب غير مرّة، كما هو معلوم...
وعاشراً: لقد نقل عن الإمام السجّاد عليه السلام تصديقه كتاب سليم، لكنّ السند ضعيف، ففي (منتهى المقال): «وفى كش - بسند ضعيف - في جملة حديث: وزعم أبان أنّه قرأه عليّ بن الحسين عليه السلام قال:
صدق سليم رحمه الله عليه، هذا حديث نعرفه» (١).

وقد كان عليّ الفيض آبادي التنبيه عليّ هذا!

والحادى عشر: إنّه ليس فى شىء من الكتب الرجالية ما يدلّ على تصديق الإمام عليه السلام وتأييده لكتاب سليم... ومن ادّعى فعليه البيان.

نعم هناك رواية فيها تصديق الإمام عليه السلام لخبر رواه سليم بن قيس في سبب اختلاف الناس في الحديث، رواها الكشي في كتابه، وهذا نصها:

«محمد بن الحسن قال: حدثنا الحسن بن علي بن كيسان، عن إسحاق ابن إبراهيم، عن ابن اذينة، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي، قال:

قلت لأمر المؤمنين عليه السلام: إني سمعت من سلمان ومقداد ومن أبي ذر أشياء في تفسير القرآن ومن الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله

(١) منتهى المقال في الرجال ٣: ٣٧٦ / ١٣٥٦ ترجمة سليم بن قيس.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٩٣

وسلم، وسمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله عليه السلام أنتم تخالفونه - وذكر الحديث بطوله.

قال أبان: فقد رلى بعد موت علي بن الحسين أني حججت، فلقيت أبا جعفر محمد بن علي، فحدثته بهذا الحديث كله لم أخط منه حرفاً، فاغروقت عيناه ثم قال:

صدق سليم، قد أتى أبي بعد قتل جدّي الحسين وأنا قاعد عنده، فحدثته بهذا الحديث بعينه، فقال له أبي: صدقت، قد حدثني أبي وعمي الحسن - عليهما السلام - بهذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام.

الحديث «١».

وبهذا ظهر تدليس الفيض آبادي.

والثاني عشر: قد طعن في الكافي، وشتم زواره ومؤمن الطاق، ولقّب ب «شيطان الطاق»، وقد نقل بعض أهل السنّة أنّ أول من لقّب به بذلك هو إمامهم الأعظم «أبو حنيفة»، لكثرة إلزامات مؤمن الطاق وإفحاماته للخصوم في مختلف المسائل والمناظرات، فلا عجب من أنّ يتبعه على ذلك المقلدون له، عناداً للحقّ وعداوةً لأهل البيت عليهم السلام، لاسيّما وأنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يقدّمه ويشنّى عليه ... وقد صرح بكلّ هذا الحافظ ابن حجر، حيث ترجم لمؤمن الطاق قائلاً:

«محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفه البجلي الكوفي، أبو جعفر الملقّب بشيطان الطاق، نسب إلى سوق في طاق المحامل بالكوفة كان يجلس

(١) رجال الكشي: ١٠٤ - ١٠٥ / ١٦٧ بترجمة سليم بن قيس الهلالي.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٩٤

للصرف بها، فيقال: إنّه اختصم مع صيرفي آخر في درهم زائف فغلب، فقال: أنت شيطان الطاق.

وقيل: إنّ هشام بن الحكم شيخ الرافضة لما بلغه أنّهم لقّبوه بشيطان الطاق سمّاه هو: مؤمن الطاق.

ويقال: إنّ أول من لقّب به بشيطان الطاق أبو حنيفة، في مناظرة جرت بحضورته بينه وبين بعض الحرورية.

ويقال: إنّ جعفر الصادق كان يقدّمه ويشنّى عليه «...».

والثالث عشر: إنّ زعم اعتراف الإمام الرضا عليه السلام بكون أصحاب النبي كالنجوم، مشيراً إلى حديث: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ...

لكن المراد من «الأصحاب» في «حديث النجوم» عند أهل الحق هم «أهل البيت» خاصيةً، وهم يروون ذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالأسانيد، ومن ذلك: ما رواه الشيخ الصدوق في (معاني الأخبار) قال:

«حدَّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال: حدَّثنا محمد بن الحسن الصفَّار، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن غياث بن كلوب، عن إسحاق بن عمَّار، عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ما وجدتم في كتاب الله عزَّ وجلَّ، فالعمل لكم به لا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب الله عزَّ وجلَّ وكانت فيه السنَّة مني، فلا عذر لكم في ترك سنَّتي، وما لم يكن فيه سنَّة مني، فما قال أصحابي فقولوا به، إنَّما مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم، بأيها اخذ اهتدي، بأي أقاويل أصحابي أخذتم

(١) لسان الميزان ٦: ٣٧٨ / ٧٨٧٢.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٩٥

اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة.

ف قيل: يا رسول الله، من أصحابك؟ قال: أهل بيتي.

قال محمد بن علي مؤلف هذا الكتاب: إنَّ أهل البيت عليهم السلام لا يختلفون، ولكن يفتون للشيعة بمزَّ الحق، وربما أفتوهم بالتقية، فما يختلف من قولهم فهو للتقية، والتقية رحمة للشيعة» (١).

وأما الخبر في (عيون الأخبار) الذي توهم حمل حديث النجوم فيه على الصحابة، فهو ما رواه الصدوق بقوله:

«حدَّثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي قال: حدَّثنا محمد بن يحيى الصَّولي قال: حدَّثنا محمد بن موسى بن نصر الرازي قال: حدَّثني أبي قال: سئل الرضا عليه السلام عن قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، وعن قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: دعوا لي أصحابي.

فقال: هذا صحيح، يريد من لم يغيّر بعده ولم يبدل.

قيل: وكيف نعلم أنّهم قد غيروا وبدلوا؟

قال: ما يروونه من أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: ليزادّ رجال من أصحابي يوم القيامة عن حوضي، كما تزداد غرائب الإبل عن الماء، فأقول: يا ربَّ أصحابي أصحابي. فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: بُعداً لهم وسحقاً. أفترى هذا لمن لم يغيّر ولم يبدل؟!» (٢).

(١) معاني الأخبار: ١٥٦-١٥٧.

(٢) عيون الأخبار ٢: ٨٧ / ٣٣ الباب ٣٢.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٣٩٦

لكنَّ جواب الإمام عليه السلام: «هذا صحيح» ... متوجّه إلى الحديث الثاني وهو قوله: «دعوا لي أصحابي» وأما الحديث الأول - وهو حديث النجوم - فقد فسره حديث (معاني الأخبار) وبذاك المعنى يكون صحيحاً أيضاً... ولا بدّ من أن يكون المراد ذلك، لأنّه يدلّ على العصمة، ولا أحد يقول بعصمة الصحابة...

إلماً أنّ حديث أصحابي كالنجوم ساقط عند أئمة القوم: كأحمد، واليزار، وابن حزم، والبيهقي، وابن حجر، وغيرهم، من السابقين واللاحقين، فمنهم من نصّ على ضعفه، ومنهم من رماه بالكذب ... فراجع: (البحر المحيط في تفسير القرآن) لأبي حيان

الأندلسي، و (المرقاة في شرح المشكاة) للقاري، و (العلل المتناهية في الأحاديث الواهية) لابن الجوزي، و (فيض القدير- شرح الجامع الصغير) للمناوي، و (فواتح الرحموت- شرح مسلم الثبوت) لعبدالعلى الأنصاري ... وغيرها من كتب القوم في العلوم المختلفة... وإن شئت التفصيل فارجع إلى الرسالة المصنفة في خصوص حديث النجوم «١».

والرابع عشر: ما ذكره من أن سليماً قد حضر الوقائع في زمن إمامه الإمام الباقر عليه السلام، غلط فضيح، لما سيأتي من أن سليماً قد توفي في أيام الإمام السجاد عليه السلام.

والخامس عشر: ما ذكره لترجيح كتاب سليم على الكافي، من أن الكليني قد روى الوقائع والأخبار بالواسطة، أما سليم، فقد كان معاصراً لها

(١) رسالته في حديث أصحابي كالنجوم إحدى، (الرسائل العشر) المطبوعة، للسيد علي الحسيني الميلاني، وقد استفيد فيها من بحوث السيد مير حامد حسين كثيراً.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٣٩٧

ومشاهداً لها. فيه: إن الكليني وإن لم يشهد الوقائع والقضايا، لكنه رواها عن شهدائها أو سمعها من المعصوم. هذا، مع قطع النظر عن الإسناد إلى سليم، ومن روى عنهم ثقة الإسلام الكليني.

وأما بالنظر إليه، فالحال مختلف كما لا يخفى على أولى الأفهام، فإن أسناد بعض أحاديث الكافي فاضل على أسناد كتاب سليم، وأسناد بعضها مفضول، فالحكم بترجيح أحد الجانبين على الإطلاق لا يصلح للقبول.

والسادس عشر: ما ذكره من رجوع سليم إلى الحسينين عليهما السلام لمزيد التحقيق، نقلًا عن اعتقادات الصدوق وصحيفة المتقين، إن أراد رجوعه إليهما في جميع ما في كتابه، فهو ممنوع، لأن القدر الثابت أنه رجع إليهما وذكر لهما خصوص ما سمعه من أمير المؤمنين عليه السلام من الخبر الطويل في سبب اختلاف الناس في الحديث، فهذا هو الذي عرضه عليهما، وقد صدقاه فيه، وأما سائر أخبار كتابه، فلا دليل عليه أصلاً...

لقد جاء في كتاب سليم بعد أخذه الجواب من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «قال سليم بن قيس: ثم أتيت الحسن والحسين عليهما السلام بالمدينة فحدثتهما بهذا الحديث عن أبيهما. قالوا: صدقت، قد حدثك أمير المؤمنين بهذا الحديث ونحن جلوس عنده، وقد حفظنا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما حدثك، فلم تزد فيه حرفاً ولم تنقص منه حرفاً» (١).

فلا دلالة له على عرض سائر أخباره عليهما، كما لا يتوهم منه عدم

(١) كتاب سليم بن قيس ٢: ٦٢٨/ الحديث العاشر.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٣٩٨

الإعتماد على نقل الإمام عليه السلام، والعياذ بالله، وإنما أراد أن يعلم أن ما حفظه عنه مطابق للواقع بلا زيادةٍ ونقصان أو لا... أقول:

هذا تمام الكلام على ما ذكره الفيض آبادي في هذا الفصل من كلامه، الذي يحاول فيه إثبات أفضليته كتاب سليم بن قيس عند أهل الحق من سائر كتبهم، ثم يبدأ بفصل آخر، فيذكر المطاعن والإشكالات على الكتاب، فيستنتج من الفصلين: أن الكتاب الذي ألفه بأمر أمير المؤمنين، وعرض على الأئمة الطاهرين، وكان أفضل الكتب عند الطائفة، يشتمل على أباطيل وأكاذيب... وبذلك يريد القدح والظعن على المذهب وأئمة وأتباعه...

هذا كل ما يريده هذا الرجل...

وقد عرفت ما في كلماته في الفصل السابق.

وقد افتتح الفصل الثاني من كلامه بأن نسب إلى الشيخ المجلسي في (بحار الأنوار) القول بأن بعض الأعظم من الإمامية يقدحون في الكتاب ويطعنون على مؤلفه، وذكر أن الحسن بن علي بن داود - وهو الإمام في نقد الرجال وشيخ الطائفة في معرفة أحاديث الأئمة كما قال - نقل عن رجال الشيخ أنه قال: «ينسب إليه الكتاب المشهور، وهو موضوع».

قال: والسبب في ذمّ وجرح هؤلاء الأكابر لكتاب سليم، وكما يظهر من كلام الإمام الأعظم الحلّي وأساتذته في (خلاصة الأقوال) وغيره هو: إشمال الكتاب على الإفتراءات العظيمة والأكاذيب الكبيرة.

أقول:

هذا كلامه قبل الورود فيما زعمه من موارد النقد والإيراد في كتاب سليم.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٣٩٩

ولكنّ ما نقله عن المجلسي في (البحار) من طعن بعض أعظم الإمامية في الكتاب ومؤلفه، كذب واضح، فإنّ الشيخ المذكور لم يذكر في كتابه طعناً من أحدٍ لا تلويحاً ولا تصريحاً... لا في كتاب سليم ولا في مؤلفه...

قضية محمد بن أبي بكر مع أبيه ... ص: ٣٩٩

وإنّ أول ما تعرّض له هذا الرجل واهتمّ به في مقام الطعن في كتاب سليم هو: قضية أنّ محمد بن أبي بكر قد حضر أباه عند احتضاره وكلمه ووعظه... قال: وهذا من الإفتراءات العظيمة، لأنّ محمّداً ولد في حجة الوداع، وكان في وقت موت أبيه ابن ثلاث سنين، فكيف يمكنه أن يعظ أباه؟

إلّا أنّ الرجل قد أضاف - من عنده - إلى القضية أشياء، لا عين لها في كتاب سليم ولا أثر، ونحن ننبه على إضافاته المكذوبة، ثمّ نتكلّم على أصل القضية:

١- لقد زعم أنّ في كتاب سليم: أنّ محمّداً ذكر أباه الإعتقاد بالتوحيد والنبوة وحقوق أهل البيت النبوي...

والحال أنّ الذي في كتاب سليم إنّما هو إلقاء كلمة التوحيد فقط، وهذه عبارته:

«فقلت له لما خلوت به: يا أبت قل لا إله إلّا الله. قال: لا أقولها أبداً، ولا أقدر عليها حتّى أدخل التابوت» (١).

٢- لقد ذكر أنّ محمّداً تكلم عن إمامة أمير المؤمنين وخصائصه، من العلم بما كان وما يكون، وتحدّثه مع الملائكة... وظاهر كلامه وجود هذا في

(١) كتاب سليم بن قيس ٢: ٨٢٢/ الحديث السابع والثلاثون.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٠٠

كتاب سليم في خبر قضية محمّد مع أبيه، والحال أنّه لا عين لذلك فيه ولا أثر، كما لا يخفى على من أجال فيه النظر.

فإنّ أراد الاعتذار عن ذلك بأنّه قد نقله عن غير كتاب سليم، فلا يصغى إليه، لأنّ الكلام في كتاب سليم...

٣- لقد ذكر أنّ محمّداً قد استدللّ ببعض الآيات القرآنية، رفقاً لاستبعاد الناس أنّ الملائكة كانت تحدّث أمير المؤمنين عليه السلام.

فإنّ كان غرضه وجود هذا في كتاب سليم، توجه إليه السؤال: هل إنّ استدلاله كان في حال صغر سنّه وحين احتضار أبيه، أو في الأزمنة المتأخّرة؟

فإنّ أراد وقوع ذلك منه في الأزمنة المتأخّرة، فأى ربط لذلك يبحثه عن حال كتاب سليم واشتماله على الإفتراءات؟ وإنّ أراد وقوع ذلك منه في حال صغره ووقت احتضار أبيه، فهذا كذب على سليم وكتابه.

يقول سليم في كتابه ما نصّه: «قلت: وهل تحدّث الملائكة إلا الأنبياء صلوات الله عليهم؟ قال- أي محمّد بن أبي بكر- أما تقرأ القرآن: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدّث» قلت: أمير المؤمنين محدّث؟ قال: نعم، وكانت فاطمة محدّثة ولم تكن نبيّة، ومريم محدّثة ولم تكن نبيّة، وأمّ موسى محدّثة ولم تكن نبيّة، وسارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة فبشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، ولم تكن نبيّة» (١). هذا، ومن قرأ كتاب سليم علم أنّ لقائه مع محمّد بن أبي بكر إنّما كان بعد موت أبيه بزمنٍ طويل، لأنّ لقائه كان بعد موت أبي عبيدة الجراح،

(١) كتاب سليم بن قيس ٢: ٨٢٣-٨٢٤/ الحديث السابع والثلاثون.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٠١

المتوفى في السنة الثامنة عشرة كما في (الاستيعاب) (١)، بل كان بعد موت معاذ، وموته متأخر عن موت أبي عبيدة... فمحمّد عند هذه المكالمة- في أقلّ تقدير- ابن ثمان أو عشر سنين... وأيّ مانع من أن تصدر منه تلك الاستدلالات حينئذ؟ ٤- لقد ادّعى الإجماع على ولادة محمّد بن أبي بكر في حجة الوداع، وهذا منه جهل أو تجاهل... قال الشيخ عبدالحق الدهلوي في كتاب (تحصيل الكمال في أسماء الرجال): «محمّد بن أبي بكر الصديق، هو أبو القاسم محمّد ابن أبي بكر، ولد عام حجة الوداع بذي الحليفة أو بالشجرة، سنة ثمان» (٢).

وذكر ابن الأثير في (جامع الاصول) بترجمته أنّه ولد بالشجرة، أي عام ثمان (٣).

وقال تقي الدين المكي بترجمته من (العقد الثمين في تاريخ بلد الله الأمين): «محمّد بن أبي بكر الصديق، واسمه عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشي التيمي أبو القاسم، ولد عام حجة الوداع أو بالشجرة» (٤).

وكذا في (تهذيب الكمال) و (الاستيعاب) وغيرهما، حيث ذكر القول بولادته في الشجرة، أي في السنة الثامنة من الهجرة.

٥- ومن العجب دعواه رواية الكليني في الكافي ولادته في حجة

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢: ٧٩٤/١٣٣٢ بترجمه أبي عبيدة.

(٢) تحصيل الكمال في أسماء الرجال/ رجال المشكاة. ترجمه محمّد بن أبي بكر.

(٣) جامع الاصول ٣: ٧١/١٣٤٩. كتاب الحج، الباب الثاني، الفصل الأوّل.

(٤) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٢: ٢١٤/٢٢٠.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٠٢

الوداع.

إنّ للشيخ الكليني في الكافي روايتين في الباب، وهذه ألفاظهما:

أمّا الاولى فهي: «على بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد، عن حريز، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ أسماء بنت عميس نفست بمحمّد بن أبي بكر، فأمرها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حين أرادت الإحرام من ذي الحليفة أن تحتشى بالكرسف والخرق وتهلّي بالحج، فلما قدموا مكة وقد نسكوا المناسك، وقد أتى لها ثمانية عشر يوماً، فأمرها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن تطوف بالبيت وتصلّي، ولم ينقطع عنها الدم. ففعلت ذلك» (١).

وأما الثانية فهكذا: «عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن عمر بن أبان الكلبى قال: ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام المستحاضة، فذكر أسماء بنت عميس فقال: إنّ أسماء ولدت محمّد بن أبي بكر بالبيداء، وكان

ولادتها البركة للنساء لمن ولدت منهنّ أو طمّثت، فأمرها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فاستثفرت وتنطقت بمنطقة وأحرمت» (٢).

فهل تجد في هذين الخبرين ذكراً لحجّة الوداع؟

٦- ولم يكتف بالإسناد إلى الكافي، بل أسند ذلك إلى الكشي أيضاً، والحال أنّه لا أثر من ذلك في رجال الكشي، بل ليس بكلامه بترجمه محمّد ذكر من ولادته أصلاً، فضلاً عن كونها في حجّة الوداع... وهذه ألفاظها في الكتاب المذكور: «محمّد بن أبي بكر: حدّثني محمّد بن قولويه والحسين بن الحسن بن

(١) الكافي ٤: ٤٤٩/١، كتاب الحج.

(٢) الكافي ٤: ٤٤٤/٢، كتاب الحج.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٠٣

بندار القميّان قالوا: حدّثنا سعد بن عبدالله بن أبي خلف القمي قال: حدّثني الحسن بن موسى الخشاب ومحمّد بن عيسى بن عبيد، عن علي بن أسباط، عن عبدالله بن سنان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

كان مع أمير المؤمنين عليه السلام خمسة نفر من قریش، وكانت ثلاثة عشر قبيلة مع معاوية؛ فأما الخمسة: محمّد بن أبي بكر رحمه الله، أخته النجابه من قبل امه أسماء بنت عميس، وكان معه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال، وكان معه جعدة بن هبيرة المخزومي، وكان أمير المؤمنين عليه السلام خاله، وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنّما لك هذه الشدة في الحرب من قبل خالك، فقال له جعدة: لو كان خالك مثل خالي لنسيت أباك، ومحمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، والخامس سلف أمير المؤمنين ابن أبي العاص بن ربيعة، وهو صهر النبي عليه السلام أبو الربيع.

حمدويه وإبراهيم ابنا نصير قالوا: حدّثنا أيوب، عن صفوان، عن معاوية ابن عمّار وغير واحد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر لا يرضيان أن يعصى الله عزّ وجلّ.

محمّد بن مسعود قال: حدّثني علي بن محمّد القمي قال: حدّثني أحمد ابن محمّد بن عيسى، عن رجل، عن عمر بن عبدالعزيز، عن جميل بن دراج، عن حمزة بن محمّد الطيار قال: ذكرنا محمّد بن أبي بكر عند أبي عبدالله عليه السلام فقال أبو عبدالله عليه السلام: رحمه الله وصلى عليه، قال لأمر المؤمنين عليه السلام يوماً من الأيام:

ابسط يدك أبايعك. فقال: أو ما فعلت؟ قال: بلى. فبسط يده، فقال: أشهد أنّك إمام مفترض الطاعة وأنّ أبي في النار. فقال أبو عبدالله عليه السلام: كان

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٠٤

النجابه من قبل امه أسماء بنت عميس رحمه الله عليها، لا من قبل أبيه.

حمدويه بن نصير، عن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن أبي عمير، عن عمر بن اذينة، عن زرارة بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ محمّد بن أبي بكر بايع عليّاً عليه السلام على البراءة من أبيه.

حمدويه وإبراهيم قالوا: حدّثنا محمّد بن عبد الحميد قال: حدّثني أبو جميلة عن ميسر بن عبدالعزيز، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بايع محمّد ابن أبي بكر على البراءة من الثاني.

حمدويه، حدّثني عن محمّد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن موسى بن مصعب، عن شعيب عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: ما من أهل بيت إلّا ومنهم نجيب من أنفسهم، وأنجب النجباء من أهل بيت سوء منهم محمّد بن أبي بكر» (١).

٧- وأسنده إلى النجاشي أيضاً، والحال أنّ لا ذكر لمحمّد بن أبي بكر في كتابه أصلاً، فلا ذكره في أوائل الكتاب حيث عدّ جمعاً من

أصحاب أمير المؤمنين، ولا ذكره في باب المحمدين ... فكيف بولادته في حجة الوداع؟
 ٨- وكذا إسناد المطلب إلى رجال الغضائري، فأما أصل كتابه، فليس موجوداً، وأما الرجاليون كالعلامة الحلّي وابن داود والشيخ بهاء الدين اللاهيجي والسيد مصطفى التفرشي والميرزا الأسترابادي وأبي علي الحائري ...
 الذين ينقلون كلماته في تراجم الرجال ... فلم ينقلوا في كتبهم عنه في محمّد شيئاً، فضلاً عن ذلك النقل الخاص المتعلّق بتولده ...
 فمن أين هذا الإسناد؟

٩- والعلامة الحلّي لم يقل في محمّد رضى الله عنه في (خلاصة

(١) رجال الكشي: ٦٣-٦٤/١١١-١١٦. ترجمة محمّد بن أبي بكر.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٠٥

الأقوال) إلّا: «محمّد بن أبي بكر، جليل القدر، عظيم المنزلة، من خواصّ عليّ عليه السلام» (١).

فبأى دليلٍ نسب إليه القول بولادة محمّد في حجة الوداع؟

حلّ الإشكال بذكر النظائر ... ص: ٤٠٥

وأما حلّ الإشكال، فنقول: إنّ منشأ هذا الإشكال ليس إلّا الاستبعاد، ومجرّد الاستبعاد لا يكون دليلاً، بل يرتفع إذا حصل له نظير أو نظائر في التاريخ، ولا شك أنّ الله تعالى قادر على خلق أفرادٍ متميزين في الفهم والذكاء ... ونحن نذكر هنا بعضهم:

استقلّ بالكتابة وعمره أربع سنين ... ص: ٤٠٥

قال في (منهج المقال) بترجمة المولى السيّد عبدالكريم بن طاووس العلوي الحسيني: «استقلّ بالكتابة واستغنى عن المعلم في أربعين يوماً، وعمره إذ ذاك أربع سنين» (٢).

وإذا كان كذلك، فأى استبعاد في أن يأمر الابن البالغ ثلاث سنين أو أكثر أباه بقول كلمة لا إله إلّا الله، وهي من أولى الكلمات التي ينطق بها أطفال المسلمين؟

(١) خلاصة الأقوال/ رجال العلامة الحلّي: ٣/١٣٨ باب محمّد.

(٢) منهج المقال في علم الرجال: ١٩٦.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٠٦

حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين ... ص: ٤٠٦

وقال الشعرائي في (لوائح الأنوار): «ومنهم: أبو محمّد سفيان بن عيينة - رضى الله عنه - حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين، وكتب الحديث وهو ابن سبع سنين» (١).

وفي (الكواكب الدراري): «وأما سفيان، فهو بضمّ السين على المشهور وحكى كسرهما وفتحها أيضاً، وهو أبو محمّد ابن عيينة بن أبي عمران الهلالي الكوفي، سكن مكّة ومات بها. قال: قرأت القرآن وأنا ابن أربع سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن سبع سنين» (٢).

وإذا أمكن قراءة القرآن لمن هو في سنّ أربع سنين - والحال أنّ عمر بن الخطّاب تعلّم سورة البقرة فقط في إثنتى عشرة سنة كما في (الدر المنثور) «٣» - كان من السهل قبول تلقين كلمة لا إله إلّا الله فقط، ممّن هو في سنّ ثلاث سنين أو أكثر.

سمع الحديث وهو ابن أربع سنين ... ص: ٢٠٦

وأخرج مسلم بإسناده عن عبدالله بن الزبير قال: «كنت أنا وعمر بن سلمة يوم الخندق مع النسوة في أطم حسان، فكان يطأطىء لى مرة فأنظر وأطأطىء له مرة فينظر، فكنت أعرف أبى إذا مرّ على فرسه فى السلاح إلى بنى

(١) لواقع الأنوار فى طبقات الأخيار- ترجمة سفيان بن عيينة.

(٢) الكواكب الدرارى فى شرح البخارى ١: ١٦.

(٣) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ١: ٥٤.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٠٧

قريظة. قال: وأخبرنى عبدالله بن عروة عن عبدالله بن الزبير قال: فذكرت ذلك لأبى فقال: ورأيتنى يا بنى؟ قلت: نعم.

فقال النووى بشرحه: «وفى هذا الحديث دليل لجواز ضبط الصبى وتمييزه وهو ابن أربع سنين. فإن ابن الزبير ولد عام الهجرة فى المدينة، وكان الخندق سنة أربع من الهجرة على الصحيح، فيكون فى وقت ضبطه لهذه القصة دون أربع سنين. وفى هذا رد على ما قاله جمهور المحدثين أنه لا- يصح سماع الصبى حتى يبلغ خمس سنين، والصواب صحته متى حصل التمييز وإن كان ابن أربع أو دونها. وفيه منقبة لابن الزبير لجودة ضبطه لهذه القصة مفصلة فى هذا السن» (١).

* والألطف من ذلك ما جاء عن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الإصبهاني فى غير واحد من الكتب، مثل: (الكفاية) للخطيب، و (علوم الحديث) لابن الصلاح، و (تدريب الراوى) للسيوطى، و (عمدة القارى) للعيني ... وغيرها ...

قال الخطيب: «سمعت القاضى أبا محمد عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الإصبهاني يقول: حفظت القرآن ولى خمس سنين، وحملت إلى أبى بكر ابن المقرئ لأسمع منه ولى أربع سنين.

فقال بعض الحاضرين: لا تسمعوا له فيما قرأ فإنه صغير.

فقال لى ابن المقرئ: إقرأ سورة الكافرون، فقرأتها ولم أغلط فيها.

فقال: إقرأ سورة التكوير، فقرأتها.

فقال لى غيره: إقرأ سورة والمرسلات، فقرأتها ولم أغلط فيها.

(١) شرح صحيح مسلم للنووى ١٥: ١٨٩-١٩٠ كتاب الفضائل، فضائل طلحة والزبير.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٢٠٨

فقال ابن المقرئ: إسمعوا له والعهد على.

سمعت أباصالح صاحب أبى مسعود أحمد بن الفرات يقول: العجب من إنسان يقرأ والمرسلات عن ظهر قلبه ولا يغلط فيها.

وحكى أن أبا مسعود ورد إصبهان ولم تكن كتبه معه، فأملى كذا وكذا ألف حديث عن ظهر قلبه، فلما وصلت الكتب إليه قوبلت بما أملى فلم تختلف إلأى مواضع يسيرة» (١).

وقال العيني: «حفظ القرآن أبو محمد عبدالله بن محمد الإصبهاني وله خمس سنين، فامتحنه فيه أبو بكر ابن المقرئ، وكتب له بالسماع وهو ابن أربع سنين» (٢).

فأى عجب من محمد بن أبى بكر إذا أمر أباه بأن يقول: لا إله إلأ الله؟

* وماذا يقول القائل إذا سمع ما جاء فى (علوم الحديث) لابن الصلاح وغيره من الكتب من أنه «قد بلغنا عن إبراهيم بن سعيد

الجوهري قال: رأيت صبيّاً ابن أربع سنين وقد حمل إلى المأمون، وقد قرأ القرآن ونظر في الرأى، غير أنه إذا جاع بكى «٣»؟ وعلى هذا الأساس، ذهب العلماء من الفريقين إلى أنه يعتبر كل صغير بحاله، فمتى فهم الخطاب وميّز ما يسمعه، صحّ سماعه وإن كان دون خمس سنين، كما جاء في كتاب (شرح البداية) للشهيد الثاني من أصحابنا، وفي (عمدة القارى) و (المنهل الروى) و (علوم الحديث) وغيرها من كتب القوم.

(١) الكفاية في علم الرواية: ٦٤-٦٥/ باب ما جاء في سماع الصغير.

(٢) عمدة القارى في شرح البخارى ٢: ٦٨، كتاب العلم، باب قول النبى: اللهم علمه الكتاب.

(٣) علوم الحديث: ٧٥/ النوع الرابع والعشرون، معرفة كيفية سماع الحديث ...

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٠٩

كان يقوم الليل وهو ابن ثلاث سنين ... ص: ٤٠٩

فإن بقى شىء من الشك والاستبعاد بعد ما تقدّم، أوردنا ما ذكره أعلام القوم بترجمة سهل التستري، من أنه كان يقوم الليل وهو ابن ثلاث سنين ...

قال الياقعى: «وكان سبب سلوكه للطريق خاله محمّد بن سوار، فإنه قال: كنت ابن ثلاث سنين، وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالى محمّد بن سوار، وكان يقوم بالليل، وكان يقول: يا سهل، اذهب ونم فقد شغلت قلبى.

وقال لى يوماً خالى: ألا تذكر الله الذى خلقك؟

فقلت: كيف أذكره؟

فقال: قل بقلبك فى الليل فى فراشك ثلاث مرّات من غير أن تحرّك به لسانك: الله معى، الله ناظرى، الله شاهدى.

فقلت «... ١».

وكذا فى (أحكام الدلالة على تحرير الرسالة) للشيخ زكريا الأنصارى وغيره.

وإذا كان هذا ممكناً ممّن هو ابن ثلاث سنين، فقول محمّد لأبيه: قل لا إله إلا الله أمكن ...

سمع الحديث وعمره أقل من ثلاث سنين ... ص: ٤٠٩

وإذا كان ذلك أيضاً لا يكفى لرفع الاستبعاد عن قضية محمّد، فقد ذكر القوم سماع الصبى الذى سنّه أقل من ثلاث سنين للحديث من بعض الأئمة وقبول ما حدّث به، وقد جاء ذلك فى (فتح الباقي - شرح ألفية العراقي)

(١) مرآة الجنان ٢: ١٤٩.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤١٠

للشيخ أبى يحيى زكريا الأنصارى حيث قال:

«وكذا يقبل عندهم صبى حمل الحديث، ثم روى بعد البلوغ ما تحمّل فى حال صباه.

ومنع قوم القبول هنا، أى مسألة الصبى، لأن الصبى مظنة عدم الضبط.

وردّ عليهم بإجماع الأئمة على قبول حديث جماعة من صغار الصحابة، تحمّلوه فى حال صغرهم، كالسبطين الحسن والحسين ابنى بنته

صلّى الله عليه وسلّم فاطمة، وكعب الله بن الزبير والنعمان بن بشير وعبدالله بن عباس.

مع إحصار أهل العلم من المحدثين وغيرهم للصبيان مجالس التحديث، ثم قبولهم منهم ما حدثوا به من ذلك بعد الحلم أى البلوغ، كما وقع للقاضي أبى عمرو الهاشمي، فإنه سمع سنن أبى داود من اللؤلؤى وله خمس سنين، واعتد الناس بسماعه وحملوه عنه، وقال يعقوب الدورقي: حدثنا أبو عاصم قال: أتيت بابنى إلى ابن جريج وسنه أقل من ثلاث سنين، فحدثته «١».

توكل في عقد الزواج وله ثلاث سنين ... ص: ٢١٠

بل لقد تحمّل الطفل الذى له ثلاث سنين الوكالة في عقد الزواج! وذلك ما أخرجه أحمد في (المسند) في تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأم سلمة ام المؤمنين، ورواه عنه ابن القيم في (زاد المعاد) قال: «قال الإمام أحمد في المسند: حدثنا عفان بن حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت قال: حدثني ابن عمر بن أبى سلمة، عن أبيه، عن أم سلمة: أنها لما انقضت عدتها من أبى سلمة، بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: مرحباً برسول الله صلى الله عليه وسلم، إننى امرأة مصيبة، وليس أحد

(١) فتح الباقي - شرح ألفية العراقي ٢: ١٥-١٨ / متى يصحّ تحمّل الحديث ...

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢١١

من أوليائي حاضراً. الحديث، وفيه:

فقلت لابنها عمر: قم، فزوج رسول الله، فزوجه «١».

وأخرجه سائر المحدثين بطرقٍ أخرى.

وروى ابن الأثير في (اسد الغابة) قال:

«أخبرنا يعيش بن صدقة بإسناده عن أحمد بن شعيب: أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، نا يزيد، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، حدثني ابن عمر بن أبى سلمة، عن أبيه عن أم سلمة قال: لما انقضت عدتها من أبى سلمة، بعث إليها أبو بكر يخطبها عليه، فلم تزوجه، فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب يخطبها عليه فقالت: أخبر رسول الله إننى امرأة غيرى وإننى امرأة مصيبة، وليس أحد من أوليائي شاهداً. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فقال: إرجع إليها فقل لها:

أما قولك: إننى امرأة غيرى فأدعو الله فيذهب غيرتك.

وأما قولك: إنك امرأة مصيبة، فستكفين صبيانك.

وأما قولك: ليس أحد من أوليائي شاهداً، فليس أحد من أوليائك - شاهد ولا غائب - يكره ذلك.

فقال لابنها عمر: قم فزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم. فزوجه «٢».

هذا، وقد كان لعمر بن أبى سلمة في ذلك الوقت ثلاث سنين أو سنتان، إذ كان له يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسع سنين بالإتفاق، فإن كان قد وقع الزواج المذكور في شهر شوال من السنة الرابعة من الهجرة

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد ١: ٢٦ / فصل في أزواجه.

(٢) اسد الغابة في معرفة الصحابة ٦: ٣٤٢. ترجمه أم سلمة رضى الله عنها.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٢١٢

فهو ابن ثلاث، وإن كان قد وقع في السنة الثالثة فعمره أقل من سنتين.

وقد التفت ابن القيم إلى هذه الامور عندما قال بعد رواية الحديث:

«وفي هذا نظر، فإنَّ عمر هذا كان سنّه لما توفّي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسع سنين، ذكره ابن سعد، وتزوجها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شوال سنة أربع، فيكون له من العمر حينئذٍ ثلاث سنين، ومثل هذا لا يزوج. قال ذلك ابن سعد وغيره».

وكأنه لذلك اضطرَّ أحمد بن حنبل لأن ينكر صغر سنِّ عمر بن أبي سلمة، قال ابن القيم: «ولما قيل ذلك للإمام أحمد قال: من يقول إنَّ عمر كان صغيراً؟ قال أبو الفرج ابن الجوزي: ولعلَّ أحمد قال هذا قبل أن يقف على مقدار سنّه، فقد ذكر مقدار سنّه جماعة من المؤرخين، ابن سعد وغيره». ومن العلماء من اضطرَّ لأن يحزف الحديث، فيجعل الذي زوج أم سلمة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ابنها عمر، لكنَّ هذا أيضاً غير مفيد، فقد روى ابن القيم عن الواقدي: «إنَّ رسول الله خطب أم سلمة إلى ابنها عمر بن أبي سلمة، فزوجها من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يومئذٍ غلام صغير» (١).

أجابت ابنة ابن عربي في مسألة فقهية وهي في سن الرضاعة ... ص: ٤١٢

وإنَّ تعجب، فعجبٌ قصيَّة ابنة ابن عربي الأندلسي صاحب (الفتوحات)، إذ أجابت عن مسألة فقهية جهلها عمر بن الخطاب وكبار الأصحاب، وهي في

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد ١: ٢٦-٢٧.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤١٣

سن الرضاعة، نحو سنة أو قريب منها!!!

ذكر ذلك ابن عربي في كتابه المذكور، والشعراني في مختصره المسمى (لواقح الأنوار القدسيَّة) وأورده الحلبي في (سيرته) حيث قال بعد ذكر المتكلمين في المهد:

«ويضم لهؤلاء ما ذكر الشيخ محي الدين ابن عربي رحمه الله سبحانه:

قلت لابنتي زينب مرّة- وهي في سن الرضاعة، قريباً عمرها من سنّه- ما تقولين في الرجل يجامع حليلته ولم ينزل؟ فقالت: يجب عليه الغسل.

فتعجب الحاضرون من ذلك.

ثمَّ إنني فارقت تلك البنت وغبت عنها سنّه في مكه، وكنت أذنت لوالدها في الحج، فجاءت مع الحج الشامي، فلما خرجت لملاقاتها رأيتني من فوق الجمل وهي ترضع، فقالت بصوت فصيح قبل أن تراني أمها: هذا أبي، وضحكت، ورمت بنفسها إليّ.

قال: وقد رأيت- أي علمت- من أجاب أمه بالتسميت وهو في بطنها حين عطست، وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها. شهد عندي الثقات بذلك» (١).

تكلّم محمّد مع أبيه عند موته في المصادر السنية ... ص: ٤١٣

وبعد، فلا يتوهم أحد بانحصار خبر تكلّم محمّد بن أبي بكر مع أبيه عند موته، بكتاب سليم بن قيس، فقد وجدنا في (سرّ العالمين) وهو من

(١) السيرة الحلبية ١: ٧٧-٧٨/ باب ذكر مولده «ص».

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٤١٤

مؤلفات أبي حامد الغزالي كما اعترف بذلك الذهبي في (ميزانه) «١» أنه «دخل محمد بن أبي بكر علي أبيه في مرض موته فقال له: يا بني، ائت بعمك عمر لأوصي له بالخلافه، فقال: يا أبت، كنت علي حق أو باطل؟ فقال: علي حق، فقال: وص بها لأولادك إن كانت حقاً، وإلا فمكنا لسواك. ثم خرج إلى علي، فجرى ما جرى» «٢».

ووجدنا هذا في (تذكرة خواص الامه) «٣» لسبط ابن الجوزي - وهو من علماء أهل السنه، وقد اعتمد كبار علمائهم على كتبه، واستندوا إلى أقواله، ووصفوه بالإمامه والحفظ ونحو ذلك من الأوصاف الجليله... وترجم له غير واحد من المشاهير، كمحمود بن سليمان الكفوي في كتابه المعروف الذي وضعه بتراجم علماء الحنفية وأسماء ب (كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار) إذ قال فيه:

«يوسف بن قزغلي بن عبدالله البغدادي، سبط الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي الحنبلي، صاحب مرآة الزمان في التاريخ، ذكره الحافظ شرف الدين في معجم شيوخه، كان والده مع موالى الوزير عرف الدين بن هجير، ويقال في والده قزغلي بحذف القاف وبالقاف أصح.

ولد في سنه إحدى وثمانين وخمسائة ببغداد، ونشأ ببغداد وتفقه وبرع

(١) ميزان الاعتدال ١: ٥٠٠ ترجمه الحسن الصباح. وانظر سير أعلام النبلاء ١٩: ٣٢٨ بترجمة الغزالي.

(٢) سّر العالمين: ١١/ باب في ترتيب الخلافه والمملكه.

(٣) تذكرة خواص الامه: ٦٢.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٤١٥

وسمع من جدّه لأمه، وكان حنبلياً فتحنبل في صغره لتربيته جدّه، ثم رحل إلى الموصل، وسمع بالموصل ثم رحل إلى دمشق وهو ابن نيف وعشرين سنه وسمع بها، وتفقه على جمال الدين الحصري، وتحول حنفيّاً لما أنابه قزغلي ابن عبدالله كان على مذهب الحنفية. وكان إماماً عالمياً فقيهاً واعظاً جيداً نبيهاً، يلتقط الدرر من كلمه، ويتناثر الجوهر من حكمه، ويصلح المذنب عندما يلفظ، ويتوب الفاسق العاصي حين ما يعظ، يصدع القلب بخطابه ويجمع العظام النخرة بجنابه، لو استمع له الصخر لانفلق، والكافر الجحود لآمن وصدق، وكان طلق الوجه، دائم البشر، حسن المجالسه، مليح المحاوره، يحكى الحكايات الحسنه وينشد الأشعار المليحه، وكان فارساً في البحث، عديم النظر، مفرط الذكاء، إذا سلك طريقاً ينقل فيها أقوالاً ويخرج أوجهاً، وكان من وحده الدهر بوفور فضله وجوده قريحته وغزاره علمه وحده ذكائه وفطنته، وله مشاركه في العلوم ومعرفة بالتواريخ.

وكان من محاسن الزمان وتواريخ الأيام، وله القبول التام عند العلماء والامراء والخاص والعام، وله تصانيف معتبره مشهوره... ووجدناه في روايه الحافظ السمهودي بلفظ: «ودخل محمد بن أبي بكر رضى الله عنه علي أبيه في مرض موته فقال: ائت بعمك عمر لأوصي له بالخلافه. فقال: يا أبت، كنت علي حق أم علي باطل؟ قال: علي حق. قال: فإرض لولديك ما رضيت لنفسك».

وهل قدح أحد من أعلام الإمامية في كتاب سليم...؟ ص: ٤١٥

قد عرفت أن ما نسبته إلى صاحب البحار من أن بعض أعظم الإمامية طعن في سليم بن قيس وكتابه، لا أساس له من الصحة...

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٤١٦

والعلامة الحلبي في كتاب (خلاصة الأقوال) لا يقول بعدم اعتبار الكتاب، ونسبه ذلك إليه كذب آخر، وإنما ذكر الاختلاف حوله، ثم

حكم بعدالة سليم، وتوقفه عن قبول بعض أخبار الكتاب لا يدل على القول بعدم اعتبار الكتاب، لأنّ التوقف في قدر معين من الروايات يشعر بقبول ما عداه، والتوقف عن القبول لذلك القدر لا يعني الرد له.

وكلمات الرجل في اسم الشيخ حسن بن داود الحلّي واسم كتابه، مضطربة جدّاً، ممّا يدل على جهله بأسماء علماء أهل الحق وأسماء كتبهم، فكيف يريد التكلم عن أحوالهم والحال هذه؟ لكن لا اختصاص لهذا الجهل بهذا الرجل ... فقد سبقه إلى ذلك صاحب (الصواعق) وصاحب (التحفة) على عادته.

ثم إنّ هذا الشيخ وإن كان من كبار علماء الطائفة، إلّا أنّ غرض الرجل من وصفه بالإمام المقتدى وشيخ الطائفة، الأفقه الأعراف بالأحاديث ... غير خافٍ على النبيه ... وإلّا فإنّ أحداً من أصحابنا لم يصفه بهذا الألقاب.

والذي في كتاب ابن داود الحلّي نقلًا عن الشيخ الطوسي هو: «ينسب إليه الكتاب المشهور» وليس في العبارة جملة «وهو موضوع»! بل إنّ الشيخ يقول في (الفهرست) ما نصّه:

«سليم بن قيس الهاللي، يكتنى أبا صادق، له كتاب، أخبرنا به ابن أبي جيد، عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن أبي القاسم الملقّب بماجيلويه، عن محمّد بن علي الصيرفي، عن حماد بن عيسى وعثمان بن عيسى، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس.

ورواه حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني عن سليم بن

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤١٧

قيس» (١).

هذا، ولم ينقل أحد من الرجاليين عن الشيخ القول بوضع كتاب سليم ابن قيس أبداً، وهذه كتبهم متوقّرة لكلّ أحد. وبعد؛

فلو فرض احتمال كتاب سليم - الذي ليس من الكتب التي يستنبط منها أحكام الحلال والحرام في الشريعة، وإنّما موضوعه الأحاديث والأخبار المتعلقة بحوادث صدر الإسلام والوقائع بعد وفاة النبي عليه وآله الصلاة والسلام - على خير لا يرتضيه بعض علماء الطائفة، فإنّ ذلك لا يوجب طعنًا في المذهب الحق ... بخلاف أهل الخلاف، فإنّ جميع معالم مذاهبهم من الاصول والفرع متخذة من هذه الكتب التي بأيدينا، ممّا سمى بالصحاح وغيرها، والحال أنّه قد ثبت باعتراف أئمتهم احتمال الكتابين المشهورين بالصحيحين - فضلًا عن غيرهما - على الأباطيل والأكاذيب والموضوعات، كما ستقفت - بحمد الله تعالى - على بعض التفصيل في ذلك، وبالله التوفيق.

هل كان سليم يرى أنّ الأئمة ثلاثة عشر...؟ ص: ٤١٧

ونسب إلى سليم في كتابه القول بكون الأئمة ثلاثة عشر لا اثني عشر، وقد روى عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: من ادّعى أنّه إمام وليس بإمام، يوم القيامة «ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسوّدة» قال الراوي: قلت:

وإنّ كان علويًا فاطميًا؟ قال: وإن كان علويًا فاطميًا.

وفي (اعتقادات) الصدوق: والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه،

(١) كتاب الفهرست للشيخ الطوسي: ٣٤٦/١٤٣.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤١٨

فمن ادّعى الإمامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون.

وفي (الفصول المهمّة) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: من ادّعى الإمامة من الله وليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً.

ومقتضى هذه الأخبار وأمثالها: خروج المدعى للإمامة كذباً، وكذا القائل بإمامته، عن الإسلام. وكيف يجتمع هذا مع تلك المناقب الجليلة التي تذكر لسليم وكتابه؟ أقول:

إنه على فرض وجود هذا المعنى في كتاب سليم، فإن جعل ذلك من افتراءات سليم افتراء على سليم، لأن من يدعى وجوده في كتاب سليم لا يقول بثبوت نسبة الكتاب إليه.

إلا أنه قد تبين بعد النظر الدقيق والفحص التام في ألفاظ الكتاب: عدم وجود ما يدل على إمامة ثلاثة عشر إمام بعد النبي، بأن يكون هناك إمام آخر غير الأئمة وأوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإثني عشر... بل الأمر بالعكس، فقد وقع التصريح في مواضع عديدة من الكتاب بكون الأئمة اثني عشر، وأن الأحد عشر منهم من أولاد أمير المؤمنين وسيد الوصيين على ابن أبي طالب: فمنها: نقلًا عن عبد الله بن جعفر أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ليس في جنه عدن منزل أفضل ولا أشرف ولا أقرب من العرش من منزلتي، ومعى فيه اثنا عشر من أهل بيتي، أولهم علي بن أبي

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤١٩

طالب سيدهم وأفضلهم وأحبهم إلى الله ورسوله، وابنتي فاطمة سيده نساء أهل الجنة وهي زوجته في الدنيا والآخرة، وابناي الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة، وتسعة من ولد الحسين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، هداة مهديون، وأنا المبلغ عن الله وهم المبلغون عني، وهم حجج الله تبارك وتعالى على خلقه وشهداؤه في أرضه، من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله، لا تبقى الأرض طرفه عين إلا بقائهم ولا تصلح إلا بهم، يخبرون الأمة بأمر دينهم، حلالهم وحرامهم، يدلونهم على رضا ربهم وينهونهم عن سخطه» (١).

ومنها: عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «علي أخى ووزيرى ووارثى ووصيى وخليفتى فى امتى وولى كل مؤمن بعدى، ثم ابنى الحسن ثم ابنى الحسين، ثم تسعة من ولد ابنى الحسين، واحد بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا على الحوض» (٢).

ومنها: عن علي عليه السلام فى حديث: «فأملى على ما أراد أن يكتب فى الكتف، وأشهد على ذلك ثلاثة رهط: سلمان وأبازر والمقداد، وسمى من يكون من أئمة الهدى، الذين أمر الله المؤمنين بطاعتهم إلى يوم القيامة، فسمانى أولهم ثم ابنى هذان، أو ما بيده إلى الحسن والحسين، ثم تسعة من ولد ابنى هذا، يعنى الحسين» (٣).

ومنها: عن علي عليه السلام أنه قال: «يا سليم، إن أوصيائى أحد عشر

(١) كتاب سليم بن قيس ٢: ٨٤٠، الحديث الثانى والأربعون.

(٢) المصدر نفسه ٢: ٦٤٥، الحديث الحادى عشر.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٦٥٨، الحديث الحادى والعشرون.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٢٠

رجلاً من ولدى، أئمة هداة مهديون» (١).

وإذا كان سليم يروى هذه النصوص فى كتابه، فلا يعقل أن يروى ما يدل على كون الأئمة ثلاثة عشر، فيتناقض ويكذب تلك النصوص المتكثرة، ومن هنا، فقد قال الدهلوى فى (التحفة) أن من حكم العقل أنه إذا روى الإنسان حديثاً عن بعض الأكابر أن لا يروى هو ما يكذب ذلك الحديث.

والظاهر وقوع الإشتباه ممن نسب إلى كتاب سليم القول بكون الأئمة ثلاثة عشر، وكأن منشأ الإشتباه ما رآه فى الكتاب من الخبر فى

أنه سيكون من ولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اثنا عشر إماماً، فتوهم أن الأئمة من بعده على والإثنا عشر، فهم ثلاثة عشر إماماً. لكن أمير المؤمنين عليه السلام داخل في الاثنى عشر، وعدّه في أولاد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مجازاً صحيح بلا ريب، لكونه بمنزلة ابنه بلا كلام... قال الشيخ التقى المجلسي: «بل فيه - أي في كتاب سليم - إن الأئمة اثنا عشر من ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو على التغليب، مع أن أمير المؤمنين عليه السلام كان بمنزلة أولاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما أنه كان أخاه، وأمثال هذه العبارة موجودة في الكافي وغيره» (٢).

وقال أبو علي في (منتهى المقال):

«وأما كون الأئمة ثلاثة عشر، فإنني تصفحت الكتاب من أوله إلى آخره، فلم أجده فيه، بل في مواضع عديدة إنهم اثنا عشر، وأحد عشر من ولد

(١) المصدر نفسه ٢: ٨٢٤، الحديث السابع والثلاثون.

(٢) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ١٤: ٣٧١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٢١

على» (١).

وتلخص:

أنه لم يثبت عند القائلين باعتبار كتاب سليم وجود إمامة غير الأئمة الاثنى عشر فيه، كما هو في نفس الأمر كذلك... ووقوع الإشتباه ممن يقدح في كتاب سليم ولا يرى اعتباره... ليس بعزيز، وما أكثر الأوهام والأغلاط الواقعة من محدثي أهل السنة، وليس منهم أحد إلا وقد صدر منهم الوهم والغلط، حتى الصّحابة، كما يظهر بالرجوع إلى (عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة) وغيره من كتب تلك العصابة.

هل لكتاب سليم راوٍ غير أبان... ص: ٤٢١

لقد نسب إلى تصانيف الشيخين، ومؤلفات الحسنين، وإفادات علي بن أحمد العقيلي، وعلي بن أبي طالب القيرواني: إن سليماً لم يكن يظهر كتابه لأحد، حتى إذا كان آخر عمره وبأس من الحياة، قال ابن أبي عياش: «فدعاني وخلا بي وقال: يا أبان! قد جاورتك فلم أر منك إلا ما أحب، وإنّ عندي كتباً سمعتها عن الثقات وكتبتها بيدي، فيها أحاديث لا أحب أن تظهر للناس، لأنّ الناس ينكرونها ويعظمونها وهي حق - إلى أن قال:- وإني هممت حين مرضت أن أحرقتها، فتأثمت من ذلك وفضعت به، فإن جعلت لي عهد الله وميثاقه أن لا تخبر بها أحداً ما دمت حيّاً، ولا تحدّث بشيء منها بعد موتي، إلّا من تثق به كثقتك بنفسك، وإن حدث بك حدث أن

(١) منتهى المقال ٣: ٣٧٩/ ترجمة سليم بن قيس.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٢٢

تدفعها إلى من تثق به من شيعة علي بن أبي طالب ممن له دين وحسب.

فضمنت ذلك له، فدفعها إليّ، وقرأها كلّها عليّ، فلم يلبث سليم أن هلك.

فنظرت فيها بعده، وفضعت بها، وأعظمتها واستصعبتها، لأنّ فيها هلاك جميع أمّة محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، من المهاجرين والأنصار والتابعين، غير علي بن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام وشيعته.

فكان أول من لقيت - بعد قدومي البصرة - الحسن بن أبي الحسن البصري، وهو يومئذ متوار من الحجاج، والحسن يومئذ من شيعة علي بن أبي طالب، من مفرطهم، نادم متلهف على ما فاته من نصرة علي والقتال معه يوم الجمل، فخلوت به في شرقي دار أبي خليفة الحجاج بن أبي غياث، فعرضتها عليه، فبكي ثم قال: ما في حديثه شيء إلّا حقّ، قد سمعته من الثقات من شيعة علي وغيرهم» (١). فمن مراجعته هذه الكتب يظهر انحصار رواية كتاب سليم بأبان بن أبي عياش ...

وأبان عند الإمامية ضعيف أو كذاب ...؟! ص: ٢٢٢

لكنّ أجلاء هذه الطائفة، كابن داود وغيره من أكابر فنّ التنقيذ، يصرحون بضعفه، وجمع منهم قالوا: هو مفتر كذاب، وأنه الذي افتري على سليم ووضع الكتاب عليه، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

أقول:

أمّا قول «الشيخين» بانحصار رواية كتاب سليم بأبان بن أبي عياش، فإنّ أراد من «الشيخين»: الكشي والنجاشي، - كما هو مصطلح العلّامة المجلسي

(١) كتاب سليم بن قيس ٢: ٥٥٨ - ٥٥٩. مقدّمة الكتاب.

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٢٣

في أوائل البحار - فهما غير قائلين بالمقالة المذكورة، كما لا يخفى على من طالع كتابيهما ... وهذه عبارة الكشي:

«سليم بن قيس الهلالي: حدّثني محمّد بن الحسن البراثي قال: حدّثنا الحسن بن علي بن كيسان، عن إسحاق بن إبراهيم بن عمر اليماني، عن ابن اذينة، عن أبان بن أبي عياش قال: هذا نسخة كتاب سليم بن قيس العامري ثمّ الهلالي، دفعه إليّ أبان بن أبي عياش وقرأه، وزعم أبان أنّه قرأه على علي بن الحسين صلوات الله عليهما، قال: صدق سليم رحمة الله عليه، هذا حديث نعرفه.

محمّد بن الحسن قال: حدّثنا الحسن بن علي بن كيسان، عن إسحاق ابن إبراهيم، عن ابن اذينة، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي قال قلت لأبي القاسم عليه السلام: إنّي سمعت من سلمان ومن مقداد ومن أبي ذر أشياء في تفسير القرآن ومن الرواية عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وسمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبيّ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تخالفونهم، وذكر الحديث بطوله.

فقال أبان: فقدّر لي بعد موت علي بن الحسين عليهما السلام أنّي حججت ولقيت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام، فحدّثته بهذا الحديث كلّ لم أخط منه حرفاً، فاغرورقت عيناه ثمّ قال: صدق سليم، قد أتى أبي بعد قتل جدّي الحسين عليه السلام وأنا قاعد عنده، فحدّثه بهذا الحديث بعينه فقال له أبي: صدقت، قد حدّثني أبي وعمّي الحسن بهذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، فقالا: صدقت، قد حدّثك بذلك ونحن شهود، ثمّ

استخراج المرام من استقصاء الأفهام، ج ١، ص: ٢٢٤

حدّثاه أنّهما سمعا ذلك من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثمّ ذكر الحديث بتمامه» (١).

وعبارة النجاشي ليس فيها ذكرٌ من رواية أبان، فضلاً عن كون الرواية منحصرة فيه، بل صرح برواية إبراهيم بن عمر اليماني، وهذا نصّ كلامه:

«سليم بن قيس الهلالي، يكتني أبا صادق، له كتاب، أخبرني علي بن أحمد القمي قال: حدّثنا محمّد بن الحسن بن الوليد قال: حدّثنا محمّد بن أبي القاسم ماجيلويه، عن محمّد بن علي الصيرفي، عن حماد بن عيسى وعثمان بن عيسى، قال حماد بن عيسى: وحدّثنا إبراهيم بن عمر اليماني، عن سليم بن قيس بالكتاب» (٢).

وإن أراد من «الشيخين» الطوسى والنجاشى - كما هو مصطلح التقى المجلسى فى رجال روضة المتقين - فقد عرفت كلام النجاشى آنفأً، وكلام الشيخ الطوسى فى (الفهرست) سابقاً، وقد ذكر تعدد الطريق إلى الكتاب. وأمّا (كتاب الرجال) للشيخ الطوسى، فلم ينقل أحد من العلماء الإنحصار المذكور عنه، كما لا يخفى على من تتبع، وكيف يدعى ذلك وقد نصّ فى (الفهرست) على رواية إبراهيم بن عمر اليمانى الكتاب كذلك؟

فظهر الكذب والإفراء على هؤلاء الأئمة الأجلّاء.

وأمّا أنّ «الحسين» - والمقصود منهما: العلّامة الحلّى، وهو الحسن بن المطهر، والشيخ حسن بن داود الحلّى - يقولان بالمقالة المذكورة، فهذا أيضاً كذب، لأنّ العلّامة الحلّى - وإنّ أورد قصّة تسليم الكتاب إلى أبان، نقلًا عن

(١) رجال الكشى: ١٠٤ - ١٠٥ / ١٦٧.

(٢) رجال النجاشى: ٤ / ٨.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٢٥

السيد على بن أحمد العقيقى - فإنّ ابن داود لم يذكرها، لا بترجمة سليم ولا بترجمة أبان، من كتابه فى الرجال.

وأمّا نسبة ذلك القول إلى القيروانى، والإحتجاج به، فموقوفه على وثيقة القيروانى، وكونه من علماء أهل الحق، ثمّ التصريح باسم الكتاب المنقول عنه ... مع أنّه ليس من علماء الشيعة المشاهير، وليست له ترجمة فى كتب الرجال، ولا نقل عنه فى مسألتنا هذه فى كتاب من كتبنا ... نعم، له ذكر فى كتب أهل السنّة، وقد نقل عنه الحافظ السهيلي الوجه فى اسم ذى القرنين فى كتابه (الروض الأنف) «١».

وأمّا السيد العقيقى، فقد قال العلّامة الحلّى فى (الخلاصة):

«قال السيد على بن أحمد العقيقى: كان سليم بن قيس من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، طلبه الحجاج ليقتله، فهرب وآوى إلى أبان بن أبى عياش، فلما حضرته الوفاة قال لأبان: إنك لك علىّ حقاً، وقد حضرني الموت، يا ابن أخي، إنّه كان من الأمر بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كيت وكيت، وأعطاه كتاباً، فلم يرو عن سليم بن قيس أحد من الناس سوى أبان» «٢».

ومن العجيب: ما ذكره من قصد سليم إحراق الكتاب وهو يريد التعريض بسليم، لأنّ سليماً إن كان قد قصد ذلك ولم يفعله، فقد فعل ذلك أبو بكر بن أبى حنيفة!! لرواية القوم كلّهم أنّه قد أحرق ما جمعه من الحديث

(١) الروض الانف ٣: ١٧٨.

(٢) خلاصة الأقوال: ٨٣، ترجمة سليم بن قيس.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٢٦

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم «١».

هذا كلّه فيما يتعلّق بتسليم سليم الكتاب إلى أبان بن أبى عياش.

وأمّا مسألة وثيقة أبان ... فإنّ أبان بن أبى عياش لا توثيق له فى كتب أصحابنا أصلاً...

أبان من مشايخ أبى حنيفة وأبى يوسف ... ص: ٤٢٦

لكنّ الرّجل من مشايخ أبى حنيفة إمامهم الأعظم، ومن رجال مسنده، حيث روى عنه فيه فى مواضع عديدة، كالرواية التالية: «أبو حنيفة: عن أبان بن أبى عياش، عن إبراهيم بن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: رمقت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى

الوتر، فأرأته فنت قبل الركوع» (٢).

وقد مدح بعض الأعلام منهم رجال مسند أبي حنيفة، حتى قال الشعراني في (الميزان):

«قد منّ الله تعالى على بمطالعة مسانيد الإمام أبي حنيفة الثلاثة من نسخة عليها خطوط الحفاظ، آخرهم الحافظ الدمياطي، فأرأته لا يروى حديثاً إلا عن خيار التابعين العدول الثقات، الذين هم من خير القرون، بشهادة رسول الله... فكل الرواة الذين بينه وبين رسول الله عدول أخيار، ليس فيهم كذاب ولا متهم بكذب. وناهيك - يا أخي - بعد الله من ارتضاهم الإمام أبو حنيفة، رضى الله عنه، لأن يأخذ عنهم أحكام دينه، مع شدة توزعه» (... ٣).

(١). تذكرة الحفاظ ١: ٥ / ترجمة أبي بكر.

(٢) جامع مسانيد أبي حنيفة ١: ٣١٧ / الباب الخامس، في الصلاة.

(٣) الميزان للشعراني ١: ٨٢-٨٣ / فصل، في تضعيف قول من قال: إن أدله مذهب أبي حنيفة ضعيفه غالباً.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٢٧

وأيضاً: فأبان من مشايخ القاضي أبي يوسف، وقد أخرج عنه في كتابه (الخراج) فقال في موضع:

«حدثني أبان بن أبي عياش، عن الحسن البصري، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس فيما دون خمسة أوسق من البرّ والذرة والتمر والزبيب صدقة، ولا في ما دون خمسة أواق صدقة، ولا فيما دون خمس من الإبل صدقة» (١).

وأيضاً: فقد روى المزني في (تهذيب الكمال) قال: «وقال محمد بن موسى الحرشي وعبدالرحمن بن المبارك العيشي، عن حماد بن زيد قلت لسلم العلوي: حدثني، قال: يا بني عليك بأبان، فأني قد رأيت يكتب بالليل عند أنس بن مالك عند السراج. زاد العيشي عن حماد قال: فذكرت ذلك لأبيوب فقال: ما زال نعرفه بالخير منذ كان» (٢).

لكنك تجد الدمّ الشديد له في كتبهم بكثرة، ونظائره في أئمتهم ورواة صحابهم كثيرون جداً...

تكمّل القوم في أبان ... ص: ٤٢٧

وإليك ترجمة أبان عند الذهبي.

«أبان بن أبي عياش فيروز، وقيل: دينار، الزاهد، أبو إسماعيل البصري، أحد الضعفاء، وهو تابعي صغير، تحمّل عن أنس وغيره، وهو من موالى عبد القيس.

(١) الخراج للقاضي أبي يوسف: ٥٣ / فصل، ما ينبغي أن يعمل به في السواد.

(٢) تهذيب الكمال ٢: ٢٠-٢١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٢٨

قال شعيب بن حرب: سمعت شعبة يقول: لأن أشرب من بول حماري حتى أروى، أحب إليّ من أقول ثنا أبان بن أبي عياش.

وروى ابن إدريس وغيره عن شعبة قال: لأن يزني الرجل خير من أن يروى عن أبان.

قال أحمد: هو متروك الحديث.

كان وكيع إذا مرّ على حديثه يقول: رجل، ولا يسميه استضعافاً له.

وقال يحيى بن معين: متروك. وقال مرة: ضعيف.

وقال أبو عوانة: كنت لا أسمع بالبصرة حديثاً إلا جئت به أبان، فحدثني به عن الحسن حتى جمعت عنه مصحفاً، فما استحلّ أن أروى

عنه.

وقال أبو إسحاق السعدى الجوزجاني: ساقط. وقال مرة: متروك.

ثم ساق ابن عدى لأبان جملة أحاديث منكرة.

قال يزيد بن هارون: وقال شعبة: دارى وحمارى فى المساكين صدقة إن لم يكن أبان بن أبى عياش يكذب فى الحديث. قلت له: فلم سمعت منه؟

قال: ومن يصبر عن ذا الحديث؟ يعنى حديثه: عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، عن امه أنها قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قنت فى الوتر قبل الركوع.

ورواه خلاد بن يحيى ثنا الثورى عن أبان.

وقال عبدان عن أبيه عن شعبة: لولا الحياء من الناس ما صليت على أبان.

وقال يزيد بن زريع: إنما تركت أبان لأنه روى حديثاً عن أنس فقلت له: عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: وهل يروى أنس إلا عن النبي صلى

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٢٩

الله عليه وسلم؟

قال الحسن بن الفرج: عن سليم بن حرب، عن حماد بن يزيد قال:

جاءنى أبان بن أبى عياش فقال: احب أن تكلم شعبة أن يكف عني. قال:

فكلمته، فكف عنه أياماً، فأتانى فى الليل فقال: إنه لا يحل الكف عنه، إنه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن حبان: فمن تلك الأشياء التى سمعها من الحسن فجعلها عن أنس: أنه روى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته الجداء فقال: أيها الناس، كأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الموت فيها على غيرنا كُتِب، الحديث. رواه ابن أبى السرى العسقلاني، ثنا عبدالعزيز بن عبدالصمد، ثنا أبان بهذا «١».

أقول:

فانظر كيف يطعنون فى مشايخ أئمتهم ورجال مسانيدهم!

فهذا حال كتبهم ورواياتهم...

حاصل الكلام ... ص: ٤٢٩

وحاصل الكلام حول كتاب سليم هو:

إن ما ذكر قدحاً فى هذا الكتاب ليس بقادح، لأنه إما استبعاد وإما اشتباه.

رواية إبراهيم اليماني لكتاب سليم ... ص: ٤٢٩

وإن ما ادعى من انحصار روايته بأبان بن أبى عياش غير صحيح، فإن لعلمائنا الأعلام إلى هذا الكتاب طرقات تنتهى إلى إبراهيم بن عمر اليماني، يرويه

(١) ميزان الاعتدال ١: ١٢٤-١٢٧/٢١٥٦، ترجمة أبان.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٣٠

عن سليم، وإبراهيم ثقة:

قال العلامة في (خلاصة الأقوال) في القسم الأول منه المختص بالثقات ونحوهم:

«إبراهيم بن عمر الصنعاني، قال النجاشي رحمه الله: إنّه شيخ من أصحابنا ثقة، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله، ذكر ذلك أبو العباس وغيره.

وقال ابن الغضائري: إنّه ضعيف جداً، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وله كتاب، يكنى أبا إسحاق.

والأرجح عندي قبول روايته، وإن حصل بعض الشك بالطعن فيه» (١).

قال المولى التقى في (رجال روضة المتقين) بعد نقله:

«بل لا يحصل الشك، لأنّ اصوله معتمد الأصحاب، بشهادة الصدوق والمفيد، وثقة الثقتان، والجرح مجهول الحال، ولو لم يكن كذلك لكان عليه أن يقدم الجرح، كما ذكره العلامة في كتبه الاصولية» (٢).

وعلى فرض الانحصار، فغاية الأمر كون الكتاب مروياً بطريقٍ ضعيف، وضعف الطريق لا يوجب الطعن والتشنيع، فهناك الآلاف من الأحاديث الضعيفة مروية في كتب القوم، خاصّة في مسائل الحلال والحرام واصول استنباط الأحكام.

على أن أكثر روايات كتاب سليم معتضدة بروايات صحيحة وأحاديث معتمدة، ولذا قال الشيخ أبو علي الحائري في (منتهى المقال):

«ثم اعلم أن أكثر الأحاديث الموجودة في الكتاب المذكور موجود في

(١) خلاصة الأقوال: ١٥/٦ باب إبراهيم.

(٢) رجال روضة المتقين ١٤: ٣٦.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٣١

غيره من الكتب المعتمدة، كالتوحيد، واصول الكافي، والروضة، وإكمال الدين وغيرها، بل شدّ عدم وجود شيء من أحاديثه في غيره من الاصول المشهورة» (١).

وقال المجلسي: «وأكثر أخباره مطابقة لما روى بالأسانيد الصحيحة في الاصول المعتمدة» (٢).

(١) منتهى المقال ٣: ٣٨١/١٣٥٦ ترجمة سليم.

(٢) بحار الأنوار ٣٠: ١٣٤/الباب ١٩.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٣٣

ملحق في تحقيق حال الحسن البصري من حيث التشيع ... ص: ٤٣٣

إشارة

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٣٥

قال الفيض آبادي ... ص: ٤٣٥

ذكر أبان بن أبي عياش أنّه اجتمع بالحسن البصري، ووصفه بالتشيع لأمير المؤمنين عليه السلام، فإن كان كاذباً في وصفه بذلك، فهذا من افتراءاته وأكاذيبه، وإن كان صادقاً فكيف يجتمع مع رواية (الاحتجاج) للطبرسي:

«لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل البصرة مرّ بالحسن البصرى وهو يتوضّأ.

فقال له: يا حسن، لقد أكثرت من إرافة الماء.

فقال: لقد أكثرت من إرافة الدماء.

فقال: أسبغ وضوءك.

فقال: واللّه لقد قتلت بالأمس قوماً كانوا يصلّون الخمس ويسبغون الوضوء.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قد كان ما رأيت، فما منعك أن تعين علينا عدونا؟

فقال: واللّه لأصدقنك يا أمير المؤمنين، لقد خرجت في أوّل يوم، فاغتسلت وتحنّطت وصببت علىّ سلاحى، وأنا لا- أشكّ في أنّ

التخلّف عن ام المؤمنين عائشة هو الكفر، فلمّا انتهيت إلى موضع نادى منادٍ: يا حسن! إرجع، فإنّ القاتل والمقتول في النار، فرجعت

ذعراً وجلست في بيتى، فلمّا كان اليوم الثانى لم أشكّ أنّ التخلّف عن ام المؤمنين هو الكفر، فتحنّطت

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٣٦

وصببت علىّ سلاحى وخرجت اريد القتال، حتّى انتهيت إلى ذلك الموضع، فناداني من خلفى: يا حسن! إرجع، فإنّ القاتل والمقتول

في النار.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: صدقت، أتدرى من ذلك المنادى؟

قال: لا.

قال: ذاك أخوك إبليس، وصدقك أنّ القاتل والمقتول منهم في النار» (١).

وهذا الحديث- وإن كانت أمارات الوضع لائحة عليه، لأنّ من المحال أن يمنع إبليس الحسن من أن يخرج إلى قتال الأمير الذى هو

كفر بزعم الشيعة- يكذب دعوى أبان تشييع الحسن للأمير، وإلّا لزم القول بجواز الجمع بين التشييع والاخوة لإبليس، إلى غير ذلك من

المفاسد.

أقول:

أولاً: كيف يجترىء هذا الرجل على تكذيب أبان ووصفه بالإفتراء، وهو يستلزم تكذيب شيخه وإمامه الأعظم أبا حنيفة كما عرفت؟

وثانياً: أى تناقض بين كلام أبان ورواية الإحتجاج؟ وهل ادعى أبان كون الحسن البصرى من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام في زمان

حكومته وحرابه؟ لقد قال أبان: «والحسن يومئذ من شيعة على بن أبى طالب» ولا ريب أنّ الحسن كان يتظاهر بالتشييع فى تلك الأيام

التي التقى بها أبان، ولم يكن الحسن كذلك وحده، بل أمثاله- الذين كانوا يتظاهرون بالتشييع وهم فى الباطن منافقون- كثيرون..

وثالثاً: إن إبليس قد يدعو فى بعض الأحيان إلى أفعال الخير، وهذا ما ينصّ عليه كبار علماء أهل السنّة فى مختلف الموارد، فقد ذكر

الشيخ

(١) الإحتجاج على أهل اللجاج ١: ٤٠٢-٤٠٣.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٣٧

عبدالوهاب الشعرانى فى كتاب (اليواقيت) عن الشيخ ابن عربى أنّ الشيطان يدخل حبّ أهل البيت فى قلوب المؤمنين! وهذه عبارته:

«وأكثر ما يظهر ذلك- أى الضلال- بسبب الأصل الصحيح فى الشيعة لاسيّما فى الإماميّة منهم، فأدخلت عليهم الشياطين حبّ أهل

البيت واستفراج الحبّ فيهم، ورأوا أنّ ذلك من أسنى القربات إلى الله تعالى ورسوله، وكذلك هو لو وقفوا ولم يزيدوا عليه بغض

الصحابة وسببهم».

وفى (روضه العلماء):

«سمعت الشيخ الإمام أبا محمد عبد الله بن الفضل، يحكى عن أبي حازم، عن الحاكم قال: لما خرج نوح صلوات الله عليه من السفينة واستقرّ، وهلك قومه، جاءه إبليس لعنه الله.

وقال: يا نوح! إنّ لك عندى يداً عظيماً، فاسألنى ما شئت فأصدقك وأنصحك.

قال: فاهتمّ نوح صلوات الله عليه من كلامه، فأوحى الله تعالى إليه أن سله فإنّ عظته حجّية عليه. قال: أخبرنى بما أغويت أخلاف بنى آدم على هلكتهم.

قال: على الخير سقطت يا نوح فاسمع.

هو الكبر والبخل والحرص والحسد، وسائيتك بذلك:

ألم تر أنّ الله تعالى لمّا خلق آدم، أمر ملائكة السماء السابعة بالسجود له فسجدوا، فحملنى الحسد إذ فُضِّلَ عَلَى أن لا أسجد له، فاخرجت من جميع ملكوت السماوات، فزجرت، فصرت شيطاناً رجيماً، فهذا من الحسد.

ألم تر أنّ الله تعالى لمّا خلق آدم وأسكنه الجنّة وفوضها بجميع ما فيها

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٣٨

إليه ونهاه عن شجرة واحدة أن يأكل منها، فحمله الحرص أن يأكل منها، فاخرج من جميع ما فيها، فهذا من الحرص.

ألم تر أنّ الله تعالى لمّا خلق الفردوس فنظر إليها فأعجبه فقال: أنت محرّمه على كلّ جبار وعلى كلّ بخيل، فهذا فى الكبر والبخل.

والله يا نوح! ما كتمتك وما غششتك، ولا ادّخرت عنك نصحك.

قال نوح صلوات الله عليه: فأخبرنى باليد الذى لك عندى، فوالله إنّك لبغىض إلىّ، فكيف أرضى باتخاذ الأيدى عندك!؟

قال: بلى، إنّ قومك كانوا امّية من الامم كثيرة لا يحصى عددهم إلّا الله تعالى وكنت منهم فى عناء طويل، فدعوت ربك فاغرقوا، وصرت فارغاً لقوم آخرين».

وفى (الدر المنثور):

«أخرج ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان عن ابن عمر قال: لقي إبليس موسى، فقال: يا موسى! أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليماً إذ تبت، وأنا اريد أن أتوب، فاشفع لى إلى ربّى أن يتوب علىّ.

قال موسى: نعم. فدعا موسى ربّه، فقيل: يا موسى! قد قضيت حاجتك. فلقى موسى إبليس وقال: قد امرت أن تسجد لغير آدم ويتاب عليك. فاستكبر وغضب وقال: لم أسجد له حيّاً أسجد له ميتاً!؟

ثمّ قال إبليس: يا موسى! إنّ لك علىّ حقّاً بما شفعت لى إلى ربّى، فاذا كرنى عند ثلاث لا اهلكك فيهنّ: اذ كرنى حين تغضب، فأنى أجرى منك مجرى الدم، واذ كرنى حين تلقى الزحف، فأنى آتى ابن آدم حين يلقي الزحف، فاذا كره ولده وزوجته حتى يولّى، وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٣٩

محرم، فأنى رسولها إليك ورسولك إليها» (١).

لكن المراد من «الخير» هنا هو «الشر الأقل» إذ لا ريب أن اعتزال الحرب أقلّ شراً وضرراً من محاربة أمير المؤمنين عليه السلام...

وكلّ ما يذكره القوم جواباً عن الأحاديث المذكورة وأمثالها، فهو جوابنا عن السؤال حول رواية (الإحتجاج)، وأنّه كيف منع إبليس الحسن البصرى من دخول الحرب ضد أمير المؤمنين؟

ورابعاً: لكنّ الحقيقة هي: أنّ الشيطان أراد بقاء الحسن البصرى فى هذا العالم، لأنّه لو دخل الحرب لقتل، فبقى كى ينصّد إلقاءات الشيطان، بإحداث البدع والمنكرات فى الدين، فيضلّه ويضلّل بسببه امماً من الناس... وهذا ممّا تجده أيضاً فى أخبار القوم وكتبهم.

قال أبو الفرج ابن الجوزى فى (تلييس إبليس):

«أخبرنا أبو محمّد ابن القاسم، قال: أخبرنا أحمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: حدّثنا أبو محمّد، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد ابن يعقوب، قال: حدّثنا محمّد بن يوسف الجوهري، قال: حدّثنا أبو غسان النهدي قال: سمعت الحسين بن صالح يقول: إنّ الشيطان ليفتح للبعد تسعة وتسعين باباً من الخير يريد به باباً من الشرّ». وخامساً: إنّ كما دعا إبليس الحسن البصرى إلى اعتزال القتال وقال له: القتال والمقتول فى النار، وصدّقه أمير المؤمنين عليه السلام، كذلك قد علم إبليس أبا هريرة أن يقرأ آية الكرسي إذا آوى إلى فراشه... فلما حكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدّقه... وقد أخرج البخارى فى

(١) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ١: ١٢٥.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٤٠

(صحيحه) ذلك، وهذه رواية البخارى:

«عن أبى هريرة قال: وكّنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: دعنى فإننى محتاج وعلّى عيال ولى حاجة شديدة. قال: فخلّيت عنه فأصبحت. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرة! ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت: يا رسول الله! شكى حاجة شديدة وعيالا، فرحمته فخلّيت سبيله. قال: أما إنّ قد كذبتك وسيعود.

فرصدته، فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: دعنى فإننى محتاج وعلّى عيال، لا أعود، فرحمته وخلّيت سبيله. فأصبحت. فقال لى رسول الله: يا أبا هريرة! ما فعل أسيرك؟ قلت: يا رسول الله! شكى حاجة شديدة وعيالا، فرحمته فخلّيت سبيله. قال: أما إنّ قد كذبتك وسيعود.

فرصدته الثالثة، فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا آخر ثلاث مرّات أنّك تزعم لا تعود ثمّ تعود.

قال: دعنى اعلمك كلمات ينفعك الله بها.

قلت: ما هو؟

قال: إذا آويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسي: «الله لا إله إلا هو الحيّ

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٤١

القيوم» حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخلّيت سبيله، فأصبحت.

فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما فعل أسيرك البارحة؟

فقلت: يا رسول الله! زعم أنّه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخلّيت سبيله.

قال: ما هي؟

قال لى: إذا آويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية «الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم» وقال: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير.

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: أما إنّ قد صدقتك وهو كذوب، تعلم من تخاطب مذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟

قال: لا.

قال: ذاك شيطان» (١).

والألطف من ذلك كله: ما رواه القوم في مناقب خليفتهم الثاني، من تعلمه فضل سورة البقرة من إبليس ... قال الشيخ إبراهيم الوصابي اليمنى الشافعي في كتاب (الإكتفاء):
«عن ابن مسعود: إن رجلاً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لقي رجلاً من الجن، فصارعه صاحب محمد فقال له الجنى: عاودنى، فعاوده فصرعه ثانياً، فقال له الصحابي: إنى لأراك ختياً سخيلاً ذراعك ذراع الكلب، أفكذلك أنتم معشر الجن أو أنت منهم كذا؟ قال: لا والله إنى منهم لضليع. ثم

(١) صحيح البخارى ٣: ١٣٢-١٣٣ / كتاب الوكالة، باب إذا وکل رجلاً ...

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٤٢

قال: عاودنى الثالثة، فإن صرعتنى علمتک شيئاً ينفعک، فعاوده فصرعه، فقال:

هل تقرأ آية الكرسي؟ قال: نعم. قال: فإنك لا تقرأها في بيت إلاخرج منه الشيطان، ثم لا يدخل حتى يصبح.

فقال رجل من القوم: من ذلك الرجل، يا أبا عبد الرحمن من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟ هو عمر؟ قال: من يكون إلاعمر؟ أخرج المحب الطبري في الرياض.

وفي اخرى له رضى الله عنه قال: لقي رجل شيطاناً في سكة من سكة المدينة، فصارعه فصرعه الرجل فقال: دعنى، فإنك إن تدعنى اخبرك بشيء يعجبك. فقال: لا أدعك حتى تخبرنى، وعصه فى إصبه. فقال: هل تقرأ سورة البقرة؟ قال: نعم. قال: فإن الشيطان لا يسمع منها شيئاً إلاأدبر وله عجيج كعجيج الحمار.

فقيل لابن مسعود: من ذلك الرجل؟ قال: ومن عسى أن يكون إلاعمر.

أخرجه عبدالله بن مسعود الأندلسى فى كتابه الشفا» (١).

ومن لطائف الامور: وضعهم الأحاديث فى فضائل خلفائهم والدفاع عنهم عن لسان إبليس نفسه ...

ومن ذلك: ما رواه القاضى أبوبكر أحمد بن الضحاک فى (فضائل عمر)، والوصابى فى (الاكتفاء فى فضائل الخلفاء) والمحب الطبري فى (الرياض النضرة فى فضائل العشرة) نقلًا عن أحمد بن الضحاک، واللفظ للأخير:
«عن الأعمش قال: خرجت فى ليلة مقمرة أريد المسجد، فإذا أنا بشيء

(١) الاكتفاء فى مناقب الخلفاء - مخطوط. وانظر الرياض النضرة ١: ٣٦١.

استخراج المرام من استقصاء الافهام، ج ١، ص: ٤٤٣

عارضنى فاقشعرت منه جسدى.

فقلت: من الجن أم من الإنس؟

فقال: بل من الجن.

فقلت: مؤمن أم كافر؟

فقال: بل مؤمن.

فقلت: هل فيكم من هذه الأهواء والبدع شيء؟

قال: نعم.

ثم قال: وقع بيني وبين عفریت من الجحّن اختلاف في أبي بكر وعمر، فقال العفریت: إنهما ظلما علياً واعتديا عليه. فقلت له: بمن ترضى حكماً بيني وبينك؟ قال: بإبليس.

فأتيناه فقصصنا عليه القصة فضحك.

ثم قال: هؤلاء من شيعتي وأنصارى وأهل مودّتي.

ثم قال: ألا احدّثكم بحديث؟

قلنا: بلى.

قال: اعلمكم أنّي عبدت الله تعالى في السماء الدنيا ألف عام، فسَمّيت فيها العابد، وعبدت الله في الثالثة ألف عام فسَمّيت فيها الراجب، ثم رفعت إلى الرابعة، فرأيت سبعين ألف صفّ من الملائكة يستغفرون لمحبي أبي بكر وعمر، ثم رفعت إلى الخامسة، فرأيت فيها سبعين ألف ملك يلعنون مبغضى أبي بكر وعمر.

أخرجه القاضي أبو بكر أحمد بن الضحّاك في فضائل عمر بن

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٤٤

الخطاب» (١).

وإذا كان الخصم يرى أنّ الشيطان لا يدعو إلّا إلى الشر، فهو - إذن - يعترف بكون حبّ الشيخين شرّاً لا خير فيه أبداً... وهذا من الأدلّة الإلزامية التي لا مفرّ لهم منها...

وسادساً: فإنّ خبر (الاحتجاج) قد رواه القوم في كتبهم وإنّ مختصراً...

قال القاضي أبو جعفر محمّد بن عمر الشعبي في (الكفاية):

«روى في الأخبار: إنّ عليّاً مرّ على الحسن البصرى وهو يتوضّأ، فقال له: أسبغ الوضوء يا غلام. فقال الحسن لعلى: قتلت الوفاً ممّن كان يسبغ الوضوء.

وإنّما أراد به المحاربة التي وقعت بينه وبين معاوية، فقتل كثير من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم.

فقال له على: أحزنك ذلك؟ فقال: نعم، فقال له على: أحزنك الله تعالى».

وهذا الخبر يدلّ على شدّة نصب الحسن البصرى وعناده لأمر المؤمنين عليه السلام، فكان أحملاً لإبليس حقّاً...

وقد حاول الشعبي - صاحب الكفاية - أن يذكر لدعاء الإمام على الحسن محملاً كيلا يدلّ على الذمّ له، فقال:

«ثمّ دعاء على ليس على وجه الغضب، وإنّما أراد به أحزنك الله في أمر الدين، فاستجاب الله دعاءه. فروى أنّه لم يضحك بعد ذلك أربعين سنة».

لكنّه تأويل سخيف ومضحك، كما لا يخفى...

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة ١: ٣٦١ / ٢٥١.

استخراج المرام من استقصاء الافحام، ج ١، ص: ٤٤٥

وتلخص

إنّ الحسن البصرى لم يكن من الشيعة الإمامية، وإنّما كان ربّما يتظاهر بذلك في بعض الأحيان، وأبان بن أبي عياش وصفه بالتشيّع لما رآه يتظاهر بذلك في ذلك الوقت، وهذا لا يعارض خبر (الاحتجاج) ولا غيره من الأخبار المذكورة في كتبنا، ككتاب (الإثنا عشرية) للشيخ الحرّ العاملي رحمه الله، الدالّة على عدائه وناصبية أمير المؤمنين عليه السلام، حتّى أنّ الإمام عليه السلام قد وصفه في

رواية بأنه «سامري هذه الامة» ولهذا الوصف مداليل كثيرة.

وتلخص: أن «الحسن» ليس من الشيعة أصلاً، لكن «أبان» لم يكذب في وصفه بالتشيع.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أُخِيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَأَتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحرى الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرى الأدق للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامع ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إناله المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و... - منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيه و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة
المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ "ما بين شارع "بنج رمضان" و"مفتق" و"فائى"/ "بنايه" القائمية"
تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (=١٤٢٧ الهجرية القمرية)
رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-(٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠٢٢-(٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينية و العلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقية الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حدّ التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان

الغامدية

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

